

كتاب الداء والدواء سلوك ١٧



الملك لله دخل في خط عبده
الحاجي بشير اغاء دار السعادة الشريفة
سنة ثمان وخمسين
ومائة والف

دخل في نوبة العبد الفقير السيد [illegible]
مصطفى الشهير [illegible] السلطانية
عفي عنه

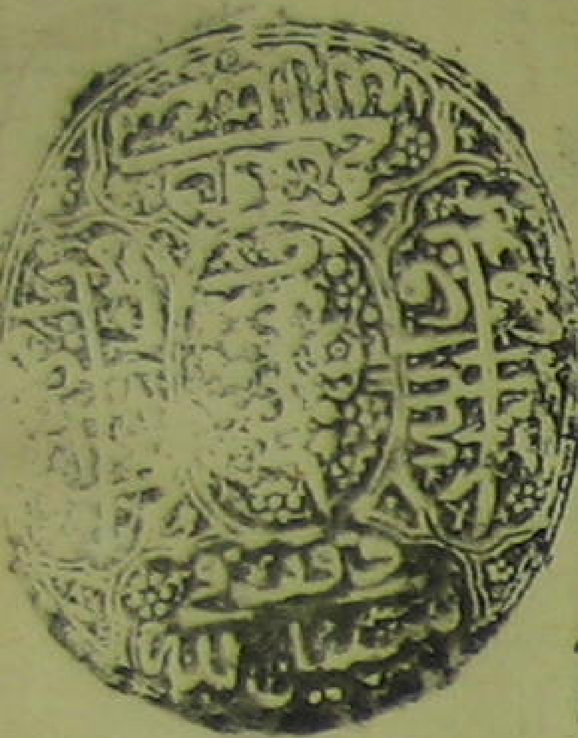
هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
صاحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بانوار العناية
مفتح مغالق المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل
حائز مجامع البر الاكمل الا وهو اغاء دار السعادة الحاج بشير
وفقه للخير المزيد والبر الكثير من هو على كل شيء قدير
حرره الفقير الى الله تعالى محمد امين المفتش
باوقاف الحرمين المحترمين
عفي له



٤٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

سئل شيخ الاسلام شمس الدين ابن قيم الجوزيه ما تقول السادة العلماء ائمة الدين
رضي الله عنهم اجمعين في رجل ابتلي ببلية وعلم انها ان استمرت به افسدت عليه دنياه
وآخرته وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق فما تزداد الا توقدا وشدة فما الحيلة
في دفعها وما الطريق الى كشفها فرحم الله من اعان مبتلى والله في عون العبد ما كان
العبد في عون اخيه افتونا ماجورين رحمكم الله ورضي عنكم وختم لكم بخير اجاب
الحمد لله ثبت في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما انزل الله داء الا انزل له شفاء وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برا باذن الله وفي مسند الامام احمد من حديث اسامة بن شريك عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه
وجهله من جهله وفي لفظ ان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء او دواء الا داء
واحدا قالوا يا رسول الله ما هو قال الهرم قال الترمذي هذا حديث صحيح وهذا
يعم ادواء القلب والروح والبدن وادويتها وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم
الجهل داء وجعل دواءه سؤال العلماء فروى ابو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله
قال



قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه ثم احتلم فسال اصحابه فقال
هل تجدون لي رخصة في التيمم قالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات
فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا
اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او يعصب على جرحه
خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده فاخبر ان الجهل داء وان شفاءه السؤال
وقد اخبر سبحانه ان القران شفاء فقال تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا
فصلت اياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى وشفاء وقال وننزل من القران
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومن ها هنا لبيان الجنس لا للتبعيض فان القران كله شفاء
كما قال في الاية الاخرى فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب فلم ينزل الله
سبحانه من السماء شفاء قط اعم منه ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من
القران وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابي سعيد قال انطلق نفر من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من احياء العرب فاستضافوهم
فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم
لو اتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله ان يكون عند بعضهم شيء فاتوهم فقالوا
ايها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند احد منكم من شيء
فقال بعضهم نعم والله اني لارقي ولكن والله استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق
حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرا الحمد لله رب العالمين

فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه
فقال بعضهم اقتسموا فقال الذي رقى لا تفعل حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنذكر له الذي كان فننظر بما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له
ذلك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريك أنها رقية ثم قال قد أصبتم اقتسموا
واضربوا لي معكم سهماً فقد أثر هذا الدواء وأزاله حتى كأن لم تكن وهو أسهل دواء
وأيسره ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيراً عجيباً في الشفاء ومكثت بمكة
مدة يعتريني أدواء ولا أجد طبيباً ولا دواء فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها
تأثيراً عجيباً فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألماً وكان كثيراً
منهم يبرأ سريعاً ولكن ههنا أمر ينبغي التفطن له وهو أن الأذكار والآيات والأدعية
التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة
همة الفاعل ~~أو لعدم قبول المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء~~ وتأثيره فمتى
تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل أو لمانع قوي فيه
يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية فإن عدم تأثيرها
قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره
فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول
وكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة
مؤثرة أثر في إزالة الداء وكذلك الدعاء فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه

وحصول

وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء
لا يحبه الله لما فيه من العدوان وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه
وقت الدعاء فيكون بمنزلة القوس الرخو فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً
وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب
واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وغلبتها عليها والذنوب كما في صحيح الحاكم من
حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة
واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه فهذا دواء نافع مزيل للداء ولكن
غفلة القلب عن الله يبطل قوته وكذلك أكل الحرام يبطل قوته أو يضعفها كما في صحيح
مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها
الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وقال يا أيها الذين
آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى
السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى
يستجاب لذلك وذكر عبد الله بن أحمد في كتاب الزهد لأبيه أصاب بني إسرائيل
بلاء فخرجوا مخرجاً فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم تخرجون إلى الصعيد بأبدان
نجسة وترفعون إلي أكفاً قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطوناً بها بيوتكم من الحرام الآن حين
اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني إلا بعداً وقال أبو ذر يكفي من الدعاء مع البر

يكفي الطعام من الملح **فصل** والدعاء من انفع الادوية وهو عدو البلاء يدفعه

ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح كما روى الحاكم في صحيحه من حديث

علي بن ابي طالب رضي الله عنه **قال** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن

وعماد الدين ونور السموات والارض وله مع البلاء ثلاث مقامات احدها ان يكون

اقوى من البلاء فيدفعه الثاني ان يكون اضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب

به العبد ولكن قد يخففه وان كان ضعيفا الثالث ان يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه

وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل

فيلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة وفيه ايضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله

بالدعاء وفيه ايضا من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد

القدر الا الدعاء ولا يزيد العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه **فصل**

ومن انفع الادوية الالحاح في الدعاء وقد روى ابن ماجه في سننه من حديث ابي

هريرة رضي الله عنه قال **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله يغضب

عليه وفي صحيح الحاكم من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا في الدعاء

فانه لا يهلك مع الدعاء احد وذكر الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي

الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الملحين في الدعاء وفي كتاب

الزهد

الزهد للامام احمد عن قتادة قال قال مورق ما وجدت للمؤمن مثلا الا رجلا في البحر

على خشبة فهو يدعو يا رب يا رب لعل الله عز وجل ان ينجيه **فصل**

ومن الافات التي تمنع اثره تذنب اثر الدعاء عليه ان يستعجل العبد ويستبطي الاجابة

فيستحسر ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذرا او غرس غراسا فجعل يتعاهده

ويسقيه فلما استبطى كماله وادراكه واهمله وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة رضي

الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول

دعوت فلم يستجب لي وفي صحيح مسلم عنه لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او

قطيعة رحم ما لم يستعجل قالوا يا رسول الله وما الاستعجال قال يقول قد دعوت فلم ار

يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء وفي مسند احمد من حديث انس قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل قالوا يا رسول الله كيف

يستعجل قال يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي **فصل** واذا جمع الدعاء

حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتا من اوقات الاجابة

الستة وهي الثلث الاخير من الليل وعند الاذان وبين الاذان والاقامة

وادبار الصلوات المكتوبات وعند صعود الامام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة

واخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم وصادف خشوعا في القلب انكسارا بين

يدي الله ورفع يديه الى الله وبدا بحمد الله والثناء عليه ثم ثنى الصلاة على محمد عبده

ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل على الله

الرب وذلا له وتضرعا ورقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة

والحّ عليه في المسئلة وتملقه ودعاه رغبةً ورهبةً وتوسّل اليه باسمائه وصفاته وتوحيده
وقدم بين يدى دعائه صدقة فانّ الدعاء لايكاد يرد ابداً ولاسيّما ان صادف الادعية
المأثورة التى اخبر النبى صلى الله عليه وسلم انها مظنّة الاجابة او انها متضمنة للاسم الاعظم
فمنها ما في السنن وفى صحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريدة عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول اللّهمّ انّى اسئلك بانّى اشهد انك انت
الله الذى لا اله الّا انت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد فقال لقد سأل
الله بالاسم الذى اذا سئل به اعطى واذا دعى به اجاب وفى لفظ لقد سالت الله باسمه
الاعظم وفى السنن وفى صحيح ابن حبّان ايضاً من حديث انس بن مالك رضى الله عنه
انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا ورجل يصلى ثم دعا فقال اللّهمّ
انّى اسئلك بانّ لك الحمد لا اله الّا انت المنّان بديع السموٰت والارض يا ذي
الجلال والاكرام يا حي يا قيوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد سأل الله باسمه الاعظم
الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى واخرج الحديثين الامام احمد في مسنده وفى جامع
الترمذى من حديث اسماء بنت يزيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم
فى هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الّا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران
الم الله لا اله الّا هو الحى القيوم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وفى مسند احمد
وصحيح الحاكم من حديث ابى هريرة وانس بن مالك وربيعة بن عامر رضى الله عنهم
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الظّوا بيا ذا الجلال والاكرام يعنى تعلقوا بها

اسم الله الاعظم

والزموا

والزموها ودوموا عليها وفى جامع الترمذى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان
النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمّه الامر رفع رأسه الى السماء واذا اجتهد في
الدعاء قال يا حي يا قيوم وفيه ايضاً من حديث انس بن مالك رضى الله عنه قال كان النبى
صلى الله عليه وسلم اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث وفى صحيح الحاكم
من حديث ابى امامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اسم الله الاعظم فى ثلاث
سور من القرآن البقرة وآل عمران وطه قال القسم فالتمستها فاذا هى آية الحى القيوم
وفى جامع الترمذى وصحيح الحاكم من حديث سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال دعوة اخى ذى النون اذ دعى وهو فى بطن الحوت لا اله الّا انت سبحانك انى كنت
من الظالمين انه لم يدع بها مسلم فى شيئ قطّ الّا استجاب الله له قال الترمذى
حديث صحيح وفى صحيح الحاكم ايضاً من حديث سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بشيئ اذا نزل برجل منكم هم فدعا به يفرج الله عنه دعا ذي النون وفى
صحيحه ايضاً اسم الله الاعظم دعا يونس فقال رجل يا رسول الله هل كانت ليونس
خاصة فقال الا تسمع قوله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين
فايما مسلم دعا بها فى مرضه اربعين مرة فمات فى مرضه ذلك اعطى اجر شهيد
وان برا برا مغفوراً له وفى من حديث بن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الّا الله الحليم العظيم لا اله الّا الله رب
العرش العظيم لا اله الّا الله رب السموٰت ورب الارض رب العرش الكريم وفى مسند

الامام احمد من حديث علي ابن ابي طالب قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل
في كرب ان اقول لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم
والحمد لله رب العالمين وفي مسنده ايضا من حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك
ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسئلك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك او علمته احدا من خلقك او انزلته في
كتابك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم
ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا اذهب الله عز وجل
حزنه وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله الا نتعلمها قال بلى ينبغي لمن
سمعها ان يتعلمها وقال ابن مسعود ما كرب نبي من الانبياء الا استغاث بالتسبيح
وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب المجابين في الدعاء عن الحسن قال كان رجل من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار يكنى ابا معلق وكان تاجرا يتجر بمال له ولغيره
يضرب به في الافاق وكان ناسكا ورعا فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح
فقال له ضع ما معك فاني قاتلك قال ما تريد من دمي شانك بالمال قال
اما المال فلي ولست اريد الا دمك قال اما اذا ابيت فذرني اصلي اربع ركعات
قال صل ما بدا لك فتوضى ثم صلى اربع ركعات وكان من دعائه في اخر سجدة
ان قال يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد اسئلك بعزك
الذي

الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنور ك الذي ملأ اركان عرشك ان
تكفيني شر هذا اللص يا مغيث اغثني ثلث مرات فاذا هو بفارس قد اقبل بيده
حربة قد وضعها بين اذني فرسه فلما بصر به اللص اقبل نحوه فطعنه فقتله ثم اقبل اليه فقال قم فقال من انت بابي انت وامي فقد اغاثني
الله بك اليوم قال انا ملك من اهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الاول
فسمعت لابواب السماء قعقعة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء
ضجة ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعا مكروب فسئلت الله ان يوليني
قتله قال الحسن فمن توضأ وصلى اربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له
مكروبا كان او غير مكروب

فصل

وكثيرا ما تجد ادعية دعا بها قوم فاستجيب
لهم ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه واقباله على الله او حسنة تقدمت
منه جعل الله سبحانه اجابة دعوته شكرا لحسنته او صادف وقت اجابة ونحو ذلك
فاجيبت دعوته فيظن الظان ان السر في لفظ ذلك الدعاء فياخذه مجردا
عن تلك الامور التي قارنته من ذلك الداعي وهذا كما اذا استعمل الرجل دواء
نافعا في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي فانتفع به فظن غيره ان استعمال هذا
الدواء بمجرده نافعا في حصول المطلوب كان غالطا وهذا موضع يغلط فيه كثير من
الناس ومن هذا قد يتفق دعاؤه باضطرار عند قبر فيجاب فيظن الجاهل ان السر
للقبر ولم يعلم ان السر للاضطرار وصدق اللجاء الى الله فاذا حصل ذلك في بيت

لضرورة حاجة واضطره اليه
احوجه والجأه الضراء الزمانة
والشدة والنقض في الاحوال
والانفس قاموس

من بيوت الله كان أولى أفضل وأحب إلى الله

فصل

والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة فيه والساعد ساعد قوي والمانع مفقود حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح والداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر

فصل

وها هنا سؤال مشهور وهو أن المدعو به إن كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه دعا به العبد أو لم يدع وإن لم يكن قد قدر لم يقع سواء سأله العبد أو لم يسأله فظنت طائفة صحة هذا السؤال فتركت الدعاء وقالت لا فائدة فيه وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون فإن طرد مذهبهم يوجب تعطيل جميع الأسباب فيقال لأحدهم إن كان الشبع والري قد قدر لك فلا بد من وقوعهما أكلت أو لم تأكل وإن كان الولد قد قدر لك فلا بد منه وطئت الزوجة والأمة أو لم يطأ وإن لم يقدر لم يكن فلا حاجة إلى التزويج والتسري وهلم جرا فهل يقول عاقل أو آدمي بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته فالحيوانات أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا وتكايس بعضهم وقال الاشتغال بالدعاء من باب التعبد المحض يثيب الله عليه الداعي من غير أن يكون له تأثير في المطلوب بوجه ما ولا فرق عند هذا الكيس بين الدعاء وبين الإمساك عنه بالقلب واللسان في التأثير في حصول المطلوب وارتباط الدعاء به عندهم كارتباط السكوت

السكوت ولا فرق وقالت طائفة أخرى أكيس من هؤلاء بل الدعاء علامة مجردة نصبها الله سبحانه وتعالى أمارة على قضاء الحاجة فمتى وفق العبد للدعاء كان ذلك علامة له وأمارة على أن حاجته قد قضيت وهذا كما إذا رأينا غيما أسود باردا في الشتاء فإن ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر قالوا وهذا حكم الطاعات مع الثواب والكفر والمعاصي مع العقاب هي أمارات محضة لوقوع الثواب والعقاب لا أنها أسباب له وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار والحرق مع الإحراق والإزهاق مع القتل ليس شيء من ذلك سببا البتة ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه إلا مجرد الاقتران العادي لا التأثير السببي وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطرة وسائر طوائف العقلاء بل أضحكوا عليهم العقلاء والصواب أن ها هنا قسما ثالثا غير ما ذكره السائل وهو أن هذا المقدور قدر بأسباب ومن أسبابه الدعاء فلم يقدر مجردا عن سببه ولكن قدر بسببه فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور وهذا كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال ودخول النار بالأعمال وهذا القسم هو الحق وهو الذي حرمه السائل ولم يوفق له وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء

ولا ابلغ فى حصول المطلوب ولما كان الصحابة رضى الله عنهم اعلم الامة بالله و
رسوله وافقهم فى دينه كانوا اقوم بهذا السبب وشرطه وآدابه من غيرهم
وكان عمر رضى الله عنه يستنصر به على عدوه فكان اعلم جنديه وكان يقول للصحابة
لستم تنصرون بكثرة وانما تنصرون من السماء وكان يقول انى لا احمل هم الاجابة
ولكن هم الدعاء فاذا الهمت الدعاء فان الاجابة معه واخذ الشاعر فنظمه
فقال لولم ترد نيل ما ارجوا واطلبه من جود كفيك ما عودتنى الطلبا ه فمن الهم
الدعاء فقد اريد به الاجابة فان الله سبحانه يقول ادعونى استجب لكم ه وقال واذا
سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وفى سنن
ابن ماجه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لم يسال الله يغضب عليه وهذا يدل على ان رضاه فى سؤاله وطاعته
واذا رضى الرب تبارك وتعالى فكل خير فى رضاه كما ان كل بلاء ومصيبة
فى غضبه وقد ذكر الامام احمد فى كتاب الزهد اثرا انا الله لا اله الا انا اذا
رضيت باركت وليس لبركتى منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتى تبلغ السابع
من الولد وقد دل العقل والنقل والفطر السليمة وتجارب الامم على اختلاف
اجناسها ومللها ونحلها على ان التقرب الى الله رب العالمين وطلب مرضاته
والبر والاحسان الى خلقه من اعظم الاسباب الجالبة لكل خير واضدادها من
اكبر الاسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم قط واستدفعت نقمة بمثل

قوله جنديه المراد عساكر الاسلام
رضى الله عنه
خفافا وثقالا وهو [illegible] وانحال
اكثر عددا وعددا وظهرت بين
عند الله [illegible]
[illegible]

طاعة

طاعة والتقرب اليه من الاحسان الى خلقه وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات
فى الدنيا والآخرة وحصول الشرور فى الدنيا والآخرة فى كتابه على الاعمال ترتيب
الجزاء على الشرط والمعلول على العلة والمسبب وهذا يزيد فى القرآن على الف موضع
فتارة يرتب الحكم الخبرى والكونى والامر الشرعى على الوصف المناسب له كقوله
فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ه وكقوله فلما آسفونا
انتقمنا منهم ه وقوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وقوله ان المسلمين
والمسلمات الى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما
وهذا كثير جدا وتارة يرتبه عليه بصيغة الشرط والجزاء كقوله ه ان تتقوا الله يجعل لكم
فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم ه وقوله فان تابوا واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين ه وقوله ~~فان تابو~~ وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا ونظائره تارة ياتى بلام التعليل كقوله ليدبروا آياته
وليتذكر اولوا الالباب ه وقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا ه وتارة ياتى باداة كى التى للتعليل كقوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء
منكم ه وتارة ياتى بباء السببية كقوله ذلك بما قدمت ايديكم ه وكقوله بما
كنتم تعملون وبما كنتم تكسبون ه وكقوله ذلك بانهم كفروا باياتنا ه وتارة
ياتى بالمفعول لاجله ظاهرا او محذوفا كقوله ه فرجل وامرأتان ممن ترضون من
الشهداء ان تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى ه وقوله ان تقولوا انا كنا عن

هذا غافلين • وقوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان
اى كراهة ان تقولوا وتارة بفاء السببية كقوله فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم
ربهم بذنبهم فسوّاها • وقوله فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية • وقوله
فكذبوهما فكانوا من المهلكين • ونظائره وتارة باداة لما الدالة على الجزاء كقوله
فلما آسفونا انتقمنا منهم • ونظائره وتارة يأتى بانّ وما عملت فيه كقوله انهم
كانوا يسارعون فى الخيرات • وقوله فى ضد هؤلاء انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين • وتارة يأتى باداة لولا الدالة على ارتباط ما قبلها بما بعدها كقوله
فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون • وتارة يأتى
بلو الدالة على الشرط كقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم
وبالجملة فالقرآن من اوله الى آخره صريح فى ترتب الجزاء بالخير والشر والاحكام الكونية
والامرية على الاسباب بل ترتب احكام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما
على الاسباب والاعمال ومن فقه فى هذه المسئلة وتأملها حق التأمل انتفع بها
غاية النفع ولم يتكل على القدر جهلا منه وعجزا وتفريطا واضاعة فيكون توكله
عجزا وعجزه توكلا بل الفقيه كل الفقيه الذى يرد القدر بالقدر ويدفع القدر بالقدر
ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن الانسان يعيش الا بذلك فان الجوع والعطش
والبرد وانواع المخاوف والمحاذير هى من القدر والخلق كلهم ساعون فى دفع هذا القدر بالقدر
وهكذا من وفقه الله والهمه رشده يدفع قدر العقوبة الاخروية بقدر التوبة والايمان

والاعمال

والاعمال الصالحة فهذا وزان القدر المخوف فى الدنيا وما يضاده سواء فرب
الدارين واحد وحكمته واحدة ولا يناقض بعضها بعضا فهذه المسئلة من اشرف المسائل
لمن عرف قدرها ورعاها ان يعرف حق رعايتها والله المستعان لكن يبقى عليه
امران بهما تتم له سعادته وفلاحه احدهما ان يعرف تفاصيل اسباب الشر والخير
ويكون له بصيرة فى ذلك بما يشاهده فى العالم وما جربه فى نفسه وغيره وما
سمعه من اخبار الامم قديما وحديثا ومن انفع ما فى ذلك تدبر القرآن فانه
كفيل بذلك على اكمل الوجوه وفيه اسباب الخير والشر جميعا مفصلة مبينة ثم
السنة فانها شقيقة القرآن وهى الوحى الثانى ومن صرف اليهما عنايته
اكتفى بهما عن غيرهما وهما يريانك الخير والشر واسبابهما كانك تعاين
ذلك عيانا وبعد ذلك اذا تأملت اخبار الامم وايام الله فى اهل طاعته واهل
معصيته طابق ذلك ما علمته من القرآن والسنة وارته نفس تفاصيل ما اخبر الله
ووعيده وعلمت من آياته فى الآفاق ما يدلك على ان القرآن حق وان الرسول حق
وان الله ينجز وعده لا محالة فالتاريخ تفصيل لجزئيات ما عرفنا الله ورسوله
من الاسباب الكلية للخير والشر

فصل

والامر الثانى ان يحذر مغالطة
نفسه على هذه الاسباب المضرة له فى دنياه وآخرته وهذا من اهم الامور
فان العبد يعرف ان المعصية والغفلة من الاسباب المضرة له فى دنياه وآخرته
ولا بد ولكن تغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة

تارةً وبالاستغفار باللسان تارةً وبفعل المندوبات تارةً وبالعلم تارةً وبا
لاحتجاج بالقدر تارةً وبالاحتجاج بالاشباه تارةً والنظر او الاقتداء بالاكابر
تارةً وكثير من الناس يظن انه لو فعل ما فعل ثم قال استغفر الله زال اثر الذنب
وراح هذا بهذا وقال لي رجل من المنتسبين الى الفقه انا افعل ما افعل ثم اقول سبحان
الله وبحمده مائة مرة وقد غفر ذلك اجمعه كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه وان كانت
مثل زبد البحر وقال لي آخر من اهل مكة نحن احدنا اذا فعل ما فعل
اغتسل وطاف بالبيت اسبوعاً وقد محي عنه ذلك وقال لي آخر قد صح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اذنب عبد ذنبا فقال اي رب
اصبت ذنبا فاغفره لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا آخر
فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفره لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب
ذنبا فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفره لي فقال الله عز وجل علم عبدي
ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع ما شاء قال
وانا لا اشك ان لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس
قد تعلق بنصوص الرجاء واتكل عليها وتعلق بها بكلتا يديه واذا عوتب على
الخطايا والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص
الرجاء وللجهال من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب

وعجائب

وعجائب كقول بعضهم وكثر ما استطعت من الخطايا اذا كان القدوم على كريم
وقول الآخر التنزه من الذنوب جهل بسعة عفو الله والاستغفار لها وقال ابو محمد
بن حزم رايت بعض هولاء يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من العصمة ومن
هولاء المغرورين من يتعلق بمسئلة الجبر وان العبد لا فعل له البتة ولا اختيار وانما هو
مجبور على فعل المعاصي ومن هولاء من يغتر بمسئلة الارجاء وان الايمان هو مجرد
التصديق والاعمال ليست من الايمان وايمان افسق الناس كايمان جبرئيل
وميكائيل ومن هولاء من يغتر بمحبة الفقراء والمشايخ والصالحين وكثرة التردد
الى قبورهم والتضرع اليهم والاستشفاع بهم والتوسل الى الله بهم وسؤاله
بحقهم عليه وحرمتهم عنده ومنهم من يغتر بآبائه واسلافه وان لهم عند الله
مكانة وصلاحا فلا يدعون ان يخلصوه كما يشاهد في حضرة الملوك فان الملوك
تهب لخواصهم ذنوب ابنائهم واقاربهم واذا وقع احد منهم في امر مفظع خلصه
ابوه وجده بجاهه ومنزلته ومنهم من يغتر بان الله عز وجل غني عن عذابه و
عذابه لا يزيد في ملكه شيئاً ورحمته لا تنقص من ملكه شيئاً فيقول انا مضطر
الى رحمته وهو اغنى الاغنياء ولو ان فقيراً مسكيناً مضطراً الى شربة ماء عند من
في داره شط يجري لما منعه منها فالله اكرم واوسع فالمغفرة لا تنقصه شيئاً
والعقوبة لا تزيد في ملكه شيئاً ومنهم من يغتر بفهم فاسد فهمه هو واضرابه من
نصوص القرآن والسنة فاتكلوا عليه كاتكال بعضهم على قوله ولسوف يعطيك ربك

الغرة من الذنوب جهل بسعة عفو الله وقال الاوزاعي

قد رضي قالوا وهو لا يرضى ان يكون في النار احد من امته وهذا من اقبح الجهل و
ابين الكذب عليه فانه يرضى بما يرضى ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة و
الفسقة والخونة والمصرين على الكبائر فحاشا رسوله صلى الله عليه وسلم ان لا يرضى
بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وكما تكال بعضهم على قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب
جميعا وهذا ايضا من اقبح الجهل فانه فان الشرك داخل في هذه الآية
وانه رأس الذنوب واساسها ولا خلاف ان هذه الآية في حق التائبين
فانه يغفر ذنب كل تائب من اي ذنب كان ولو كانت الآية في حق غير التائبين
لبطلت نصوص الوعيد كلها واحاديث اخراج قوم من النار من الموحدين بالشفاعة
وهذا انما اتي صاحبه من قلة علمه وفهمه فانه سبحانه ههنا عمم واطلق فعلم
انه اراد التائبين وفي سورة النساء خصص وقيد فقال ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاخبر سبحانه انه لا يغفر
الشرك واخبر انه يغفر ما دونه ولو كان هذا في حق التائب لم يفرق بين
الشرك وغيره وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم فيقول كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا جهل قبيح
انما غره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجهله وهواه
واتى سبحانه بلفظ الكريم وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به
ولا اهمال حقه فوضع هذا المغتر المغرور الرجاء في غير موضعه واغتر بما لا ينبغي الاغترار به

والمغتر

وكاغترار بعضهم بقوله تعالى في النار لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى
وقوله اعدت للكافرين ولم يدر هذا المغتر ان قوله فانذرتكم نارا تلظى هو نار
مخصوصة من جملة دركات جهنم ولو كانت جميع جهنم فهو سبحانه لم يقل لا يدخلها
بل قال لا يصلاها الا الاشقى ولا يلزم من عدم صليها عدم دخولها فان الصلي
اخص من الدخول ونفي الاخص لا يستلزم نفي الاعم ثم ان هذا المغتر لو تأمل
الآية التي بعدها لعلم انه غير داخل فيها فلا يكون مضمونا له ان يجنبها واما قوله
في النار اعدت للكافرين فقد قال في الجنة اعدت للمتقين ولا ينافي اعدادها
النار للكافرين ان يدخلها الفساق والظلمة ولا ينافي اعداد الجنة للمتقين ان
يدخلها من في قلبه ادنى مثقال ذرة من ايمان ولم يعمل خيرا قط وكاتكال بعضهم
على صوم يوم عاشوراء يكفر ذنوب العام كلها ويبقى صيام يوم عرفة زيادة في
الاجر ولم يعلم هذا المغتر ان صوم رمضان والصلوات الخمس اعظم واجل
من صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء وهي انما تكفر ما بينهما اذا اجتنبت الكبائر فرمضان
والجمعة الى الجمعة لا تقوى على تكفير الصغائر الا مع انضمام ترك الكبائر اليها فيقوى
مجموع الامرين على تكفير الصغائر فكيف يكفر صوم تطوع كل كبيرة عملها العبد وهو مصر
عليها غير تائب منها هذا محال على انه لا يمتنع ان يكون صوم يوم عرفة ويوم عاشوراء
مكفرا لجميع ذنوب العام على عمومه ويكون من نصوص الوعيد التي لها شروط وموانع
ويكون اصراره على الكبائر مانعا من التكفير واذا لم يصر على الكبائر تساعد الصوم وعدم

الاصرار وتعاونا على عموم التكفير كما كان رمضان والصلوات الخمس مع اجتناب
الكبائر متساعدين متعاونين على تكفير الصغائر مع انه سبحانه وتعالى قد قال ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم فعلم ان جعل الشئ سببا للتكفير
لا يمنع ان يتساعد هو وسبب آخر على التكفير ويكون التكفير مع اجتماع السببين
اقوى واتم منه انفراد احدهما وكما قويت اسباب التكفير اقوى واتم واسهل
وكما تكلم بعضهم على قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انا عند حسن ظن عبدي
بي فليظن بي ما شاء فانى فاعل به ولا ريب ان حسن الظن انما يكون مع الاحسان فان المحسن
حسن الظن بربه انه يجازيه على احسانه ولا يخلف وعده ويقبل توبته واما المسئ
المصر على الكبائر كالظلم والمخالفات فان وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه
من حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد فان العبد الآبق المسئ الخارج عن
طاعة سيده لا يحسن الظن بربه ولا يجامع وحشة الاساءة الظن ابدا فان
المسئ مستوحش بقدر اساءته واحسن الناس ظنا بربه اطوعهم له كما قال حسن البصري
ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان الفاجر اساء الظن بربه فاساء العمل
وكيف يكون يحسن الظن بربه من هو شارد عنه حال مرتحل في مساخطه وما يبغضه
متعرض للعنة قد هان حقه وامره عليه فاضاعه وهان نهيه عليه فارتكبه واصر
عليه وكيف يحسن الظن به من بارزه بالمحاربة وعادى اولياءه ووالى اعداءه
وجحد صفات كماله واساء الظن بما وصف به نفسه ووصفه به رسله وظن بجهله

ان ظن

ان ظاهر ذلك ضلال وكفر وكيف يحسن الظن به من يظن انه لا يتكلم ولا يأمر
ولا ينهى ولا يرضى ولا يغضب وقد قال تعالى في حق من شك في تعلق سمعه
ببعض الجزئيات وهو السر من القول وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم
فاصبحتم من الخاسرين فهؤلاء لما ظنوا ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون كان
اساءة لظنهم بربهم فارداهم ذلك وهذا شان كل من جحد صفات كماله
ونعوت جلاله ووصفه بما لا يليق به فاذا ظن هذا انه يدخله الجنة كان
هذا غرورا وخداعا من نفسه وتسويلا من الشيطان لا احسان ظن به فتأمل
هذا الموضع وتأمل شدة الحاجة اليه وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بانه ملاق
الله وان الله يسمع كلامه ويرى مكانه ويعلم سره وعلانيته ولا يخفى عليه خافية من
امره وانه موقوف بين يديه ومسئول عن كل ما عمل وهو مقيم على مساخطه مضيع
لاوامره معطل لحقوقه وهو مقيم على مع هذا يحسن الظن به وهل هذا الا من
خدع النفوس وغرور الاماني وقد قال ابو امامة بن سهل ابن حنيف
دخلت انا وعروة بن الزبير على عائشة رضي الله عنها فقالت لو رأيتما رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مرض له وكانت عندي ستة دنانير او سبعة
فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افرقها قالت فشغلني وجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى عافاه الله فسألني عنها فقالت ما فعلت
اكنت فرقت الستة الدنانير قلت لا والله لقد كان يشغلني وجعك فقال

فدعا بها فوضعها في كفه فقال ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده فبالله ما ظن
اصحاب الكبائر والظلمة بالله اذا لقوه ومظالم العباد عندهم فان كان ينفعهم قولهم
حسنا ظنونا بالله لم يعذب ظالم ولا فاسق فليضع العبد ما شاء وليرتكب كل ما نهاه
الله عنه وليحسن ظنه بالله فان النار لا تمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد وقد قال
ابرهيم لقومه ائفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي فما
ظنكم به ان يفعل بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل
علم ان حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه فان العبد انما حمله على حسن العمل حسن ظنه
بربه ان يجازيه على اعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه فالذي حمله على العمل حسن الظن
فكلما حسن ظنه حسن عمله والا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز كما قال الترمذي في المسند
من حديث شداد بن اوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وبالجملة فحسن الظن
انما يكون مع انعقاد اسباب النجاة واما مع انعقاد اسباب الهلاك فلا يتأتى
احسان الظن فان قيل بل يتأتى ذلك ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة
الله ورحمته وعفوه وجوده وان رحمته سبقت غضبه وانه لا تنفعه العقوبة ولا يضره
العفو قيل الامر هكذا والله فوق ذلك واجل واكرم واجود وارحم ولكن انما يضع
ذلك في محله اللائق به فانه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة والانتقام وشدة
البطش وعقوبة من يستحق العقوبة فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته و

اسمائه

اسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوه فما ينفع
المجرم اسماؤه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض للعنته واوضع في محارمه وانتهك
حرماته بل حسن الظن ينفع من تاب وندم واقلع وبدل السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره
بالخير والطاعة ثم حسن الظن فهذا احسن الظن والاول غرور والله المستعان ولا تستطيل
هذا الفصل فان الحاجة اليه شديدة لكل احد ففرق بين حسن الظن بالله وبين
الغرة به قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
اولئك يرجون رحمة الله فجعل هؤلاء اهل الرجاء لا الظالمين والفاسقين
وقال تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان
ربك من بعدها لغفور رحيم فاخبر سبحانه انه بعد هذه الامور لمن اتاها غفور
رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجاء مواضعه والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه

فصل

وكثير من الجهال اعتمد على رحمة الله وعفوه وكرمه وضيعوا
امره ونهيه ونسوا انه شديد العقاب وانه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين
ومن اعتمد على العفو مع الاصرار فهو كالمعاند قال معروف رجاؤك لرحمة من
لا تطيعه من الخذلان والحمق وقال بعض العلماء من قطع عضوا منك في الدنيا
بسرقة ثلثة دراهم لا تأمن ان يكون عقوبته في الاخرة على نحو هذا وقيل للحسن
نراك طويل البكاء فقال اخاف ان يطرحني في النار ولا يبالي وسأل رجل
الحسن فقال يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالسة اقوام يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير

فقال والله لان تصحب اقواما يخوفونك حتى تدرك امنا خير لك من ان تصحب
اقواما يؤمنونك حتى يلحقك المخاوف وقد ثبت في الصحيحين من حديث
اسامة بن زيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور في النار
كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقول يا فلان ما اصابك الم تكن تأمرنا
بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم
عن المنكر واتيه وذكر الامام احمد من حديث ابي رافع قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبقيع فقال اف لك اف لك فظننت انه يريدني قال لا ولكن هذا فلان
بعثته ساعيا على ال فلان فغل نمرة فدرع الآن مثلها من نار وفي مسنده
ايضا من حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من
هؤلاء فقالوا خطباء من اهل النار الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وتنسون
انفسهم افلا يعقلون وفيه ايضا من حديثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم
فقلت من هؤلاء يا جبرائيل فقال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون
في اعراضهم وفيه ايضا عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا
مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله امنا بك وبما جئت
فهل

فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الله يقلبها
كيف يشاء وفيه ايضا عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل ما لي لم
ار ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك منذ خلقت النار وفي صحيح مسلم عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بانعم اهل الدنيا من اهل النار فيصبغ في النار
صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول
لا والله يا رب ويؤتى باشد الناس بؤسا في الدنيا من اهل الجنة فيصبغ
في الجنة صبغة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة
قط فيقول لا يا رب ما رأيت بؤسا قط ولا مر بي شدة قط وفي مسند احمد
ايضا من حديث البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض
فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا ثم قال
ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة
من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من اكفان الجنة وحنوط
من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه
فيقول اخرجي ايتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج تسيل
كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين

حتى يأخذها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك
وجدت على الارض فيصعدون فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة الا قالوا ما هذا
الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان باحسن اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا
حتى ينتهوا به الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها
الى السماء التي تليها حتى ينتهى بها الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا
كتاب عبدي في عليين واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم
ومنها اخرجهم تارة اخرى قال فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له
من ربك فيقول ربي الله عز وجل فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام
فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي
مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له
بابا الى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه
رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك هذا
يومك الذي كنت توعد فيقول له من انت فوجهك الوجه يجي بالخير فيقول
انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال وان
العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه من
السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجي ملك

الموت

الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله
وغضب قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبتل فيأخذها
فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كانتن
ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة
الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه التي كانوا
يسمى بها في الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الارض فتطرح روحه طرحا ثم
قرأ ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح
في مكان سحيق فتعاد روحه الى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من
ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم
فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوه
من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها
ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب
منتن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول
رب لا تقم الساعة وفي لفظ لاحمد ايضا ثم يقيض له اعمى اصم ابكم في يده مرزبة صح
لو ضرب بها جبلا كان ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة

اخرى فيصيح صيحة واحدة يسمعها كل شيء الا الثقلين قال ثم يفتح له بابا من النار
ويمهد له من فرش النار وفي المسند ايضا عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ بصر بجماعة فقال على ما اجتمع هولاء قيل على قبر يحفرونه ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبدر بين يدي اصحابه مسرعا حتى انتهى الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته من بين
يديه لانظر ما يصنع فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم اقبل علينا فقال اي اخواني
لمثل هذا اليوم فاعدوا وفي المسند من حديث بريدة قال خرج الينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فنادى ثلاث مرات يا ايها الناس
تدرون ما مثلي ومثلكم فقالوا الله ورسوله اعلم فقال انما مثلي ومثلكم
مثل قوم خافوا عدوا ياتيهم فبعثوا رجلا يترايا لهم فابصر العدو فاقبل
لينذرهم وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها
الناس اتيتم ثلث مرات وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما اسكر حرام وان على الله عز وجل
عهدا لمن شرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال قال
عرق اهل النار او عصارة اهل النار وفي المسند ايضا من حديث
ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع
ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع
الا وعليه ملك ساجد لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا

وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى
قال ابو ذر لوددت اني شجرة تعضد وفي المسند ايضا من حديث حذيفة قال
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا الى القبر قعد على شافيه
فجعل يردد بصره فيه ثم قال يضغط المؤمن ضغطة تزول منها حمائله ويملأ على
الكافر نارا والحمائل عروق الانثيين وفي المسند ايضا من حديث جابر قال
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ حين توفي فلما صلى الله عليه وسلم
ووضع في قبره وسوي عليه سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبحنا طويلا ثم كبر
فكبرنا فقيل يا رسول الله لم سبحت ثم كبرت فقال لقد تضايق على هذا العبد
الصالح قبره حتى فرجه الله عنه وفي صحيح البخاري عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى
عليه وسلم اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت
صالحة قالت قدموني قدموني وان كانت غير صالحة قالت يا ويلها اين يذهبون
بها يسمع صوتها كل شيء الا الانسان ولو سمعها الانسان لصعق وفي مسند احمد
من حديث ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس يوم
القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا يغلي منها الرؤس كما تغلي
القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم منهم من يبلغ الى كعبيه ومنهم من يبلغ
الى ساقيه ومنهم من يبلغ الى وسطه ومنهم من يلجمه العرق وفيه عن ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن

وحنى جبهته يسمع متى يؤمر فينفخ فقال اصحابه كيف نقول قال قولوا حسبنا الله
ونعم الوكيل على الله توكلنا وفي المسند ايضا عن ابن عمر يرفعه من تعظم في نفسه او اختال
في مشيته لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان وفي الصحيحين عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان المصورين يعذبون يوم القيامة ويقال احيوا ما خلقتم و
فيهما عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة
والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار
فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل يوم القيامة وفيهما ايضا عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار جيء بالموت
حتى يوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة خلود فلا موت
ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار
حزنا الى حزنهم وفي المسند عنه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام
لم تقبل له صلوة ما دام عليه ثم ادخل اصبعيه في اذنيه ثم قال صمتا ان لم اكن
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله وفيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة سكرا مرة واحدة فكانما كانت له الدنيا
وما عليها فسلبها ومن ترك الصلوة سكرا اربع مرات كان حقا على الله ان يسقيه
طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال عصارة اهل جهنم وفيه ايضا عنه
مرفوعا من شرب من الخمر شربة لم يقبل له صلوة اربعين صباحا فان تاب تاب الله

فلا

فلا ادري في الثالثة او في الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله ان يسقيه من ردغة
الخبال يوم القيامة وفي المسند ايضا من حديث ابي موسى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مات مدمنا للخمر سقاه الله من نهر الغوطة قيل وما نهر الغوطة
قال نهر يجري من فروج المومسات يؤذي اهل النار ريح فروجهن وفيه عنه ايضا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلث
عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك
تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله وفي المسند ايضا من حديث
ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن
يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه فضرب لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا
كمثل قوم نزلوا بارض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود
والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا واججوا نارا فانضجوا خبزتهم ما قذفوا فيها
وفي الصحيح من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضرب الجسر على جهنم فاكون اول من يجيز ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم
وحافتيه كلاليب مثل شوك السعدان تخطف الناس باعمالهم فمنهم الموبق بعمله
ومنهم المخردل ثم ينجو حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد واراد ان يخرج
من النار من اراد ممن يرحم ممن كان يشهد ان لا اله الا الله امر الملائكة ان
يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة اثار السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم من ماء

يقال له ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل وفي صحيح مسلم عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الناس يقضى بينهم يوم
القيامة ثلاثة رجل استشهد فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال
قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكن قاتلت ليقال هو جرئ فقد
قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القى في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن
فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت
فيك القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت
القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القى في النار
ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله فاتى به فعرفه نعمه فعرفها
فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت
فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به
فسحب على وجهه حتى القى في النار وفي لفظ هؤلاء اول خلق تسعر بهم النار يوم
القيامة وسمعت شيخ الاسلام يقول كما ان خير الناس الانبياء فشر
الناس من تشبه بهم من الكذابين وادعى انه منهم وليس منهم فخير الناس
بعدهم العلماء والشهداء والمتصدقون المخلصون وشر الناس من تشبه بهم
يوهم انه منهم وليس منهم وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت عنده لاخيه مظلمة في مال وعرض فليأته

فليستحلها

فليستحلها منه قبل ان يؤخذ وليس عنده دينار ولا درهم فان كانت له حسنات
اخذ من حسناته فاعطيها هذا والا اخذ من سيئات هذا فطرحت عليه ثم طرح
في النار وفي الصحيح من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من اخذ شبرا من الارض بغير حق خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين وفي الصحيحين
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو ادم جزء
واحد من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال فانها قد
فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وفي المسند عن معاذ رضي الله عنه
قال اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشرك بالله شيئا وان قتلت
وحرقت ولا تعقن والديك وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك ولا تتركن
صلوة مكتوبة متعمدا فمن ترك صلوة واحدة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله
ولا تشربن خمرا فانه راس كل فاحشة واياك والمعصية فان المعصية تحل سخط الله
والاحاديث في هذا الباب اضعاف اضعاف ما ذكرنا ولا ينبغي لمن نصح نفسه ان
يتعامى عنها ويرسل نفسه في المعاصي ويتعلق بحبل حسن الظن قال ابو الوفا ابن
عقيل احذروا ولا تغتروا فانه قطع اليد في ثلثة دراهم وجلد الحد في مثل راس
الابرة من الخمر وقد دخلت امرأة النار في هرة واشتعل الشملة نارا على من غلها وقد
قتل شهيدا قال الامام احمد حدثنا معاوية حدثنا الاعمش عن سليمان بن ميسرة
عن طارق بن شهاب يرفعه قال دخل رجل النار في ذباب ودخل رجل الجنة في

ذبابة قالوا كيف ذلك يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم
لا يجوزه احد حتى يقرب له شيئا فقالوا لاحدهما قرب فقال ليس عندي شيء فقالوا
قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للاخر قرب فقال
ما كنت لاقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة وان
الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب
وربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا وانه لا يغير به
ويظن ذلك من محبة الله له وانه يعطيه في الاخرة افضل من ذلك وهذا
من الغرور قال الامام احمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين بن سعد عن
حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا رايت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو
استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء
حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال بعض السلف
اذا رايت الله يتابع نعمه عليك وانت مقيم على معاصيه فاحذره فانما هو استدراج
منه يستدرجك به وقد قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون
ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع
الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقد رد سبحانه على من يظن هذا
الظن

الظن بقوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه فيقول
ربي اهانن كلا اي ليس كل من نعمته ووسعت عليه رزقه اكون قد اكرمته
ولا كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه اكون قد اهنته بل ابتلي هذا بالنعمة
واكرم هذا بالابتلاء وفي جامع الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله
يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحبه وقال بعض
السلف رب مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم ورب مغرور بستر الله
عليه وهو لا يعلم ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم

فصل واعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا وعاجلها فاثرها على
الاخرة ورضي بها حتى يقول بعض هولاء الدنيا نقد والاخرة
نسيئة والنقد انفع من النسيئة ويقول بعضهم ذرة منقودة ولا ذرة
موعودة ويقول اخر منهم لذات الدنيا متيقنة ولذات الاخرة مشكوك
فيها ولا ادع اليقين للشك وهذا من اعظم تلبيس الشيطان وتسويله والبهائم
العجم اعقل من هولاء فان البهيمة اذا خافت مضرة شيء لم تقدم عليه ولو
ضربت وهولاء يقدم احدهم على عطبه وهو بين مصدق ومكذب فهذا
الضرب ان امن احدهم بالله ورسوله ولقائه والجزاء فهو اعظم الناس
حسرة لانه اقدم على علم وان لم يؤمن بالله ورسوله فابعد له وقول هذا
القائل النقد خير من النسيئة جوابه اذا تساوى النقد والنسيئة فالنقد خير وان

تفاوتا وكانت النشئة اكثر وافضل فهي خير فكيف والدنيا من اولها الى آخرها كنفس واحد من انفاس الآخرة كما في المسند للامام احمد والترمذي من حديث المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع فايثار هذا النقد على هذه النشئة من اعظم الغبن واقبح الجهل واذا كان هذا نسبة الدنيا بمجموعها الى الآخرة فما مقدار عمر الانسان بالنسبة الى الآخرة فايما اولى بالعاقل ايثار العاجل في هذه المدة اليسيرة وحرمان الخير الدائم في الآخرة ام ترك شيئ حقير صغير منقطع عن قريب ليأخذ ما لا قيمة له ولا خطر له ولا نهاية لعدده ولا غاية لامده واما قول الاخر متيقنا لمشكوك فيه فيقال له اما ان تكون على شك من وعد الله ووعيده وصدق رسله او ان تكون على يقين من ذلك فان كنت على يقين فما تركت الا ذرة عاجلة منقطعة فانية عن قريب لامر متيقن لا شك فيه ولا انقطاع له وان كنت على شك فراجع آيات الرب تعالى الدالة على وجوده وقدرته ومشيته ووحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به عنه وتجرد وقم لله ناظرا او مناظرا حتى يتبين لك انما جاءت به الرسل عن الله فهو الحق الذي لا شك فيه وان خالق هذا العالم ورب السموات والارض يتقدس ويتنزه عن خلاف ما اخبرت به رسله عنه ومن نسبه الى غير ذلك فقد شتمه وكذبه وانكر ربوبيته وملكه اذ من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة

ان

ان الملك الحق عاجزا او جاهلا لا يعلم شيئا ولا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعز من يشاء ولا يذل من يشاء ولا يرسل رسله الى اطراف مملكته ونواحيها ولا يعتني باحوال رعيته بل يتركهم سدا ويخليهم هملا وهذا القدح في ملك احاد ملوك البشر ولا يليق به فكيف يجوز نسبته الملك الحق المبين اليه فاذا تأمل الانسان حاله من مبدا كونه نطفة الى حين كماله واستوائه تبين ان من عني به هذه العناية ونقله في هذه الاطوار لا يليق به ان يهمله ويتركه سدى لا يأمره ولا ينهاه ولا يعرفه حقوقه عليه ولا يثيبه ولا يعاقبه ولو تأمل العبد حق التأمل لكان كل ما يبصره وما لا يبصره دليلا على التوحيد والنبوة والمعاد وان القرآن كلامه وقد ذكرنا وجه الاستدلال بذلك في كتاب اقسام القرآن عند قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وذكرنا طرفا من ذلك عند قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وان الانسان دليل نفسه على وجود خالقه وتوحيده وصدق رسله واثبات صفات كماله فقد بان ان المضيع مغرور على التقديرين تقدير تصديقه ويقينه وتقدير تكذيبه وشكه فان قلت كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار وتخلف العمل وهل في الطباع البشرية ان يعلم العبد انه مطلوب غدا الى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه اشد عقوبة او يكرمه ام كرامة يبيت ساهيا غافلا ولا يذكر موقفه بين يدي الملك ولا يستعد له ولا

ولا يأخذ له اهبته قبل هذا العمر والله سؤال صحيح وارد على كثير هذا الخلق
واجتماع هذين الامرين من اعجب الاشيا وهذا التخلف له عدة اسباب
احدهما ضعف العلم ونقصان اليقين ومن ظن ان العلم لا يتفاوت
فقوله من افسد الاقوال وابطلها وقد سأل ابرهيم الخليل ربه ان يريه احيا
الموتى عيانا بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ليزداد طمانينة ويصير المعلوم غيبا
شهادة وقد روى احمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الخبر
كالمعاين فاذا اجتمع الى ضعف العلم عدم استحضاره وغيبته عن القلب في
كثير من اوقاته او اكثرها لاشتغاله بما يضاده وانضم ذلك الى تقاضي الطبع
وغلبات الهوى واستيلاء الشهوة وتسويل النفس وغرور الشيطان واستبطاء
الوعد وطول الامل ورقدة الغفلة وحب العاجلة ورخص التاويل والف
العوائد فهناك لا يمسك الايمان الا الذي يمسك السموات والارض
ان تزولا ولهذا السبب تتفاوت القلب وجمع هذه الاسباب ترجع
الى البصيرة والصبر ولهذا سبحانه مدح اهل البصيرة واليقين وجعلهم ائمة الدين
قال تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون
فصل وقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور وان حسن الظن
ان حمل على العمل وحث عليه وساق اليه فهو صحيح وان دعى الى البطالة و
الانهماك في المعاصي فهو غرور وحسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاؤه

هاديا له

هاديا له الى الطاعة زاجرا له عن المعصية فهو رجاء صحيح ومن كانت بطالته
رجاء ورجاؤه بطالة وتفريطا فهو المغرور ولو ان رجلا له ارض يؤمل
ان يعود عليه من مغلها ما ينفعه فاهملها ولم يبذرها ولم يحرثها وحسن ظنه
بانه يأتي من مغلها ما يأتي من حرث وبذر وسقي وتعاهد الارض
لعده الناس من اسفه السفهاء وكذلك لو حسن ظنه وقوي رجاؤه
بان يجيئه ولد من غير جماع او يصير اعلم اهل زمانه من غير طلب للعلم وحرص
تام وامثال ذلك وكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات
العلى والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب الى الله بامتثال اوامره واجتناب
نواهيه وبالله التوفيق وقد قال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فتامل كيف جعل رجاءهم
اتيانهم بهذه الطاعات وقال المغترون ان المفرطين المضيعين حقوق
الله المعطلين لاوامره الباغين على عباده المتجرئين على محارمه اولئك
يرجون رحمة الله وسر المسئلة ان الرجاء وحسن الظن انما يكون مع الاتيان
بالاسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته فيأتي
العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه ان لا يكله اليها وان يجعلها موصلة الى
الیها صح
ما ينفعه ويصرف عنه ما يعارضها ويبطل اثرها **فصل** ومما ينبغي
ان يعلم ان من رجا شيئا استلزم رجاؤه امورا احدها محبة ما يرجوه

الثاني خوفه من فواته الثالث سعيه في تحصيله بحسب الامكان وما رجاء
لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الاماني والرجاء شيء والاماني شيء

وعدة الشيطان صح

آخر فكل راج خائف والسائر على الطريق اذا خاف اسرع السير مخافة الفوات
وفي جامع الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية
الا ان سلعة الله هي الجنة وهو سبحانه كما جعل الرجاء لاهل الاعمال

الصالحة فكذلك جعل الخوف لاهل الاعمال السيئة صح

فعلم ان الرجاء والخوف
النافع هو ما اقترن به العمل الصالح قال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون و
الذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون
في الخيرات وهم لها سابقون. وقد روى الترمذي في جامعه عن
عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن هذه الآية اهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون قال لا يا
ابنة الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ان
لا يقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات وقد روي من حديث
ابي هريرة ايضا والله سبحانه وصف اهل السعادة بالاحسان مع الخوف
ووصف الاشقياء بالاساءة مع الامن ومن تأمل احوال الصحابة رضي الله
عنهم والتابعين وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط

والامن

والامن فهذا الصديق يقول وددت اني شعرة في جنب عبد مؤمن ذكره احمد
وذكر عنه انه كان يمسك بلسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد وكان
يبكي كثيرا ويقول ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وكان اذا قام الى الصلاة
كانه عود من خشية الله عز وجل واتي بطائر فقلبه ثم قال ما صيد من صيد
ولا قطعت من شجرة الا بما ضيعت من التسبيح ولما احتضر قال لعائشة يا بنية
اني اصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذه الحلاب وهذا العبد فاسرعي

فاسرعي بيان

بهم الى ابن الخطاب وقال والله لوددت اني هذه الشجرة تؤكل وتعضد
وقال قتادة بلغني ان ابا بكر قال وددت اني خضرة تأكلني الدواب وهذا
عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور حتى بلغ الى ان عذاب ربك لواقع بكى واشتد

الطور صح

بكاؤه حتى مرض وعادوه وقال لابنه وهو في الموت ويحك ضع خدي
على الارض عساه ان يرحمني ثم قال ويل امي ان لم يغفر لي ثلاثا ثم قضى
وكان يمر بالآية في ورده بالليل فتخيفه فيبقى في البيت اياما يعاد يحسبونه
مريضا وكان في وجهه رضي الله عنه خطان اسودان من البكاء وقال له ابن عباس
مصر الله بك الامصار وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال وددت اني
احوى لا اجر ولا وزر وهذا عثمان بن عفان كان اذا وقف على القبر يبكي

انجو

حتى يبل لحيته وقال لو انني بين الجنة والنار لا ادري الى ايتهما يؤمر بي لاخترت
ان اكون رمادا قبل ان اعلم الى ايتهما اصير وهذا علي بن ابي طالب رضي الله عنه

وبكاؤه وخوفه وكان يشتد خوفه من اثنين من طول الامل واتباع الهوى
قال فاما طول الامل فينسي الاخرة واما اتباع الهوى فيصد عن الحق الا
وان الدنيا قد ولت مدبرة والاخرة قد جاءت مقبلة ولكل واحدة بنون فكونوا
من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا
حساب ولا عمل وهذا ابو الدرداء يقول ان اشد ما اخاف على نفسي يوم القيامة
ان يقال لي يا ابا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت وكان يقول لو
تعلمون ما انتم لاقون بعد الموت لما اكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم
شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعيد تضربون
صدوركم وتبكون على انفسكم لوددت اني شجرة تعضد وتؤكل وكان عبد الله
بن عباس اسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع وكان ابو ذر يقول
يا ليتني كنت شجرة تعضد وددت اني لم اخلق وعرضت عليه النفقة فقال عندنا
عنز نحلبها واحمرة تنقل علينا الماء ومحرر يخدمنا وفضل عباءة واني اخاف
الحساب فيها وقرا تميم الداري ليلة سورة الجاثية فلما اتى على هذه الاية
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات
سواء جعل يرددها يبكي حتى اصبح وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش
فذبحني اهلي واكلوا لحمي وحسوا مرقي وهذا باب يطول تتبعه قال البخاري
في صحيحه باب خوف المؤمن من ان يحبط عمله وهو لا يشعر وقال ابرهيم التيمي ما عرضت

قولي

قولي على عملي الا خشيت ان اكون مكذبا وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على انفسهم ما منهم احد يقول انه على ايمان
جبريل وميكائيل ويذكر عن الحسن ما خافه الا مؤمن ولا امنه الا منافق وكان
عمر بن الخطاب يقول لحذيفة انشدك الله هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعن في المنافقين فيقول لا ولا ازكي بعدك احدا فسمعت شيخنا يقول يعني بيان
ليس مراده اني لا ابرئ غيرك من النفاق بل المراد لا افتح على هذا الباب
فكل من سالني هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فازكيه قلت وقريب
من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي ساله ان يدعو له ان يكون من
السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب سبقك بها عكاشة
ولم يرد ان عكاشة وحده احق بذلك ممن عداه من الصحابة ولكن لو دعا
له لقام اخر واخر وانفتح وربما قام من لم يستحق ان يكون منهم فكان
الامساك اولى والله اعلم **فصل** فلنرجع الى ما كنا فيه
من ذكر ذي الداء الذي ان استمر افسد دين العبد واخرته فمما ينبغي
ان يعلم ان الذنوب تضر ولا بد وان ضررها في القلوب كضرر السموم
في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والاخرة
شر وداء الا وسببه الذنوب والمعاصي فما الذي اخرج الابوين من الجنة
دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور الى دار الالام والاحزان والمصائب وما الذي

استدراك بيان

اخرج ابليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت
صورته اقبح صورة اشنعها وباطنه اقبح من صورته واشنع وبدل بالقرب بعداً
وبالرحمة لعنه وبالجمال قبحاً والجنة ناراً تلظى وبالايمان كفرا وبموالاة المولى
الحميد اعظم عداوة الولى ومسافه وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر
والفسوق والشرك والكذب والزور والفحش ولباس الايمان لباس
الكفر والفسوق والعصيان وهان على الله غاية الهوان وسقط من عينه
غاية السقوط وحل عليه غضب الرب تعالى فاهواه ومقته البر المقت فارداه
فصار قواداً لكل فاسق ومجرم رضى لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة
والسيادة فعياذاً بك اللهم من مخالفة امرك وارتكاب نهيك وما
الذى اغرق اهل الارض كلهم حتى علا الماء فوق رؤس الجبال وما
الذى سلط الريح على قوم عاد القتهم موتى على وجه الارض كانهم اعجاز نخل
خاوية ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم
حتى صاروا عبرة للامم الى يوم القيامة وما الذى ارسل على قوم ثمود الصيحة
حتى قطعت قلوبهم فى اجوافهم وماتوا عن اخرهم وما الذى رفع قرى اللوطية
حتى سمعت الملائكة بنيح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فا
هلكتهم جميعا ثم اتبعهم حجارة من السماء امطرها عليهم فجمع عليهم من
من هذه الامة وغيرهم صح العقوبة ما لم يجمعه على امة غيرهم ولاخوانهم امثالها وما هى من الظالمين ببعيد

بلك بيان

القتهم بيان

وما الذ

وما الذى ارسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق رؤسهم
امطر عليهم ناراً تلظى وما الذى اغرق فرعون وقومه فى البحر ثم نقلت ارواحهم
الى جهنم فالاجساد للغرق والارواح للحرق وما الذى خسف بقارون داره
وماله واهله وما الذى اهلك القرون من بعد نوح بانواع العقوبات
دمرها تدميرا وما الذى اهلك قوم يس بالصيحة ثم خمدوا عن اخرهم وما الذى
بعث على بنى اسرائيل قوما اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا
الرجال وسبوا الذرية والنساء واحرقوا الديار ونهبوا الاموال ثم بعثهم
عليهم مرة ثانية فاهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرا وما الذى
سلط عليهم انواع العقوبات مرة بالقتل والسبى واخراب البلاد ومرة
بجور الملوك ومرة بمسخهم قردة وخنازير واخر ذلك اقسم الرب تبارك
وتعالى ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال
الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو وحدثنى عبد
الرحمن ابن جبير بن نفير عن ابيه قال لما فتحت قبرس فرق بين اهلها
فبكى بعضهم الى بعض رايت ابا الدرداء جالسا وحده يبكى فقلت
يا ابا الدرداء ما يبكيك فى يوم اعز الله فيه الاسلام واهله فقال ويحك
يا جبير ما اهون الخلق على الله عز وجل اذا اضاعوا امره بينما هى امة قاهرة
ظاهرة لهم الملك تركوا امر الله فصاروا الى ما ترى وقال على بن الجعد

صار صح

ابن سعبه عن عمرو بن قال سمعت البحترى يقول اخبرنى من سمع النبى صلى الله عليه [اعذر فلان اى اعتذر وليس له عذر قاموس]
وسلم يقول لن تهلك الناس حتى يعذروا من انفسهم وفى مسند احمد من
حديث ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ظهرت
المعاصى من امتى عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله اما فيهم يومئذ
اناس صالحون قال بلى قالت فكيف يصنع باولئك قال يصيبهم ما اصاب
الناس ثم يصيرون الى مغفرة من الله ورضوان وفى مراسيل الحسن عن النبى صلى
الله عليه وسلم لاتزال هذه الامة تحت يد الله وفى كنفه مالم يمالئ قراؤها [يمالئ نسخه]
امراءها ومالم يزك صلحاؤها فجارها ومالم يهن خيارها اشرارها فاذا [يذل نسخه]
هم فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم
سوء العذاب ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر وفى المسند من حديث
ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليحرم الرزق
بالذنب يصيبه وفيه ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوشك ان تداعى عليكم الامم من كل افق كما تداعى الاكلة على قصعتها
قلنا يا رسول الله امن قلة بنا يومئذ قال انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء [مثاف]
كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن [اى الضعف]
قالوا وما الوهن [اى سببه] قال حب الحياة وكراهة الموت وفى المسند من حديث
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم

اهم اظفار

لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هولاء يا جبرئيل
قال هولاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم وفى جامع الترمذى
من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج فى
آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس مسوك الضان من اللين
السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل ابى يغترون
وعلى يجترون فبى حلفت لابعثن على اولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيرانا
وذكر ابن ابى الدنيا من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال على يأتى
على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه
مساجدهم يومئذ عامرة وهى خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت اديم [اديم بيان]
السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود وذكر من حديث سماك عن عبد الرحمن
بن عبد الله بن مسعود عن ابيه قال اذا ظهر الزنا والربا فى قرية اذن الله عز وجل
باهلاكها ومن مراسيل الحسن اذا اظهر الناس العلم وضيعوا العمل وتحابوا
بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الارحام لعنهم الله عز وجل
عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم وفى سنن ابن ماجه من حديث
عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال كنت عاشر عشرة رهط من
المهاجرين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوجهه فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال واعوذ بالله ان تدركوهن ما ظهرت

الفاحشة في قوم حتى اعلنوا بها الا ابتلوا بالطواعين والاوجاع التي لم
يكن في اسلافهم الذين مضوا ولا نقص قوم من المكيال والميزان الا ابتلوا با
لسنين وشدة المؤنة وجور السلطان وما منع قوم زكاة اموالهم الا منعوا
القطر من السماء فلولا البهائم لم يمطروا ولا خفر قوم العهد الا سلط
الله عليهم عدوهم من غيرهم فاخذوا بعض ما في ايديهم وما لم تحكم ائمتهم بما
انزل الله عز وجل في كتابه الا جعل بأسهم بينهم وفي المسند والسنن
من حديث عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن ابي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم كان
اذا عمل فيهم العامل بالخطيئة جاءه الناهي تعذيرا فاذا كان الغد جالسه | عذر لطه بالعذر
واكله وشاربه كأن لم يره على خطيئة بالامس فلما رأى الله عز وجل ذلك
منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى | بقلوب بيان
بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفس محمد بيده لتأمرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على
الحق اطرا او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم وذكر ابن ابي الدنيا | الاطر في الحبس
عن ابرهيم بن عمرو الصنعاني قال اوحى الله الى يوشع بن نون اني مهلك
من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم قال يا رب
هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي يعني لم يأمروا

بالمعروف

بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم وذكر ابو
عمرو بن عبد البر عن بهزان قال بعث الله عز وجل ملكين الى قرية ان دمراها
بمن فيها فوجدوا فيها رجلا قائما يصلي في مسجد فقالا يا رب ان فيها
عبدك فلانا يصلي فقال الله عز وجل دمراها ودمراه معهم فانه
ما تمعر وجهه في قط وذكر الحميدي عن سفين ابن عيينة قال حدثني سفيان بن سعيد عن
مسعر ان ملكا امر ان يخسف بقرية فقال يا رب ان فيها فلانا العابد
فاوحى الله عز وجل اليه ان به فابدأ فانه لم يتمعر وجهه في ساعة قط وذكر
ابن ابي الدنيا عن وهب بن منبه قال لما اصاب داود الخطيئة قال يا رب
اغفر لي قال قد غفرتها لك والزمت عارها بني اسرائيل قال يا رب
كيف وانت الحكم العدل لا تظلم احدا اعمل انا الخطيئة وتلزم عارها غيري
فاوحى الله اليه انك لما عملت الخطيئة لم يعجلوا عليك بالانكار وذكر ابن ابي الدنيا
عن انس بن مالك انه دخل على عائشة هو ورجل آخر فقال لها الرجل يا ام
المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت اذا استباحوا الزنا وشربوا
الخمر وضربوا بالمعازف غار الله عز وجل في سمائه فقال للارض تزلزلي
بهم فان تابوا ونزعوا والا هدمها عليهم قال يا ام المؤمنين اعذابا
لهم قالت بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالا وعذابا وسخطا على الكافرين
فقال انس ما سمعت حديثا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اشد فرحا مني

واوحى الله الى بعض الانبياء ان قل لقومك لا يسكنوا مساكن اعدائي ولا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يركبوا مراكب اعدائي ولا يطعموا مطاعم اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم اعدائي صح

بهذا الحديث وذكر ابن ابي الدنيا حديثا مرسلا ان الارض تزلزلت على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فقال لها اسكني فانه
لم يأن لك بعد ثم التفت الى الصحابة فقال ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ثم
تزلزلت بالناس على عهد عمر بن الخطاب فقال ايها الناس ما كانت هذه الز
لزلة الا عن شيء احدثتموه والذي نفسي بيده لان عادت لا اساكنكم فيها ابدا
وفي مناقب عمر لابن ابي الدنيا ان الارض زلزلت على عهد عمر فضرب يده عليها
وقال مالك اما انها لو كانت القيامة حدثت اخبارها سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة فليس فيها ذراع ولا شبر الا وهو
ينطق وذكر الامام احمد عن صفية قالت زلزلت المدينة على عهد عمر فقال
يا ايها الناس ما هذا ما اسرع ما احدثتم لان عادت لا اساكنكم فيها
وقال كعب انما تزلزل الارض اذا عمل فيها المعاصي فترعد فرقا من الرب
جل جلاله ان يعصى عليها وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار اما بعد فان
هذا الرجف شيء يعاقب الله عز وجل به العباد وقد كتبت الى الامصار
ان يخرجوا في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا فمن كان عنده شيء فليتصدق
فان الله عز وجل يقول قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقولوا كما
قال آدم ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين وقولوا كما قال يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين

احدثتم بيان

ان يطلع نسخة

وقولوا كما قال نوح لئن لم ترحمني اكن من الخاسرين صح

وقال

وقال الامام احمد حدثنا اسود بن عامر حدثنا ابو بكر عن الاعمش عن عطاء بن ابي ر
باح عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس بالدينار
والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا اذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله
انزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم ورواه ابو داود
باسناد حسن وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر قال لقد رأيتنا وما كان
احد منا احق بديناره ودرهمه من اخيه المسلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتركوا
الجهاد واخذوا اذناب البقر انزل الله عليهم من السماء بلاء فلا يرفعه
عنهم حتى يراجعوا دينهم وقال الحسن ان الفتنة والله ما هي الا العقوبة
من الله عز وجل على الناس ونظر بعض انبياء بني اسرائيل الى ما يصنع
بختنصر فقال يا رب بما كسبت ايدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا
وقال بختنصر لدانيال عليه السلام ما الذي سلطني على قومك قال عظم خطيئتك وظلم
قومي انفسهم وذكر ابن ابي الدنيا من حديث عمار بن ياسر وحذيفة عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا اراد بالعباد نقمة امات
الاطفال واعقم الارحام النساء فتنزل النقمة وليس فيهم مرحوم وذكر عن
مالك بن دينار قال قرأت في الحكمة يقول الله عز وجل انا الله مالك الملوك
قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة

ضنّ اي بخل

العينة بيع سلعة الى اجل معلوم ثم اخذ البائع من المشتري بثمن بخس دراهم معدودة بطريقة الربا

عقوبة نسخة

بختنصر نسخة

فلا تشتغلوا انفسكم بسبّ الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم ومن مراسيل
الحسن اذا اراد الله بقوم خيرًا جعل امرهم الى حكمائهم وفيئهم عند سمحائهم
واذا اراد الله بقوم شرًا جعل امرهم الى سفهائهم وفيئهم عند بخلائهم وذكر الامام احمد
وغيره عن قتادة قال موسى يارب انت في السماء ونحن في الارض فما علامة
غضبك من رضاك قال اذا استعملت عليكم خياركم فهو من علامة رضائي عليكم واذا استعملت عليكم شراركم فهو من علامة سخطي
عليكم وذكر ابن ابي الدنيا عن الفضيل بن عياض قال اوحى الله الى بعض الانبياء
اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني وذكر ايضا من حديث رفعه
والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يبعث الله امراء كذبة ووزراء فجرة
واعوانا خونة وعرفا ظلمة وقراء فسقة سيماهم سيماء الرهبان وعلماء دهنة وقلوبهم
انتن من الجيف اهوائهم مختلفة فيفتح الله لهم فتنة غبراء مظلمة فيتهاوكون
فيها والذي نفس محمد بيده لينقضن الاسلام عروة عروة حتى لا يقال الله
الله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم
شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم لتأمرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا
يوقر كبيركم وفي معجم الطبراني وغيره من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طفف قوم كيلا ولا بخسوا ميزانا
الا منعهم الله عز وجل القطر وما ظهر في قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما ظهر
في قوم

خيرًا

جعل صح

علينا صح

رضائي عليكم واذا استعملت عليكم شراركم فهو من علامة صح

وعلماء دهنة صح

لينقضن نسخة

اي انت الغني المغني العلي

اي انت في بعد الاخرى ونحن في [illegible] الدنيا

في قوم الربا الا سلط الله عليهم الجنون ولا ظهر في قوم القتل يقتل بعضهم بعضا
الا سلط الله عدوهم عليهم ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط الا ظهر فيهم الخسف وما
ترك قوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا لم ترفع اعمالهم ولم يسمع دعاؤهم
ورواه ابن ابي الدنيا من حديث ابرهيم ابن اشعث عن عبد الرحمن بن زيد عن ابيه
عن سعيد وفي المسند وغيره من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حضره النفس فعرفت في وجهه ان قد حضره شيء فما
تكلم حتى توضا وخرج فلصقت بالحجرة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال
يا ايها الناس ان الله عز وجل يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوني
فلا اجيبكم وتستنصروني فلا انصركم وتسألوني فلا اعطيكم وقال العمري الزاهد
ان من غفلتك عن نفسك واعراضك عن الله ان ترى ما يسخط الله فتتجاوزه ولا
تأمر فيه ولا تنهى عنه خوفا ممن لا يملك ضرا ولا نفعا وقال من ترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر مخافة من المخلوقين نزعت منه الطاعة ولو امر ولده او بعض مواليه
لاستخف بحقه وذكر الامام احمد في مسنده من حديث قيس بن ابي حازم قال قال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه ايها الناس انكم تتلون هذه الآية وانتم تضعونها
على غير مواضعها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم فلم
يأخذوا على يديه وفي لفظ اذا راوا المنكر فلم يغيروه اوشك الله ان يعمهم بعقاب

من عنده وذكر الاوزاعي عن يحيى ابن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخفيت الخطيئة لم تضر الا صاحبها واذا ظهرت
فلم تغير ضرت العامة وذكر الامام احمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوشك القرى
ان تخرب وهي عامرة قيل وكيف تخرب وهي عامرة قال اذا علا فجارها ابرارها
وساد القبيلة منافقوها اي السيد وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال سيظهر شرار امتي على خيارها حتى يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق
فينا اليوم وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عباس يرفعه قال يأتي زمان
يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء قيل مما ذاك يا رسول الله قال
مما يرى من المنكر لا يستطيع ان يغيره وذكر امام احمد من جرير ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اعز واكثر ممن يعمله لم يغيروه الا عمهم
الله بعقاب وفي صحيح البخاري عن اسامة ابن زيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه
في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه اهل النار فيقولون اي فلان
ما شانك الست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم
بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه وذكر الامام احمد عن مالك بن دينار
قال كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء فيعظهم ويذكرهم (حبر بيان)
بايام الله فرأى بعض بنيه يوما يغمز النساء فقال مهلا يا بني فسقط من سريره فا

نقطع

العمز صمغ عصر كبي اخ

يعني نخاعه

نقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه فاوحى الله الى نبيهم ان اخبر فلانا اني (الحبر)
لا اخرج من صلبك صديقا ابدا ما كان غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا
يا بني وذكر الامام احمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا بارض فلاة فحضر صنيع القوم
فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود حتى جمعوا سوادا عظيما واججوا نارا وانضجوا ما قذفوا (والرجل يجيء بالعود صح)
فيها وفي صحيح البخاري عن انس بن مالك قال انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من
الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وفي الصحيحين
من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت
امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت النار لا هي اطعمتها ولا سقتها ولا
تركتها تاكل من خشاش الارض وفي الحلية لابي نعيم عن حذيفة انه قيل له في يوم واحد
تركت بنو اسرائيل دينهم قال لا ولكنهم كانوا اذا امروا بشيء تركوه
واذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه
ومن ههنا قال بعض السلف المعاصي بريد الكفر كما ان القبلة بريد الجماع
والغناء بريد الزنا والنظر بريد العشق والمرض بريد الموت وفي الحلية ايضا عن
ابن عباس انه قال يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته ولما يتبع الذنب
اعظم من الذنب اذا عملته قلة حيائك ممن هو على اليمين وعلى الشمال وانت

على الذنب اعظم من الذنب وضحك وانت لا تدرى ما الله صانع بك اعظم
من الذنب وفرحك بالذنب اذا ظفرت به اعظم من الذنب وحزنك على الذنب
اذا فاتك اعظم من الذنب وخوفك من الريح اذا حركت ستر بابك وانت على
الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله اليك اعظم من الذنب ويحك هل تدرى
الذنب صح
ما كان ذنب ايوب فابتلاه الله بالبلاء فى جسده وذهاب ماله استغاث
به مسكين على ظالم يدرأه عنه فلم يغثه ولم ينه الظالم عن ظلمه فابتلاه الله
بما ابتلاه صح
وقال الامام احمد حدثنا الوليد قال سمعت الاوزاعى يقول سمعت بلال بن سعد
يقول لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت وقال الفضيل بن عياض
الى من صح
بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله وبقدر ما يعظم عندك يصغر
عند الله وقيل اوحى الله الى موسى يا موسى ان اول من مات من خلقى ابليس وذلك
انه عصانى وانما اعد من عصانى من الاموات وفى المسند وجامع الترمذى
اول من صح
من حديث ابى صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المؤمن اذا اذنب نكت فى قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر
صيقل قلبه وان زاد زادت حتى يعلو قلبه فذلك الران الذى ذكره
الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الترمذى هذا
حديث صحيح وقال حذيفة اذا اذنب العبد نكت فى قلبه نكتة سوداء
حتى يصير قلبه كالشاة الربداء وقال الامام احمد حدثنا يعقوب ثنا ابى صالح

عن

عن ابن شهاب حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما بعد يا معشر قريش فانكم اهل هذا الامر ما لم تعصوا
الله فاذا عصيتموه بعث عليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب لقضيب فى يده ثم لحى
قضيبه فاذا هو ابيض يصلد وذكر الامام احمد عن وهب ان الرب عز وجل قال فى بعض
ما يقول الله عز وجل انى اذا اطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس لبركتى نهاية
فاذا عصيت غضبت واذا غضبت لعنت ولعنتى تبلغ السابع من الولد وذكر
ايضا عن وكيع حدثنا زكريا عن عامر قال كتبت عائشة رضى الله عنها الى معاوية
اما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاما وذكر ابو نعيم عن
سالم بن ابى الجعد عن ابى الدرداء قال ليحذر امرء ان تلعنه قلوب المؤمنين من
حيث لا يشعر ثم قال اتدرى مما هذا قلت لا ادرى قال ان العبد يخلو بمعاصى الله فيلقى
قيل له فكيف تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر صح
الله بغضه ~~الذنب~~ فى قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر وذكر عبد الله بن احمد فى كتاب
الزهد لابيه عن محمد بن سيرين انه لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال انى لاعرف هذا الغم
الدين صح
بذنب اصبته منذ اربعين سنة وههنا نكتة دقيقة يغلط فيها الناس فى امر الذنب
وهى انهم لا يرون تاثيره فى الحال وقد يتاخر تاثيره فينسى ويظن العبد انه لا يغبر بعد ذلك
والامر كما قال اذا لا يغبر صح
فى وقوعه فليس له بعد الوقوع عبار وسبحان الله ماذا اهلكت هذه البلية من الخلق
وكم ازالت من نعمة وكم جلبت من نقمة وما اكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء
فضلا عن الجهال ولم يعلم المغتر ان الذنب ينقض ولو بعد حين كما ينقض السم وكما ينقض
ينقض صح

الجرح المندمل على الغش والدغل وقد ذكر الامام احمد عن ابي الدرداء اعبدوا الله كأنكم
ترونه وعدوا انفسكم من الموتى واعلموا ان قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم واعلموا
ان البر لا يبلى وان الاثم لا ينسى ونظر بعض العباد الى صبي فتأمل محاسنه فأتي في
منامه وقيل له لتجدن غبها بعد اربعين سنة هذا مع ان عقوبة الذنب نقداً معجلاً
لا يتأخر عنه قال التيمي ان الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته وقال
يحيى بن معاذ الرازي عجبت من ذي عقل يقول في دعائه اللهم لا تشمت بي الاعداء
ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له قيل وكيف ذلك قال يعصي الله ويشمت به في القيامة
كل عدو **فصل** وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب
والبدن والدنيا والآخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور
يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور ولما جلس الشافعي بين يدي مالك جلس صح
وقرأ عليه اعجبه ما رأى من وفور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه فقال اني ارى
الله قد القى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية وقال الشافعي شعر
شكوت الى وكيع سوء حفظي مه فارشدني الى ترك المعاصي مه وقال
اعلم بان العلم فضل ... وفضل الله لا يؤتاه عاصي ... ومنها حرمان
الرزق بالذنب يصيبه وقد تقدم وكما ان تقوى الله مجلبة للرزق فترك التقوى
مجلبة للفقر فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصي ومنها وحشة يجدها
العاصي بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلاً ولو اجتمعت له لذات

الدنيا

الدنيا باسرها لم تف بتلك الوحشة وهذا امر لا يحس به الا من في قلبه حياة
وما لجرح بميت ايلام فلو لم تترك الذنوب الا حذراً من وقوع تلك الوحشة لكان
العاقل حرياً بتركها وشكى رجل الى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال فان
كنت قد اوحشتك الذنوب فدعها اذا شئت واستأنس وليس على القلب
امر من وحشة الذنب على الذنب فالله المستعان ومنها الوحشة التي تحصل له
بينه وبين الناس ولا سيما اهل الخير منهم فانه يجد وحشة بينه وبينهم وكلما
قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم
وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن وتقوى هذه الوحشة
حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده واقاربه وبينه وبين نفسه فتراه
مستوحشاً من نفسه وقال بعض السلف اني لاعصي الله فارى ذلك في خلق
حماري ذاتي وامرأتي ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقاً دونه
ومتعسراً عليه وهذا كما ان من اتقى الله جعل له من امره يسراً فمن عطل التقوى جعل له
من امره عسراً ويالله العجب كيف يجد العبد ابواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها
معسرة عليه وهو لا يعلم من اين اتي ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها
كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم عليه فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة
الحسية لبصره فان الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة ازدادت
حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر كأعمى خرج

في ظلمة الليل يمشي وحده ويقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين ثم يقوى حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراه كل احد وقال عبد الله بن عباس ان للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق **ومنها** ان المعاصي توهن القلب والبدن اما وهنها للقلب فامر ظاهر بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية **واما** وهنها للبدن فان المؤمن قوته من قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه **واما** الفاجر فانه وان كان قوي البدن فهو اضعف شيء عند الحاجة فتخونه قوته احوج ما يكون الى نفسه وتامل قوة ابدان فارس والروم خانتهم احوج ما كانوا اليها وقهرهم اهل الايمان بقوة ابدانهم وقلوبهم **ومنها** حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب عقوبة الا انه يصد عن طاعة تكون بدله ويقطع طريق طاعة اخرى فينقطع عليه طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة كل واحدة خير من الدنيا وما عليها وهذا كرجل اكل اكلة اوجبت له مرضا طويلا منعه من عدة اكلات اطيب منها فالله المستعان **ومنها** ان المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولا بد فان البر كما يزيد في العمر فالفجور يقصر العمر وقد اختلف الناس في هذا الموضع فقالت طائفة نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحقها عليه وهذا حق وهو بعض تاثير المعاصي وقالت طائفة بل تنقصه حقيقة كما تنقص الرزق فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق

في الرزق اسبابا تكثره وتزيده وللبركة في العمر اسبابا تكثره وتزيده قالوا ولا تمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب فالارزاق والاجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغنا والفقر وان كانت بقضاء الرب عز وجل فهو يقضي ما يشاء باسباب جعلها موجبة لمسبباتها مقتضية لها وقالت طائفة اخرى تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحياة هي حياة القلب ولهذا جعل الله سبحانه ميتا غير حي كما قال تعالى اموات غير احياء فالحياة في الحقيقة حياة القلب وعمر الانسان مدة حياته فليس عمره الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية التي يجد غب اضاعتها يوم يقول يا ليتني قدمت لحياتي فلا يخلو **اما** ان يكون له مع ذلك تطلع الى مصالحه الدنيوية والاخروية اولا فان لم يكن له تطلع الى ذلك فقد ضاع عليه عمره كله وذهبت حياته باطلا وان كان له تطلع الى ذلك طالت عليه الطريق بسبب العوائق وتعسرت عليه اسباب الخير بحسب اشتغاله باضدادها وذلك نقصان حقيقي في عمره وسر المسألة ان عمر الانسان مدة حياته ولا حياة له الا باقباله على ربه والتنعم بحبه وذكره وايثار مرضاته **فصل** ومنها ان المعاصي تزرع امثالها ويولد بعضها بعضا حتى يعسر على العبد مفارقتها والخروج منها كما قال

بعض السلف ان من عقوبة السيئة السيئة بعدها وان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها
فالعبد اذا عمل حسنة قالت اخرى الى جانبها اعملني ايضا فاذا عملها قالت الثالثة
كذلك وهلم جرا فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات وكذلك جانب السيئات
ايضا حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة و
ملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الارض بما
رحبت واحس من نفسه انه كالحوت اذا فارق الماء حتى يعاودها فتسكن نفسه وتقر
عينه ولو عطل المجرم المعصية واقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاق عليه صدره
واعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها حتى ان كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير
لذة يجدها ولا داعية اليها الا لما يجد من الالم بمفارقتها كما صرح بذلك شيخ
القوم الحسن ابن هانئ حيث يقول • وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها
وقال آخر • وكانت دوائي وهي دائي بعينها • وقال آخر • كما يتداوى شارب الخمر بالخمر • ولا
يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله سبحانه برحمته
عليه الملائكة تؤزه اليها ازا وتحرضه عليها وتزعجه عن فراشه ومجلسه اليها ولا يزال
يالف العبد يالف المعاصي ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزه اليها
ازا فالاول قوى جند الطاعة بالمدد فصاروا من اكبر اعوانه وهذا قوى جند
المعصية بالمدد وكانوا اعوانا عليه **فصل** ومنها وهو اخوفها على العبد
انها تضعف القلب عن ارادته فتقوى ارادة المعصية وتضعف ارادة التوبة شيئا فشيئا

الى ان

الى ان تنسلخ من قلبه ارادة التوبة بالكلية فلو مات نصفه لما تاب الى الله فيأتي
من الاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير وقلبه معقود بالمعصية مصر
عليها عازم على مواقعتها متى امكنه وهذا من اعظم الامراض واقربها الى الهلاك
فصل ومنها انه ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا
يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه وهذا عند ارباب الفسوق هو غاية
التهتك وتمام اللذة حتى يفتخر احدهم بالمعصية ويحدث بها من لم يعلم انه عملها
فيقول يا فلان عملت كذا وكذا وهذا الضرب من الناس لا يعافون وتسد عليهم
طريق التوبة وتغلق عليهم ابوابها في الغالب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل
امتي معافا الا المجاهرون وان من الاجهار ان يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح
نفسه ويقول يا فلان عملت يوم كذا وكذا فيهتك نفسه وقد بات يستره ربه .
ومنها ان كل معصية من المعاصي فهي ميراث عن امة من الامم التي اهلكها الله عز وجل
فاللوطية ميراث عن قوم لوط واخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص ميراث عن قوم
شعيب والعلو في الارض والفساد ميراث عن قوم فرعون والتكبر والتجبر ميراث
عن قوم هود فالعاصي لابس ثياب بعض هذه الامم وهم اعداء الله وقد روى
عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لابيه عن مالك بن دينار قال اوحى الله الى نبي
من انبياء بني اسرائيل قل لقومك لا يدخلوا مداخل اعدائي ولا يلبسوا ملابس
اعدائي ولا يركبوا مراكب اعدائي ولا يطعموا مطاعم اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم اعدائي

مطلب في ان [illegible]

وفي مسند احمد من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف
بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي و
جعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم **فصل**
ومنها ان المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه قال الحسن البصري هانوا
عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم واذا هان العبد على الله لم يكرمه احد كما قال تعالى
ومن يهن الله فما له من مكرم وان عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم اليهم او خوفا
من شرهم فهم في قلوبهم احقر شيء واهونه ومنها ان العبد لا يزال يرتكب الذنب
حتى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك فان الذنب كلما صغر في
عين العبد عظم عند الله وقد ذكر البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال ان المؤمن
يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب
وقع على انفه فقال به هكذا فطار **فصل** ومنها ان غيره من الناس و
الدواب يعود عليه شؤم ذنوبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم قال
ابو هريرة ان الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم وقال مجاهد ان البهائم
تلعن عصاة بني آدم اذا اشتدت السنة وامسك المطر وتقول هذا بشؤم
معصية بني آدم وقال عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب
يقولون منعنا القطر بذنوب بني آدم يكفيه عقاب ذنبه حتى يلعنه من لا ذنب له
فصل ومنها ان المعصية تورث الذل ولا بد فان العز كل العز

في طاعة

في طاعة الله قال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اي فليطلبها بطاعة
الله فانه لا يجدها الا في طاعته وكان من دعاء بعض السلف اللهم اعزني بطاعتك
ولا تذلني بمعصيتك قال الحسن البصري انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت
بهم البراذين ان ذل المعصية لا يفارق قلوبهم ابى الله الا ان يذل من عصاه
وقال عبد الله بن المبارك ؞ رأيت الذنوب تميت القلوب ؞ وقد يورث
الذل ادمانها ؞ وترك الذنوب حياة القلوب ؞ وخير لنفسك عصيانها
وهل افسد الدين الا الملوك ؞ واحبار سوء ورهبانها **فصل**
ومنها ان المعاصي تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد
واذا طفئ نوره ضعف ونقص وقال بعض السلف ما عصى الله احد حتى
يغيب عقله وهذا ظاهر فانه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة
الرب تبارك وتعالى تحت قهره وهو مطلع عليه وفي داره وعلى بساطه وملائكته
شهود عليه ناظرون اليه وواعظ القرآن ينهاه وواعظ الايمان ينهاه
وواعظ ينهاه وواعظ النار ينهاه والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا
والآخرة اضعاف اضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها فهل يقدم على
الاستهانة بذلك والاستخفاف به ذو عقل سليم **فصل** ومنها
ان الذنوب اذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين كما قال
بعض السلف في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال هو الذنب

بعد الذنب وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب وقال غيره لما كثرت
ذنوبهم ومعاصيهم احاطت بقلوبهم واصل هذا ان القلب يصدا من المعصية
فان زادت زاد عليه الصدا حتى يصير رانًا ثم يغلب حتى يصير طبعًا وقفلًا و
ختمًا فيصير القلب في غشاوة وغلاف فان حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة
انعكس فصار اعلاه اسفله فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث اراد فصل
ومنها ان الذنوب يدخل العبد تحت لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لعن
على معاص وغيرها اكبر منها فهي اولى بدخول فاعلها تحت اللعنة فلعن
الواشمة والمستوشمة والواصلة والموصولة والنامصة والمتنمصة والواشرة
والمستوشرة ولعن اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه ولعن المحلل والمحلل له
ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبايعها ومشتريها (في الهامش: ولعن السارق)
واكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه ولعن من غير منار الارض وهي اعلامها و
حدودها ولعن من لعن والديه ولعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا يرميه بالسهام
ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ولعن من ذبح لغير الله
ولعن من احدث حدثًا او اوى محدثًا ولعن المصورين ولعن من عمل عمل قوم لوط
ولعن من سب اباه وسب امه ولعن من كمه اعمى عن الطريق ولعن من اتى بهيمة
ولعن من وسم دابة في وجهها ولعن من ضار مسلمًا او مكر به ولعن زوارات
القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ولعن من افسد امراة على زوجها

او مملوكا

او مملوكًا على سيده ولعن من اتى امراة في دبرها واخبر ان من باتت مهاجرة
لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح ولعن من انتسب الى غير ابيه واخبر ان
من اشار الى اخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه ولعن من سب الصحابة وقد لعن الله من
افسد في الارض وقطع رحمه واذاه واذى رسوله ولعن من كتم ما انزل الله سبحانه
من البينات والهدى ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات
بالفاحشة ولعن من جعل سبيل الكافر اهدى من سبيل المومن ولعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المراة والمراة تلبس لبسة الرجل ولعن
الراشي والمرتشي والرائش وهو الواسطة في الرشوة ولعن على اشياء اخر
غير هذه فلو لم يكن في ذلك الا رضا فاعله بان يكون ممن يلعنه الله ورسوله
وملائكته لكان في ذلك ما يدعوا الى تركه فصل ومنها حرمان دعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة الملائكة فان الله سبحانه امر نبيه ان يستغفر
للمومنين والمومنات وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلمًا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم
انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات فهذا دعاء الملائكة للمومنين
التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسوله الذين لا سبيل لهم غيرها فلا

يطمع غيرهم باجابة هذه الدعوة اذا لم يتصف بصفات المدعو اليه بها والله المستعان
فصل من عقوبات المعاصي ما رواه البخاري في صحيحه من سمرة بن جندب قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر ان يقول لاصحابه هل رأى احد منكم البارحة رويا
فيقص عليه من شاء الله ان يقص وانه قال لنا ذات غداة انه اتاني الليلة اثنان
وانهما ابتعثاني وانهما قالا لي انطلق وانطلقت معهما وانا اتينا على رجل مضطجع واذا
اخر قايم عليه بصخر واذا هو يهوي بالصخرة لراسه فيثلغ راسه فيتدهده الحجر ههنا
فيتبع الحجر فياخذه فلا يرجع اليه حتى يصح راسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل
ما فعل المرة الاولى قال قلت لهما سبحان الله ما هذا قالا لي انطلق فانطلقنا على
رجل مستلق لقفاه واذا اخر قايم عليه بكلوب من حديد واذا هو ياتي احد
شقي وجهه فيشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه ثم يتحول الى الجانب
الاول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه
فيفعل في المرة الاولى قال قلت سبحان ما هذان فقالا لي انطلق انطلق فا
نطلقنا فاتينا على مثل التنور فاذا فيه لغط واصوات قال فانطلقنا فيه
فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم ياتيهم لهب اسفل منهم فاذا اتاهم ذلك
اللهب ضوضوا قال فقلت هولاء قال قالا لي انطلق انطلق قال فانطلقنا
فاتينا على نهر احمر مثل الدم فاذا في النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر ر
جل عنده حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم ياتي ذلك الذي جمع عنده
الحجارة

الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر له فاه فالقمه
حجرا قلت لهما ما هذان قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل كريه المراى
كاكره ما انت راي رجلا مراه واذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها قال قلت لهما
ما هذا قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع واذا — المعتمة التام العام من كل امر ق
بين ظهري الروضة رجل طويل لا اكاد ارى راسه طولا في السما واذا حول الرجل من
اكثر ولدان رايتهم قط قال قلت ما هولاء قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا
الى دوحة عظيمة لم ار دوحة قط اعظم منها ولا احسن قال قالا لي ارق فيها فار
تقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة قال فاتينا باب المدينة — فانتهينا صح
فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت
راي وشطر منهم كاقبح ما انت راي قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر
قال واذا نهر معترض يجري كان ماءه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا
الينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم قال قالا لي هذه جنة عدن وهذاك — فصاروا في احسن صورة صح
منزلك قال فسمى بصري صعدا فاذا قصر مثل الربابة البيضا قال قالا لي هذا منزلك
قال قلت لهما بارك الله فيكما فذراني فادخل قالا اما الان فلا وانت داخله
قال قلت لهما فاني رايت منذ الليلة عجبا فما الذي رايت قال قالا اما انا
سنخبرك اما الرجل الاول الذي اتيت عليه يثلغ راسه بالحجر فانه الرجل
ياخذ القران فيرفضه وينام عن الصلوة المكتوبة واما الرجل الذي اتيت عليه

فيشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من
بيته فيكذب الكذبة تبلغ الافاق واما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء
التنور فانهم الزناة والزواني واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح في النهر ويلقم
الحجارة فانه اكل الربا واما الرجل الكريه المرأى الذي عند النار يحشها ويسعى حولها
فانه مالك خازن جهنم واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابرهيم
واما الولدان الذي حوله فكل مولود مات على الفطرة وفي رواية الرقان ولد
على الفطرة فقال بعض المسلمين يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم واولاد المشركين واما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر
منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا تجاوز الله عنهم **فصل**
ومن اثار الذنوب والمعاصي انها تحدث في الارض انواعا من الفساد في المياه
والهوى والزرع والثمار والمساكن قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت
ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قال في هذا اذا
الظالم وسعى بالظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطر فيهلك الحرث
والنسل والله لا يحب الفساد ثم قد اظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت
ايدي الناس الاية ثم قال اما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية
على ماء جار فهو بحر وقال عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر اما اني لا اقول بحركم هذا
ولكن كل قرية على ماء وقال قتادة اما البر فاهل العمود واما البحر فاهل
القرى

القرى والريف قلت وقد يسمى الله تعالى الماء العذب بحرا فقال وهو الذي مرج
البحرين هذا عذب فرات سائغ شربه وهذا ملح اجاج وليس في العالم بحر
حلو واقف وانما هي الانهار الجارية والبحر المالح هو الساكن فتسمى القرى التي على
المياه الجارية باسم تلك المياه وقال ابن زيد ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب
قلت اراد ان الذنوب سبب الفساد الذي هو الذنوب بنفسها فيكون قوله ليذيقهم
لام العاقبة والتعليل وعلى الاول فالمراد بالفساد النقص والشر والآلام
التي يحدثها الله عند المعاصي العباد فكلما احدثوا ذنبا احدث لهم عقوبة ولهذا
كما قال بعض السلف كلما احدثتم ذنبا احدث الله لكم من سلطانه عقوبة و
الظاهر والله اعلم ان الفساد والمراد له الذنوب وموجباتها ويدل عليه
قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا فهذا حالنا وانما اذاقنا الشيء اليسير من اعمالنا
فلو اذاقنا كل اعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة ومن تاثير معاصي الله في
الارض ما يحل بها من الخسف والزلازل ويمحق بركتها وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ديار ثمود فمنعهم من دخول ديارهم ومن شرب مياههم ومن الاستقاء
من ابارهم حتى امر ان يعلف العجين الذي عجن بمائهم للنواضح لتاثير شوم المعصية
في الماء وكذلك شوم تاثير الذنوب في بعض الثمار وما ترى به من الافات
وقد ذكر الامام احمد رحمه الله في مسنده في ضمن حديث قال وجد في خزائن بني امية
حنطة الحبة بقدر نواة التمر وهي في صرة مكتوب عليها هذا كان ينبت في زمان

العدل وكثير من هذه الآفات احدثها الله سبحانه بما احدث العباد من الذنوب
واخبرني جماعة من شيوخ الصحرا انهم كانوا يعهدون الثمار اكبر مما هي الان وكثير
من هذه الآفات التي تصيبها لم يكونوا يعرفونها فانما احدثت من قرب واما
تاثير الذنوب في الصور والخلق فقد روى الترمذي في جامعه عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص حتى
الان ولما يطهر الله سبحانه الارض من الظلم والفجور والفجره والخونه ويخرج عبدا من والفسقة نسخه
عباده من اهل بيت نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيملأ الارض قسطا كما ملئت جورا
ويقتل المسيح اليهود والنصارى ويقيم الدين الذي بعث به رسوله فتخرج الارض
بركتها وتعود كما كانت حتى ان العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون
بقحفها ويكون العنقود من العنب وقر بعير وان اللقحة الواحدة لتكفي الفئام من الناس
وهذا لان الارض لما طهرت من المعاصي ظهرت فيها آثار البركة من الله التي محقتها
الذنوب والكفر ولا ريب ان العقوبات التي انزلها الله في الارض بقيت آثارها
سارية في الارض تطلب ما يشاكلها من الذنوب التي هي آثار تلك
الجرائم التي عذبت بها الامم فهذه الآثار في الارض من آثار تلك العقوبات
كما ان هذه المعاصي من آثار تلك الجرائم فتناسبت كلمة الله وحكمه الكوني اولا فتناسبت بيان
واخرا وكان العظيم من العقوبة للعظيم من الجناية والاخف للاخف وهكذا يحكم للاخف صح
سبحانه بين خلقه في دار البرزخ ودار الجزاء وتأمل مقارنة الشيطان ومحله داره

فانه

فانه لما قارن العبد واستولى عليه نزعت البركة من عمره وعمله وقوله ورزقه و
لما اثرت طاعته في الارض ما اثرت نزعت البركة من كل محل ظهرت فيه طاعته
وكذلك مسكنه لما كان الجحيم لم يكن هناك شيء من الروح والرحمة والبركة ..

فصل ومن عقوبات الذنوب انها تطفئ من القلب نار
الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن فالغيرة حرارته
ونار التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكير خبث الذهب
والفضة والحديد واشرف الناس واعلاهم همة اشدهم غيرة على نفسه
وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اغير الخلق على
الامة والله سبحانه اشد غيرة منه كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
اتعجبون من غيرة سعد لانا اغير منه والله اغير مني وفي الصحيح ايضا عنه انه
قال في خطبة الكسوف يا امة محمد ما احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني
امته وفي الصحيح ايضا انه قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك اثنى على نفسه
فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي اصلها كراهة القبائح وبغضها ومحبة
العذر الذي يوجب كمال العدل والرحمة والاحسان وانه سبحانه مع شدة
غيرته يحب ان يعتذر اليه عبده ويقبل عذر من اعتذر اليه وانه لا يؤاخذ
عبيده بارتكاب ما يغار من ارتكابه حتى يعذر اليهم ولاجل ذلك ارسل
رسله وانزل كتبه اعذارا وانذارا وهذا غاية المجد والاحسان ونهاية الكمال

حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله تعالى من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله تعالى من اجل ذلك صح

فاذا كان كذا فتوبوا ايها المؤمنون واعلموا ان التوبة الندم

فان كثيرا ممن يشتد غيرته من المخلوقين تحمله شدة الغيرة على سرعة الايقاع والعقوبة
من غير اعذار منه ومن غير قبول لعذر من اعتذر اليه بل يكون له فى نفس الامر عذر
ولا تدعه شدة الغيرة ان يقبل عذره وكثير ممن يقبل المعاذير يحمله على قبولها
قلة الغيرة حتى يتوسع فى طرق المعاذير ويرى عذرا ما ليس بعذر حتى يعذر كثير منهم
بالقدر وكل منهما غير ممدوح على الاطلاق وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
ان من الغيرة ما يحبها الله ومنها ما يبغضه الله فالتى يبغضها الله الغيرة فى
غير ريبة وذكر الحديث وانما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر فيغار فى محل الغيرة و
يعذر فى موضع العذر ومن كان هكذا فهو الممدوح حقا ولما جمع الله سبحانه صفات
الكمال كلها كان احق بالمدح من كل احد ولا يبلغ احد ان يمدحه كما ينبغى له بل
هو كما مدح نفسه واثنى على نفسه فالغيور قد وافق الله فى صفة من صفاته
قادته اليه تلك الصفة بزمامه وادخلته على ربه وادنته وقربته من رحمة الله
وصيرته محبوبا له فانه سبحانه رحيم يحب الرحماء كريم يحب الكرماء عليم يحب العلماء
قوى يحب المؤمن القوى وهو احب اليه من المؤمن الضعيف حيى يحب اهل الحياء
جميل يحب الجمال وتر يحب الوتر ولو لم يكن فى الذنوب والمعاصى الا انها توجب
لصاحبها ضد هذه الصفات وتمنعه من الاتصاف بها لكفى بها عقوبة
فان الخطرة تنقلب وسوسة والوسوسة تصير ارادة والارادة تقوى فتصير عزيمة
ثم تصير فعلا ثم تصير صفة لازمة وهيئة ثابتة راسخة وحينئذ يتعذر الخروج منها كما

يتعذر

ريبة بيان

يتعذر عليه الخروج من صفاته القائمة به والمقصود انه كلما اشتدت ملابسته للذنوب
اخرجت من القلب نار الغيرة على نفسه واهله وعموم الناس وقد تضعف فى القلب
جدا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره واذا وصل الى هذا الحد
فقد دخل فى باب الهلاك وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح بل يحسن
الفواحش والظلم لغيره ويزينه له ويدعوه اليه ويحثه عليه ويسعى له فى تحصيله و
لهذا كان الديوث اخبث خلق الله والجنة حرام عليه وكذلك محلل الظلم والبغى لغيره
ومزينه له فانظر ما الذى حملت عليه قلة الغيرة وهذا يدلك على ان اصل الدين
الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له فالغيرة تحمى القلب فتحمى له الجوارح فتدفع السوء والفواحش
وعدم الغيرة تميت القلب فتموت له الجوارح فلا يبقى عندها دفع البتة ومثل الغيرة فى القلب
كمثل القوة التى تدفع المرض وتقاومه فاذا ذهبت القوة وجد الداء المحل
قابلا ولم يجد دافعا فتمكن فكان الهلاك ومثلها مثل صياصى الجاموس
التى تدفع بها عن نفسه وولده فاذا كسرت طمع فيه عدوه

فصل

ومن عقوباتها ذهاب الحياء الذى هو مادة حياة القلب وهو اصل كل خير
وذهابه ذهاب الخير اجمعه وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك
الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت وفيه تفسيران احدهما
انه على التهديد والوعيد والمعنى من لم يستح فانه يصنع ما شاء من القبائح
اذ الحامل على تركها الحياء فاذا لم يكن هناك حياء يردعه عن القبائح فانه

اصل بيان

لموته صح

يواقعها وهذا تفسير أبي عبيد والثاني ان المعنى اذا لم يستح منه من الله فافعله
وانما الذي ينبغي تركه ما يستحي منه من الله وهذا تفسير الامام احمد في رواية ابن هاني فعلى
الاول يكون تهديدا كقوله اعملوا ما شئتم وعلى الثاني يكون اذنا او اباحة فان قيل فهل
من سبيل الى حمله على المعنيين قلت لا ولا على قول من يحمل المشترك على جميع معانيه لما
بين الاباحة والتهديد من المنافاة ولكن اعتبار احد المعنيين يوجب اعتبار الآخر و
المقصود ان الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى
انه ربما لا يتأثر ان الذنوب بعلم الناس سوء حاله ولا باطلاعهم عليه بل كثير منهم
يخبر عن حاله وقبح ما يفعله والحامل على ذلك انسلاخه من الحياء واذا وصل العبد
الى هذه الحال لم يبق في اصلاحه مطمع واذا رأى ابليس طلعة وجهه حيا وقال
فديت من لا يفلح والحياء مشتق من الحياة والغيث يسمى حيا بالقصر لان
حياة الارض والنبات والدواب وكذلك بالحياة الدنيا والآخرة
وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين وكل منهما
يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا ومن استحى من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته
يوم يلقاه ومن لم يستح من معصيته لم يستح من عقوبته

فصل

ومن عقوبات الذنوب انها تضعف في القلوب تعظيم الرب جل جلاله و
وقاره في قلب العبد ولا بد شاء ام ابى ولو تمكن وقار الله وعظمته في القلب
لما تجرأ على معاصيه وربما اغتر المغتر وقال انما يحملني على المعاصي حسن الرجاء
وطمع

يحيى من التحية

حيوة صح

فمن لا حياء فيه ميت في الدنيا شقي في الآخرة صح

وطمعي في عفوه لا ضعف عظمته في قلبي وهذا من مغالطة النفس فان عظمة الرب
وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته تحول بينه وبين الذنوب فالمتجرئون على معاصيه
ما قدروه حق قدره وكيف يقدره حق قدره او يعظمه ويكبره ويرجو وقاره ويجله
من يهون عليه امره ونهيه وهذا من امحل المحال وابين الباطل وكفى بالعاصي عقوبة
ان يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته ويهون عليه حقه ومن بعض عقوبة
هذا ان يرفع الله عز وجل مهابته من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفون به كما
هان عليه امره واستخف به فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس ... حرماته وكيف ينتهك
عبد حرمات الله ويطمع ان لا ينتهك الناس حرماته ام كيف يهون عليه حق الله
ولا يهونه الله على الناس ام كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به الخلق وقد
اشار الله سبحانه الى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب وانه اركس اربابها
بما كسبوا وغطى على قلوبهم وطبع عليها بذنوبهم وانه نسيهم كما نسوه و
اهانهم كما اهانوا دينه وضيعهم كما ضيعوا امره ولهذا قال تعالى في آية سجود
المخلوقات ومن يهن الله فما له من مكرم فانه لما هان عليهم السجود له واستخفوا به
ولم يفعلوه اهانهم فلم يكن لهم من مكرم بعد ان اهانهم الله ومن ذا يكرم من
اهانه الله او يهين من كرمه الله

فصل

ومن عقوبات انها تستدعي
نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه وهنالك
الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر

فالمجترئون بيان

وعلى قدر خوفه من الله يخافه الخلق وعلى قدر تعظيمه الله وحرماته يعظم الناس صح

نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا
الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فامر بتقواه ونهى ان يتشبه عباده
المؤمنون بمن نسيه بترك تقواه واخبر انه عاقب من ترك التقوى بان انساه
نفسه اي انساه مصالحها وما ينجيها من عذابه وما يوجب له الحياة الابدية وكمال
لذتها وسرورها ونعيمها فانساه ذلك كله جزاء لما نسيه من عظمته وخوفه
والقيام بامره فترى العاصي مهملا لمصالح نفسه مضيعا لها قد اغفل الله قلبه
من ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا قد انفرطت عليه مصالح دنياه وآخرته
وقد فرط في سعادته الابدية واستبدل بها ادنى ما يكون من لذة انما هي
سحابة صيف او خيال طيف احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها
لا يخدع واعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه واهماله لها واضاعته
حظها ونصيبها من الله وبيعها ذلك بالغبن والهوان وابخس الثمن فضيع
ما لا غنى له عنه ولا عوض له منه واستبدل به من عنه كل الغنى ومنه كل عوض
من كل شيء اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعته عوض فالله سبحانه يعوض
عن كل ما سواه ولا يعوض منه شيء ويغني عن كل شيء ولا يغني منه شيء ويجير من كل شيء
ولا يجير منه كل شيء فكيف يستغني العبد عن طاعة من هذا شانه طرفة عين
وكيف ينسى ذكره ويضيع امره حتى ينسيه نفسه فيخسرها ويظلمها اعظم الظلم
فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه وما ظلمه ربه ولكن هو الذي ظلم نفسه

فصل

ومن

ومن عقوباتها انها تخرج العبد من دائرة الاحسان وتمنعه ثواب المحسنين فان
الاحسان اذا باشر القلب منعه من المعاصي فان من عبد الله كان يراه لم يكن
ذلك الا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه بحيث يصير كانه يشاهده
وذلك يحول بينه وبين ارادة المعصية فضلا عن مواقعتها فاذا خرج من دائرة
الاحسان فاته صحبة رفقة الخاصة وعيشهم الهني ونعيمهم التام فان اراد به خيرا اقره
في دائرة عموم المؤمنين فان عصاه بالمعاصي التي تخرجه من دائرة الايمان كما قال النبي صلى
الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها
وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن فاياكم اياكم والتوبة ولا ينتهب نهبة
ذات شرف يرفع اليه فيها الناس ابصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن فاياكم
اياكم والتوبة معروضة بعد فخرج من دائرة الايمان وفاته رفقة المؤمنين و
حسن دفاع الله عنهم فان الله يدفع عن الذين آمنوا وفاته كل خير رتبه الله في
كتابه على الايمان وهو نحو مائة خصلة كل خصلة خير من الدنيا وما فيها فمنها الاجر
العظيم وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ومنها الدفع عنهم شرور الدنيا
والآخرة ان الله يدفع عن الذين آمنوا ومنها استغفار حملة العرش لهم الذين
يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا
ومنها موالاة الله لهم ولا يذل من والاه الله الله ولي الذين آمنوا ومنها
امره ملائكته بتثبيتهم اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ومنها

ومنها ان لهم الدرجات عند ربهم والمغفرة والرزق الكريم ومنها العزة
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومنها معية الله لاولى الايمان وان الله لمع
المؤمنين ومنها الرفعة في الدنيا والاخرة يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات ومنها اعطاؤهم كفلين من رحمته واعطاؤهم نورا يمشون
به ومغفرة ذنوبهم ومنها الود الذي جعله سبحانه لهم وهو انه يحبهم ويحببهم الى
ملائكته وانبيائه وعباده الصالحين ومنها امانهم من الخوف يوم يشتد
الخوف فمن آمن وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنها انهم
المنعم عليهم الذين امرنا الله ان يهدينا صراطهم في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة
ومنها ان القرآن انما هو هدى وشفاء قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء
والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان
بعيد والمقصود ان الايمان سبب جالب لكل خير وكل خير في الدنيا والآخرة
فسببه الايمان وكل شر في الدنيا والآخرة فسببه عدم الايمان فكيف يهون
على العبد ان يرتكب شيئا يخرجه من دائرة الايمان ويحول بينه وبينه ولكن
لا يخرج من عموم دائرة للمسلمين فان استمر على الذنوب واصر عليها خيف عليه
ان يرين على قلبه فيخرجه عن الاسلام بالكلية ومن هاهنا اشتد خوف السلف
كما قال بعضهم انتم تخافون الذنوب وانا اخاف الكفر **فصل**
ومن عقوباتها انها تضعف سير القلب الى الله والدار الآخرة او تعوقه او
يقطعه

يقطعه عن السير فلا تدعه يخطو الى الله خطوة هذا ان لم ترده عن وجهته
الى ورائه فالذنب يحجب الواصل ويقطع السائر وينكس الطالب والقلب انما
يسير الى الله بقوته فاذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره فان
زالت بالكل انقطع عن الله انقطاعا يبعد تداركه والله المستعان فالذنب
اما ان يميت القلب او يمرضه مرضا مخوفا او يضعف قوته ولا بد حتى ينتهي ضعفه
الى الاشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم وهي الهم والحزن
والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع وغلبة الرجال فكل اثنين منها قرينان
فالهم والحزن قرينان فان المكروه الوارد على القلب ان كان من امر مستقبل
يتوقعه احدث الهم فان كان من امر ماض قد وقع احدث الحزن والعجز والكسل
قرينان فان تخلف العبد من اسباب الخير والفلاح ان كان لعدم قدرته فهو
العجز وان كان لعدم ارادته فهو الكسل والجبن والبخل قرينان فان عدم النفع منه ان
كان ببدنه فهو الجبن وان كان بماله فهو البخل وضلع الدين وقهر الرجال قرينان
فان استعلاء الغير عليه ان كان بحق فهو من ضلع الدين وان كان بباطل فهو قهر الرجال
والمقصود ان الذنوب من اقوى الاسباب الجالبة لهذه الثمانية كما انها من
اقوى الاسباب لجهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء
ومن اقوى الاسباب الجالبة لزوال نعم الله وتحول عافيته وفجاءة نقمته وجميع
سخطه **فصل** ومن عقوباتها انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت

عن عبد نعمة الا بذنب ولا حلت نعمة الا بذنب كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ما نزل بلاء الا بذنب ولا دفع بلاء الا بتوبة وقد قال تعالى وما اصابكم من مصيبة
فيما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وقال تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا
نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسكم فاخبر سبحانه انه لا يغير نعمة التي انعم بها
على احد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره
واسباب رضاه باسباب سخطه فاذا غير الله عليه العقوبة بالعافية والذل
بالعز وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وفي بعض الاثار الالهية
عن الرب تبارك وتعالى وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما احب ثم
ينتقل عنه الى ما اكره الا انتقلت له مما يحب الى ما يكره ولا يكون عبد من عبيدي
على ما اكره ثم ينتقل عنه الى ما احب الا انتقلت له مما يكره الى ما يحب وقد
احسن القائل ۞ اذا كنت في نعمة فارعها ۞ فان المعاصي تزيل النعم ۞
وحطها بطاعة رب العباد ۞ فرب العباد سريع النقم ۞ واياك والظلم
مهما استطعت ۞ فظلم العباد شديد الوخم ۞ وسافر بقلبك بين
الورى ۞ لتبصر اثار من قد ظلم ۞ فتلك مساكنهم بعدهم ۞ شهود عليهم
ولا تتهم ۞ وكان شيء عليهم اضر من الظلم ۞ وهو الذي قد قصم ۞ فلم تركوا
من جنان ومن قصور ۞ واخرى عليهم اطم ۞ صلوا بالجحيم وفات النعيم ۞

وكان

وكان الذين نالهم كما علم **فصل** ومن عقوباتها ما يلقيه الله سبحانه
من الرعب والخوف في قلب العاصي فلا تراه الا خائفا مرعوبا فان الطاعة
حصن الله الاعظم الذي من دخله كان من الامنين من عقوبة الدنيا والاخرة ومن
خرج عنه احاطت به المخاوف من كل جانب فمن اطاع الله انقلبت المخاوف
في حقه امانا ومن عصاه انقلبت مامنه مخاوف فلا تجد العاصي الا وقلبه كانه
بين جناحي طائر ان حركت الريح الباب قال جاء الطلب وان سمع وقع قدم
خاف ان يكون نذيرا بالعطب يحسب كل صيحة عليه وكل مكروه قاصدا اليه فمن خاف
الله امنه من كل شيء ومن لم يخف الله اخافه من كل شيء ۞ بذا قضى الله بين الخلق
مذ خلقوا ۞ ان المخاوف والاجرام في قرن **فصل** ومن عقوباتها انها
توقع الوحشة العظيمة في القلب فيجد المذنب نفسه مستوحشا قد وقعت الوحشة
بينه وبين ربه وبينه وبين الخلق وبينه وبين نفسه وكلما كثرت الذنوب اشتدت
الوحشة وامر العيش عيش المستوحشين الخائفين واطيب العيش عيش المستانسين
فلو نظر العاقل ووازن بين لذة المعصية وما توقعه من الخوف
والوحشة لعلم سوء حاله وعظيم غبنه اذ باع انس الطاعة وامنها وحلاوتها
بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف فان كنت قد اوحشتك الذنوب
فدعها اذا شئت واستانس وسر المسالة ان الطاعة توجب القرب من
الرب وكلما اشتد القرب قوي الانس والمعصية توجب البعد من الرب وكلما ازداد

البعد فوقه الوحشة ولهذا تجد العبد وحشة بينه وبين عدوه للبعد الذي
بينهما وان كان ملابساً له قريباً منه وتجد قرباً وانساً بينه وبين من يحب وان كان
بعيداً عنه والوحشة سببها الحجاب فالغفلة توجب الوحشة واشد منها وحشة المعصية و
اشد منها وحشة الشرك ولا تجد احداً يلابس شيئاً من ذلك الا ويعلوه الوحشة
روحه وقلبه ويستوحش منه **فصل** ومن عقوباتها انها تصرف القلب
عن صحته واستقامته الى مرضه وانحرافه فلا يزال مريضاً معلولاً لا ينتفع بالاغذية
التي بها حياته وصلاحه فان تاثير الذنوب في القلوب كتاثير الامراض في الابدان
بل الذنوب امراض القلوب وداؤها ولا دواء لها الا تركها وقد اجمع السائرون
الى الله ان القلوب لا تعطى مناها حتى تصل الى مولاها ولا تصل الى مولاها
حتى تكون صحيحة سليمة ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها ولا يصح لها
ذلك الا بمخالفة هواها وهواها مرضها وشفاؤها مخالفته فان استحكم
المرض قتل او كاد وكما ان من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة ماواه فكذا يكون
قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا تشبه نعيم اهلها نعيم البتة بل التفاوت
الذي بين النعيمين كالتفاوت الذي بين نعيم الدنيا والاخرة وهذا امر
لا يصدق به الا من باشر قلبه هذا وهذا ولا تحسب ان قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم مقصوراً على نعيم الاخرة وجحيمها فقط بل في الثلاثة هم كذلك
اعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم وهل النعيم الا

نعيم القلب

نعيم القلب وهل العذاب الا عذاب القلب واي عذاب اشد من الخوف
والهم والحزن وضيق الصدر واعراضه عن الله والدار الاخرة وتعلقه بغير الله
وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبة وكل شيء تعلق به واحبه من دون الله فانه
يسومه سوء العذاب فكل من احب شيئاً عذب به ثلاث مرات في هذه الدنيا
فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فاذا حصل عذب به بالخوف من سلبه وفواته
والتنغيص والتنكيد عليه وانواع المعارضات فاذا سلبه اشتد عذابه عليه فهذه
ثلاثة انواع من العذاب في هذه الدار **واما** في البرزخ فعذاب يقارنه الم الفراق
الذي لا يرجى عوده والم فوات ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده والم الحجاب
عن الله والم الحسرة التي تقطع الاكباد فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في
نفوسهم نظير ما يعمل الهوام والديدان في ابدانهم بل عملها في النفوس دائم مستمر
حتى يردها الله الى اجسادهم فحينئذ ينتقل العذاب الى نوع هو ادهى وامر فاين
هذا من نعيم من يرقص قلبه طرباً وفرحاً وانساً بربه واشتياقاً اليه وارتياحاً
بحبه وطمانينة بذكره حتى يقول بعضهم في حال نزعه واطرباه ويقول الاخر
ان كان اهل الجنة في مثل هذا الحال انهم لفي عيش طيب ويقول الاخر مساكين
اهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا لذيذ العيش فيها وما ذاقوا اطيب ما فيها و
يقول الاخر لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف و
يقول الاخر ان في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الاخرة فيا من باع حظه الغالي

بأبخس الثمن وغبن كل الغبن في هذا العقد وهو يرى أنه قد غبن إذا لم يكن لك خبرة
بقيمة السلع فاسأل المقومين فيا عجبًا من بضاعة معك الله مشتريها وثمنها
جنة المأوى والسفير الذي جرى على يده عقد التبايع وضمن الثمن عند المشتري هو الرسول
صلى الله عليه وسلم وقد بعتها بغاية الهوان إذا كان هذا فعل عبد بنفسه فمن ذا له
من بعد ذلك يكرم **فصل** ومن عقوباتها أنها تعمي بصيرة القلب وتطمس نوره
وتسد طرق العلم وتحجب مواد الهداية وقد قال مالك للشافعي لما اجتمع به ورأى تلك
المخايل إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية ولا يزال هذا
النور يضعف ويضمحل وظلام المعصية يقوى حتى يصير القلب مثل الليل البهيم فكم من مهلك
يسقط فيه وهو لا يبصر كأعمى خرج بالليل في طريق ذات مهالك ومعاطب فيا عزة
السلامة ويا سرعة العطب ثم تقوى تلك الظلمات وتفيض من القلب إلى الجوارح
فيغشى الوجه منها سواد بحسب قوتها وتزايدها فإذا كان عند الموت ظهرت
في البرزخ فامتلأ القبر ظلمة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن القبور ممتلئة على
أهلها ظلمة وإن الله منورها بصلاتي عليهم فإذا كان يوم المعاد وحشر
العباد علت الوجوه علوًا ظاهرًا يراه كل أحد حتى يصير الوجه أسود مثل الحممة فيا
لها عقوبة لا توازن لذات الدنيا بأجمعها من أولها إلى آخرها فكيف
بقسط العبد المنغص المنكد المتعب في زمن إنما هو ساعة من حلم فالله المستعان
فصل ومن عقوباتها أنها تصغر النفس وتقمعها وتدسيها وتحقرها
حتى

حتى تصير أصغر شيء وأحقره كما أن الطاعة تنميها وتزكيها وتكبرها قال تعالى قد أفلح
من زكاها وقد خاب من دساها والمعنى قد أفلح من كبرها وأعلاها بطاعة الله
وأظهرها وقد خسر من أخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله وأصل التدسية الإخفاء
ومنه قوله تعالى يدسه في التراب فالعاصي يدس نفسه في المعصية ويخفي مكانها ويتوارى
من الخلق من سوء ما يأتي به وقد انقمع عند نفسه وانقمع عند الله وانقمع عند الخلق
فالطاعة والبر تكبر النفس وتعزها وتعليها حتى تصير أشرف شيء وأكبره وأزكاه
وأعلاه ومع ذلك فهي أذل شيء وأحقره وأصغره لله وبهذا الذل حصل لها
العز والشرف والنمو فما صغر النفوس مثل معصية الله وما كبرها وشرفها ورفعها
مثل طاعة الله **فصل** ومن عقوباتها أن العاصي دائمًا في أسر شيطانه
وسجن شهواته وقيود هواه فهو أسير مسجون مقيد ولا أسير أسوأ حالًا من أسير
أسره أعدى عدو له ولا سجن أضيق من سجن الهوى ولا قيد أصعب من قيد الشهوة فكيف
يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد وكيف يخطو خطوة واحدة
وإذا تقيد القلب طرقته الآفات من كل جانب بحسب قيوده ومثل القلب مثل الطائر
كلما علا بعد عن الآفات وكلما نزل احتوشته الآفات وفي الحديث الشيطان ذئب
الإنسان وكما أن الشاة التي لا حافظ لها وهي بين الذئاب سريعة العطب فكذلك
العبد إذا لم يكن عليه حافظ من الله فذئبه مفترسه ولا بد وإنما يكون عليه حافظ من
الله بالتقوى فهي وقاية وجنة حصينة بينه وبين ذئبه كما هي وقاية بينه وبين عقوبة

الدنيا والآخرة وكلما كانت الشاة اقرب من الراعي كانت اسلم من الذئب
وكلما بعدت عن الراعي كانت اقرب الى الهلاك فاحمى ما تكون الشاة اذا قربت
من الراعي وانما ياخذ الذئب القاصية من الغنم وهي ابعدهن من الراعي واصل كله ان القلب
كلما كان ابعد من الله كانت الآفات اليه اسرع وكلما قرب من الله بعدت عنه الآفات
فالبعد من الله مراتب بعضها اشد من بعض فالغفلة تبعد العبد عن الله وبعد المعصية
اعظم من بعد الغفلة وبعد البدعة اعظم من بعد المعصية وبعد النفاق والشرك اعظم
من ذلك **فصل** ومن عقوباتها سقوط الجاه والمنزلة والكرامة
عند الله وعند خلقه فان اكرم الخلق عند الله اتقاهم واقربهم منه منزلة اطوعهم له
وعلى قدر الطاعة العبد له تكون منزلته عنده فاذا عصاه وخالف امره سقط
من عينه فاسقطه من قلوب عباده واذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه
على حسب ذلك فعاش بينهم اسوأ عيش خامل الذكر ساقط القدر زري الحال
لا حرمة له ولا فرح له ولا سرور فان خمول الذكر وسقوط القدر والجاه معه كل غم
وهم وحزن ولا سرور معه ولا فرح واين هذا الالم من لذة المعصية لولا سكر
الشهوة ومن اعظم نعم الله على العبد ان يرفع له بين العالمين ذكره ويعلي قدره ولهذا
خص انبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم كما قال تعالى واذكر عبادنا ابرهيم
واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى
الدار اي خصصناهم بخصيصة وهو الذكر الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار

وهو لسان الصدق الذي سأله ابرهيم الخليل حيث قال واجعل لي لسان صدق
في الآخرين وقال سبحانه عنه وعن بنيه ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان
صدق عليا وقال لنبيه ورفعنا لك ذكرك فاتباع الرسل لهم نصيب من ذلك
بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم وكل من خالفهم فانه من ذلك بحسب مخالفتهم
ومعصيتهم **فصل** ومن عقوباتها انها تسلب صاحبها اسماء المدح
والشرف وتكسوه اسماء الذم والصغار فتسلبه اسم المؤمن والبر والمحسن
والمتقي والمطيع والمنيب والولي والورع والمصلح والعابد والخائف
والاواب والطيب والرضي ونحوها وتكسوه اسم الفاجر والعاصي والمخالف
والمفسد والخبيث والمسخوط والزاني والسارق والقاتل والكاذب
والخائن واللوطي والغادر وقاطع الرحم وامثالها وهذه اسماء الفسوق
وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان التي توجب غضب الديان ودخول النيران وعيش
الخزي والهوان وتلك اسماء توجب شرف المسمى بها على سائر نوع الانسان
فلو لم يكن في عقوبة المعصية الا استحقاق تلك الاسماء وموجباتها لكان في
العقل ناه عنها ولو لم يكن في ثواب الطاعة الا الفوز بتلك الاسماء وموجباتها
لكان في العقل امر بها ولكن لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا مقرب لمن باعد
ولا مبعد لمن قرب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء
فصل ومن عقوباتها انها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل فلا تجد

عاقلين احدهما مطيع والاخر عاص الا وعقل المطيع منهما اوفر واكمل وفكره اصح ورايه
اسد والصواب قرينه ولهذا تجد خطاب القرآن انما هو مع اولى العقول والالباب
كقوله فاتقون يا اولي الالباب الذين آمنوا وقوله وما يذكر الا اولوا الالباب ونظاير
ذلك كثيرة وكيف يكون عاقلا وافر العقل من يعصى من هو فى قبضته وفى داره وهو
يعلم انه يراه ويشاهده فيعصيه وهو بعينه غير متوار عنه ويستعين بنعمه على مساخطه
ويستدعى كل وقت غضبه عليه ولعنته وابعاده من قربه وطرده عن بابه واعراضه
عنه وخذلانه له والتخلية بينه وبين نفسه وعدوه وسقوطه من عينه وحرمانه روح
رضاه وحبه وقرة العين بقربه والفوز بجواره والنظر الى وجهه فى زمرة اوليائه
الى اضعاف ذلك من كرامة اهل الطاعة واضعاف اضعاف ذلك من عقوبة اهل
المعصية فاى عقل لمن اثر لذة ساعة او يوم او دهر ثم تنقضى كانها حلم لم يكن على هذا
النعيم المقيم والفوز العظيم بل هو سعادة الدنيا والآخرة ولولا العقل الذى تقوم به
عليه الحجة لكان بمنزلة المجانين بل قد تكون المجانين احسن حالا منهم واسلم عاقبة فهذا
من هذا الوجه واما تاثيرها فى نقصان العقل المعيشى فلولا الاشتراك فى هذا
النقصان لظهر لمطيعنا نقصان عقل عاصينا ولكن الجايحة عامة والجنون فنون ويا
عجبا لو صحت العقول لعلمت ان طريق تحصيل اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش
انما هو فى رضاء من النعيم كله فى رضاه والالم والعذاب كله فى سخطه وغضبه ففى
رضاه قرة العيون وسرور النفوس وحياة القلوب ولذة الارواح وطيب الحياة

ولذة

ولذة العيش واطيب النعيم مما لو وزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا لم يف به بل اذا
حصل للقلب من ذلك ايسر نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضا منه فهو يتنعم
بنصيبه من الدنيا اعظم من تنعم المترفين فيها ولا يشوب تنعمه بذلك الحظ اليسير ما
يشوب تنعم المترفين من الهموم والغموم والاحزان والمعارضات بل قد حصل على النعيمين
وهو ينتظر نعيمين آخرين اعظم منهما وما يحصل له فى خلال ذلك من الالام فالامر كما قال
تعالى ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فلا اله
الا الله ما انقص عقل من باع الدر بالبعر والمسك بالرجيع ومرافقة الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمرافقة الذين غضب الله
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا

فصل

ومن عقوباتها انها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى فاذا وقعت
القطيعة انقطعت عنه اسباب الخير وقطع ما بينه وبين وليه ومولاه الذى لا بد له
ولا غنى له عنه طرفة عين ولا عوض له عنه واتصلت به اسباب الشر ووصل ما بينه وبين
عاد له فتولاه عدوه وتخلى عنه وليه فلا تعلم نفس ما فى هذا الانقطاع والاتصال
من انواع الالام وانواع العذاب قال بعض السلف رايت العبد ملقى بين الله سبحانه
وبين الشيطان فان اعرض عنه تولاه الشيطان وان تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان
وقد قال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن
ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو بئس

للظالمين بدلًا يقول سبحانه اني اكرمت اباكم ورفعت قدره وفضلته على غيره فامرت
ملائكتي كلهم ان يسجدوا له تكريمًا وتشريفًا فاطاعوني وابى عدوي وعدوه فعصى امري
وخرج عن طاعتي فكيف يحسن بكم بعد هذا ان تتخذوه وذريته اولياء من دوني
فتطيعونه في معصيتي وتوالونه في خلاف مرضاتي وهم اعدى عدو لكم فواليتم عدوي وقد
امرتكم بمعاداته ومن والى اعداء الملك كان هو واعداؤه سواء فان المحبة والطاعة
لا تتم الا بمعاداة اعداء المطاع وموالاة اوليائه واما من يوالي اعداء الملك ثم يدعي
انه موال له فهذا محال هذا ولو لم يكن عدو الملك عدوًا لكم فكيف اذا كان عدوكم
على الحقيقة والعداوة التي بينكم وبينه اعظم العداوة التي بين الشاة والذئب
فكيف يليق بالعاقل ان يوالي عدوه وعدو وليه ومولاه الذي لا مولى له سواه و
نبه سبحانه على قبح هذه الموالاة بقوله وهم لكم عدو كما نبه على قبحها بقوله ففسق عن
امر ربه فتبين ان عداوته لربه وعداوته لنا كل منهما سبب يدعو الى معاداته فما
هذه الموالاة وما هذا الاستبدال بئس للظالمين بدلًا ويشبه ان يكون تحت
هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف عجيب وهو اني عاديت ابليس اذ لم يسجد
لابيكم آدم مع ملائكتي فكانت معاداته لاجلكم ثم كان عاقبة هذه المعاداة
ان عقدتم بينكم وبينه عقد المصالحة **فصل** ومن عقوباتها انها تمحق بركة
العمر وبركة الرزق وبركة العلم وبركة العمل وبركة الطاعة وبالجملة تمحق بركة
الدين والدنيا فلا تجد اقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله وما محقت
البركة

البركة من الارض الا بمعاصي الخلق قال تعالى ولو ان اهل القرى امنوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقًا وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي الحديث ان
روح القدس نفث في روعي ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا
في الطلب فانه لا ينال ما عند الله الا بطاعته وان الله جعل الروح والفرح في
الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وقد تقدم الاثر الذي ذكره
احمد في كتاب الزهد انا الله لا اله الا انا اذا رضيت باركت وليس لبركتي
منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وليست سعة الرزق
والعمل بكثرته ولا طول العمر بكثرة الشهور والاعوام ولكن سعة الرزق والعمر
بالبركة فيه وقد تقدم ان عمر العبد هو مدة حياته ولا حياة لمن اعرض عن الله
واشتغل بغيره بل البهائم خير من حياته فان حياة الانسان بحياة قلبه
وروحه ولا حياة لقلبه الا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده والانابة اليه
والطمانينة بذكره والانس بقربه ومن فقد هذه الحياة فقد فقد الخير كله ولو تعوض
عنها بما تعوض مما في الدنيا بل ليست الدنيا باجمعها عوضًا من هذه الحياة
فمن كل شيء يفوت العبد عوض واذا فاته الله لم يعوض عنه شيء البتة وكيف
يعوض الفقير بالذات عن الغني بالذات والعاجز بالذات عن القادر بالذات
والميت عن الحي الذي لا يموت من المخلوق عن الخالق ومن لا وجود له ولا شيء له من ذاته

البتة عن من غناه وحياته وكماله ووجوده ورحمته من لوازم ذاته وكيف يعوض
عنه من لا يملك مثقال ذرة عمن له ملك السموات والارض وانما كانت معصية
الله سببا لمحق بركة الرزق والاجل لان الشيطان موكل بها وباصحابها
عليهم وحوالته على هذا الديوان واهله واصحابه وكل شيء يتصل به الشيطان ويقارنه
فبركته محوقة ولهذا شرع ذكر اسم الله تعالى عند الاكل والشرب واللبس والركوب
والجماع لما في مقارنة اسم الله من البركة وذكر اسم الله يطرد الشيطان فتحصل البركة
ولا معارض لها وكل شيء لا يكون لله فبركته منزوعة فان الرب هو الذي يبارك
وحده والبركة كلها منه وكلما نسب اليه مبارك ورسوله مبارك وعبده
المؤمن النافع لخلقه مبارك وكتابه من ارضه هو الشام ارض البركة و
وصفها بالبركة في ست آيات من كتابه فلا مبارك الا هو وحده ولا مبارك
الا ما نسب اليه اعني الى الوهيته ومحبته ورضاه والا فالكون كله منسوب الى ربوبيته
وخلقه وكلما باعده من نفسه من الاعيان والاقوال والاعمال فلا بركة فيه ولا
خير فيه وكل ما كان قريبا منه من ذلك ففيه من البركة على حسب قربه منه وضد البركة
اللعنة فارض لعنها الله او شخص لعنه الله او عمل لعنه الله ابعد شيء من الخير والبركة
وكلما اتصل بذلك وارتبط به او كان منه بسبيل فلا بركة له فيه البتة وقد لعن
عدوه ابليس وجعل ابعد خلقه منه فكل ما كان من جهته فله من لعنة الله بقدر قربه منه
واتصاله به فمن هاهنا كان للمعاصي اعظم تاثير في محق البركة العمر والرزق والعلم والعمل

فكل

فكل وقت عصيت الله فيه او مال عصي الله به او بدن او جاه او علم او عمل فهو على
صاحبه ليس له فليس عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه وعمله الا ما اطاع الله به ولهذا
من الناس من يعيش في هذه الدار مائة سنة او نحوها ويكون عمره لا يبلغ عشر سنين
او نحوها كما ان منهم من يملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ويكون ماله في
الحقيقة لا يبلغ الف درهم او نحوها وهكذا الجاه والعلم وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما او متعلما وفي اثر
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله فهذا هو الذي فيه البركة خاصة والله المستعان

فصل ومن عقوباتها انها تجعل صاحبها من السفلة بعد ان كان مهيئا
لان يكون من العلية فان الله خلق خلقه قسمين علية وسفلة وجعل عليين مستقر العلية
واسفل سافلين مستقر السفلة وجعل اهل الطاعة الاعلين في الدنيا والآخرة
واهل المعصية الاسفلين في الدنيا والآخرة كما جعل اهل طاعته اكرم خلقه عليه واهل
معصيته اهون خلقه عليه وجعل العزة لهؤلاء والذلة والصغار لهؤلاء كما في المسند
للامام احمد من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جعل الذلة
والصغار على من خالف امري فكلما عمل العبد معصية نزل الى اسفل درجة ولا يزال في
نزول حتى يكون من الاسفلين وكلما عمل طاعة ارتفع بها درجة حتى يكون من الاعلين
وقد يجتمع للعبد في ايام حياته الصعود من وجه والنزول من وجه وايهما كان
اغلب عليه كان من اهله فليس من صعد مائة درجة ونزل درجة واحدة كمن كان

بالعكس ولكن يعرض هاهنا للنفوس غلط عظيم وهو ان العبد قد ينزل نزولاً بعيداً
ابعد مما بين المشرق والمغرب ومما بين السماء والارض فلا يفي صعوده الف درجة
بهذا النزول الواحد كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد
ليتكلم بالكلمة الواحدة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب
فاي صعود يوازن هذه النزلة والنزول امر لازم للانسان ولكن من الناس من يكون
نزوله الى غفلة فهذا متى استيقظ من غفلته عاد الى درجته او الى ارفع منها بحسب
يقظته ومنهم من يكون نزوله الى مباح لا ينوي به الاستعانة على الطاعة فهذا
متى رجع الى الطاعة فقد يعود الى درجته وقد لا يصل اليها وقد يرتفع عنها فانه
قد يعود الى درجته وقد لا يصل اليها وقد يرتفع عنها فانه قد يعود اعلى همة
مما كان وقد يكون اضعف همة وقد تعود همته كما كانت ومنهم من يكون نزوله الى
معصية اما صغيرة او كبيرة فهذا يحتاج في عوده الى توبة نصوح وانابة صادقة
واختلف الناس هل يعود بعد التوبة الى درجته التي كان فيها بناء على ان
التوبة تمحو اثر الذنب وتجعل وجوده كعدمه فكأنه لم يكن او لا يعود بناء على
ان التوبة اثرها في اسقاط العقوبة واما الدرجة التي فاتته فانه لا يصل
اليها قالوا وتقرير ذلك انه كان مستعداً باشتغاله بالطاعة في الزمن الذي
عصى فيه لصعود آخر وارتقاء بجملة اعماله السالفة بمنزلة كسب الرجل كل يوم
بجملة ماله الذي يملكه وكلما تضاعف المال تضاعف الربح فقد راح عليه

في زمن

في زمن المعصية ارتفاع وربح بجملة اعماله فاذا استأنف صعوداً من نزول
وكان قبل ذلك صاعداً من علو وبينهما بون عظيم قالوا ومثل ذلك رجلان
مرتقيان في سلمين لا نهاية لهما وهما سواء فنزل احدهما الى السفل ولو درجة واحدة
ثم استأنف الصعود فان الذي لم ينزل يعلو عليه ولا بد وحكم شيخ الاسلام ابن
تيمية بين الطائفتين حكماً مقبولاً فقال التحقيق ان من التائبين من يعود الى
ارفع من درجته ومنهم من يعود الى مثل درجته ومنهم من لا يصل الى درجته قلت
وهذا بحسب قوة التوبة وكمالها وما احدثته المعصية للعبد من الذل والخضوع
والانابة والحذر والخوف من الله والبكاء من خشية الله فقد تقوى هذه الامور حتى
يعود التائب الى ارفع من درجته ويصير بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة فهذا قد
تكون في حقه رحمة فانها نفت عنه داء العجب وخلصته من ثقته واعماله ووضعت
خده ضراعته وذلته وانكساره على عتبة باب سيده ومولاه وعرفته قدره و
اشهدته فقره وضرورته الى حفظ سيده له والى عفوه عنه ومغفرته له واخرجت
من قلبه صولة الطاعة وكسرت انفه ان يشمخ بها او يتكبر بها او يرى نفسه بها خيراً
من غيره واوقفته بين يدي ربه مستحيياً منه خائفاً وجلاً محتقراً لطاعته
مستعظماً لمعصيته قد عرف نفسه بالنقص والذم وربه منفرداً بالكمال والحمد
والوفاء كما قيل استأثر الله بالوفاء وبالحمد وولى الملامة فاي نعمة وصلت
من الله اليه استكثرها على نفسه ورأى نفسه دونها ولم يرها اهلاً لها واي نقمة

او بلية وصلت اليه رآى نفسه اهلاً لما هو اكثر منها ورأى مولاه قد احسن اليه اذ لم
يعاقبه على قدر جرمه ولا عشره ولا ادنى جزء منه فانما يستحقه من العقوبة لا تحمله
الجبال الراسيات فضلاً عن هذا العبد الضعيف العاجز فان الذنب وان صغر
فان مقابلة العظيم الذي لا شيء اعظم منه الكبير الذي لا شيء اكبر منه الكريم الذي لا شيء
اجل منه ولا اجمل المنعم بجميع اصناف النعم دقيقها وجليلها من اقبح الامور واصعبها
واشنعها فان مقابلة العظماء والاجلاء وسادات الناس بمثل ذلك يستقبحه
كل احد مومن وكافر واراذل الناس واسقطهم مروة من قابلهم بالرذايل
فكيف بعظيم السموات والارضين وملك السموات والارض واله السموات والارض
ولولا ان رحمته غلبت غضبه ومغفرته سبقت عقوبته والا لدكدكت الارض
من قابله بما لا يليق مقابلته به بل لولا حلمه ومغفرته لزالت السموات والارض
من معاصي العباد قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن
زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا فتأمل ختم هذه
الاية باسمين من اسمائه وهما الحليم والغفور كيف تجد تحت ذلك انه
لولا حلمه عن الجناة ومغفرته للعصاة لما استقرت السموات والارض وقد اخبر
سبحانه عن بعض كفر عباده انه تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا وقد اخرج الله سبحانه الابوين من الجنة بذنب واحد ارتكباه
وخالفا فيه نهيه ولعن ابليس وطرده واخرجه من ملكوت السماء بذنب ارتكبه وخالف
فيه

فيه امره ونحن معاشر الحمقى كما قيل ∴ نصل الذنوب الى الذنوب ونرجى ذلك
الجنان الذي النعيم ∴ ولقد علمنا انه اخرج الابوين من ملكوتها الاعلى ∴ والمقصود ان
العبد قد يكون بعد التوبة خيرا مما كان قبل الخطيئة وارفع درجة وقد تضعف الخطيئة
همته وتوهن عزمه وتمرض قلبه فلا يقوى دواء التوبة على اعادته الى الصحة الاولى فلا
يعود الى درجته وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما كانت ويعود الى مثل عمله فيعود
الى درجته هذا كله اذا كان نزوله الى معصية فان كان نزوله الى امر يقدح في
اصل ايمانه مثل الشكوك والذنب والنفاق فذاك لا يرجى لصاحبه صعود
الا بتجديد اسلامه من رأس **فصل** ومن عقوباتها انها تجرئ على العبد
من لم يكن يجترئ عليه من اصناف المخلوقات فتجترئ عليه الشياطين بالاذى والاغواء و
الوسوسة والتخويف والتحزين وانسائه ما مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه فتجترئ
عليه شياطينه حتى تؤزه الى معصية الله ازاً وتجترئ عليه شياطين الانس بما تقدر عليه
من اذاه في غيبته وحضوره ويجترئ عليه اهله وخدمه واولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم
قال بعض السلف اني لاعصي الله فاجد ذلك في خلق خادمي وامرأتي ودابتي وكذلك
يجترئ عليه اولياء الامر بالعقوبة التي اذا عدلوا فيها اقاموا عليه حدود الله ويجترئ عليه نفسه
فتتأسد عليه وتستصعب عليه فلو ارادها لخير لم تطاوعه ولم تنقد له وتسوقه الى
ما فيه هلاكه شاء ام ابى وذلك لان الطاعة حصن الرب تبارك وتعالى الذي
من دخله كان من الآمنين فاذا فارق الحصن اجترأ عليه قطاع الطريق وغيرهم وعلى

حسب جرأته على معاصي الله يكون اجتراء هذه الآفات والنفوس عليه وليس شيء
يرد عنه فإن ذكر الله وطاعته والصدقة وإرشاد الجاهل والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر وقاية ترد عن العبد بمنزلة القوة التي ترد المرض وتقاومه فإذا سقطت
القوة غلب وارد المرض فكان الهلاك فلا بد للعبد من شيء يرد عنه فإن موجب
السيئات والحسنات تتدافع ويكون الحكم للغالب كما تقدم وكلما قوي جانب الحسنات
كان الرد أقوى فإن الله يدافع عن الذين آمنوا والإيمان قول وعمل فبحسب قوة الإيمان
يكون الدفع والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها أنها تخون العبد
أحوج ما يكون إلى نفسه فإن كل أحد محتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه
ومعاده وأعلم الناس أعرفهم بذلك على التفصيل وأقواهم وأكيسهم من قوي
على نفسه وإرادته بها فاستعملها فيما ينفعه وكفها عما يضره وفي ذلك تتفاوت
معارف الناس وهممهم ومنازلهم فأعرفهم من كان عارفا بأسباب السعادة و
الشقاوة وأرشدهم من آثر هذه على هذه كما أن أسفههم من عكس الأمر والمعاصي
تخون العبد أحوج ما كان إلى نفسه في تحصيل هذا العلم وإيثار الحظ الأشرف العالي
الدائم على الحظ الخسيس الأدنى المنقطع فتحجبه الذنوب عن كمال هذا العلم وعن الاشتغال
بما هو أولى وأنفع له في الدارين فإذا وقع مكروه واحتاج إلى التخلص منه خانه قلبه
ونفسه وجوارحه وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الجرب ولزمه قرابه بحيث
لا ينجذب مع صاحبه إذا جذبه فعرض له عدو يريد قتله فوضع يده على سيفه واجتهد

ليخرجه

ليخرجه فلم يخرج معه فدهمه العدو وظفر به كذلك القلب يصدأ بالذنوب و
يصير مثخنا بالمرض فإذا احتاج إلى محاربة العدو لم يجد معه منه شيئا
والعبد إنما يحارب ويصاول ويقدم بقلبه والجوارح تبع فإذا القلب فإذا
لم يكن عند ملكها قوة يدفع بها فما الظن بها وكذلك النفس فإنها تخبث
بالشهوات والمعاصي وتضعف أعني النفس المطمئنة وإن كانت الأمارة تقوى و
تتأسد وكلما قويت ضعفت تلك فيبقى الحكم والتصرف للأمارة وربما ماتت
نفسه المطمئنة موتا لا يرجى معه حياة فهذا ميت في الدنيا ميت في البرزخ غير
حي في الآخرة حياة ينتفع بها بل حياته حياة يدرك بها الآلام فقط و
المقصود أن العبد إذا وقع في شدة أو كربة أو بلية خانه لسانه وجوارحه عما
هو أنفع شيء له فلا ينجذب قلبه للتوكل على الله والإنابة إليه والجمعية عليه و
التضرع والتذلل والانكسار بين يديه ولا يطاوعه لسانه لذكره وإن ذكره
بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه فينحبس القلب على اللسان بحيث يؤثر الذكر
ولا ينحبس القلب واللسان على المذكور بل إن ذكر أو دعا ذكر بقلب لاه
ساه غافل ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم
تطاوعه وهذا كله أثر الذنوب والمعاصي كمن له جند يدفعون عنه الأعداء
فأهمل جنده وضيعهم وأضعفهم وقطع أخبازهم ثم أراد منهم عند هجوم العدو
عليه أن يستفرغوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوة هذا وثم أمر أخوف من ذلك

وادى وامره وهواه يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال الى الله
فربما تعذر عليه النطق بالشهادة كما يشاهد الناس كثيرا من المحتضرين اصابهم ذلك
حتى قيل لبعضهم قل لا اله الا الله فقال آه آه لا استطيع ان اقولها وقيل لآخر قل لا اله
الا الله فقال شاه رخ غلبتك ثم قضى وقيل لآخر قل لا اله الا الله فقال يا رب
قائلة يوما وقد تعبت كيف الطريق الى حمام منجاب ثم قضى وقيل لآخر قل لا اله الا الله
فجعل يهذى بالغناء ويقول تاتنا تنتنا حتى قضى وقيل لآخر ذلك فقال وما
ينفعنى ما تقول ولم ادع معصية الا ركبتها ثم قضى ولم يقلها وقيل لآخر ذلك
فقال وما يغنى عنى وما اعرف انى صليت لله صلوة قط ولم يقلها وقيل لآخر ذلك
فقال هو كافر بما تقول وقضى وقيل لآخر ذلك فقال كلما اردت ان اقولها
لسانى يمسك عنها واخبرنى من حضر بعض الشحاذين عند موته فجعل يقول لله فلس لله
فلس حتى قضى واخبرنى بعض التجار عن قرابة له انه احتضر وهو عنده فجعلوا يلقنونه
لا اله الا الله وهو يقول هذه القطعة رخيصة هذا مشترى جيد هذه كذى حتى
قضى وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا والذى يخفى عليهم من احوال
المحتضرين اعظم واعظم واذا كان العبد فى حال حضوره وذهنه وقوته وكمال ادراكه
قد تمكن منه الشيطان واستعمله فيما يريده من المعاصى وقد اغفل قلبه عن الله وعطل
لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند سقوط قواه واشتغال
قلبه ونفسه بما هو فيه من الم النزع وجمع الشيطان له كل قوته وحشده عليه بجميع ما يقدر

عليه

عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته فان ذلك آخر العمل فاقوى ما يكون عليه
شيطانه ذلك الوقت واضعف ما يكون هو فى تلك فمن ترى يسلم على
ذلك فهنالك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة
ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فكيف يوفق بحسن الخاتمة من اغفل قلبه
عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا فبعيد من قلب بعيد من الله غافل عنه
متعبد لهواه اسير لشهواته ولسان يابس من ذكره وجوارح معطلة من طاعته
مشتغلة بمعصيته ان يوفق للخاتمة بالحسنى ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين
وكان المسيئين الظالمين قد اخذوا توقيعا بالامان ام لكم ايمان علينا بالغة الى
يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم ؞ يا آمنا
من قبيح الفعل منه اهل ؞ اتاك توقيع امن انت تملكه ؞ جمعت شيئين امنا
واتباع هوى ؞ هذا واحداهما فى المرء تهلكه ؞ فرطت فى الزرع وقت البذر
من سفه فكيف عند حصاد الناس تدركه ؞ هذا واعجب شئ فيك زهدك
فى دار البقاء بعيش سوف تتركه ؞ من السفيه اذا بالله انت ام المغبون فى
البيع غبنا سوف يدركه ؞ **فصل** ومن عقوبتها انها تعمى القلب
فان لم تعمه اضعفت بصيرته ولا بد وقد تقدم بيان انها تضعفه ولا بد فاذا
عمى القلب وضعف فاته من معرفة الهدى وقوته على تنفيذه فى نفسه وفى غيره بحسب ضعف بصيرته
وقوته فان الكمال الانسانى مداره على اصلين معرفة الحق من الباطل وايثاره عليه وما

تفاوتت منازل الخلق عند الله في الدنيا والاخرة الا بقدر تفاوت منازلهم
في هذين الامرين وهما اللذان اثنى الله سبحانه على انبيائه بهم في قوله واذكر عبادنا
ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار فالايدي القوى في تنفيذ الحق
والابصار البصائر في الدين فوصفهم بكمال ادراك الحق وكمال تنفيذه والناس
في هذا المقام اربعة اقسام فهؤلاء اشرف اقسام الخلق واكرمهم على الله القسم الثاني
عكس هؤلاء لا بصيرة في الدين ولا قوة على تنفيذ الحق وهم اكثر هذا الخلق الذين
رؤيتهم قذى العيون وحمى الارواح وسقم القلوب يضيقون الديار ويغلون الاسعار
لا يستفاد بصحبتهم الا العار والشنارة القسم الثالث من له بصيرة بالحق
ومعرفة به لكنه ضعيف لا قوة له على تنفيذه ولا الدعوة اليه وهذا حال المؤمن الضعيف
والمؤمن القوي خير واحب الى الله منه القسم الرابع من له قوة وهمة وعزيمة
لكنه ضعيف البصيرة في الدين لا يكاد يميز بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان
بل يحسب كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة يحسب الورم شحما والدواء النافع
سما وليس في هؤلاء من يصلح للامامة في الدين ولا هو موضعا لها سوى القسم الاول
قال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون
فاخبر سبحانه ان بالصبر واليقين نالوا الامامة في الدين وهؤلاء هم الذين
استثناهم الله سبحانه من جملة الخاسرين واقسم بالعصر الذي هو من سعي
الانسان الخاسرين والرابحين على ان من عداهم فهو من الخاسرين فقال والعصر

ان

ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر ٭ فلم يكتف منهم بمعرفة الحق والصبر عليه حتى يوصي بعضهم بعضا
ويرشده اليه ويحضه عليه واذا كان من عدا هؤلاء خاسرا فمعلوم ان المعاصي
والذنوب تعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحق كما ينبغي وتضعف قوته وعزيمته
فلا يصبر عليه بل تتوارى على القلب حتى ينعكس ادراكه كما ينعكس سيره فيدرك
الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا فينتكس في سيره و
يرجع عن سفره الى الله والدار الاخرة الى سفره الى مستقر النفوس المبطلة التي
رضيت بالحياة الدنيا واطمانت بها وغفلت عن الله واياته وترك الاستعداد
للقائه ولو لم يكن في عقوبة الذنوب الا هذه العقوبة وحدها لكانت داعية
الى تركها والعبد منها والله المستعان وهذا كما ان الطاعة تنور القلب و
تصقله وتقويه وتثبته حتى يصير كالمراة المجلوة في جلائها وصفائها فيمتلي
نورا فاذا دنا الشيطان منه اصابه من نوره ما يصيب مسترق السمع من الشهب
الثواقب فالشيطان يفرق من هذا القلب اشد من فرق الذئب من الاسد
حتى ان صاحبه ليصرع الشيطان فيخر صريعا فيجتمع عليه الشياطين فيقول
بعضهم لبعض ما شانه فيقول اصابه الانسي وبه نظرة من الانس فصل
فيا نظرة من القلب قلب حي منور ركاد لها الشيطان بالنور يحرق فيستوي
هذا الغليظ وقلب مظلم ارجاؤه مختلفة اهواه قد اتخذه الشيطان وطنه واعده

مسكنه اذا تصبح بطلعة حياة وقال قد خاب من لا يفلح في دنياه ولا في اخراه قرينك
في الدنيا وفي الحشر بعدها فانت قرين لي بكل مكان فان كنت في دار الشقاء فانني
وانت جميعا في شقاء وهوان قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا
قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم
في العذاب مشتركون فاخبر سبحانه انه من عشي عن ذكره وهو كتابه الذي انزل على
رسوله فاعرض عنه وعشت بصيرته عن فهمه وتدبره ومعرفة مراد الله منه قيض الله
له شيطانا عقوبة له باعراضه عن كتابه فهو قرينه الذي لا يفارقه في الاقامة ولا
في السفر ومولاه وعشيره الذي هو بئس المولى وبئس العشير ؞ رضيعي لبان
ثدي ام تقاسما ؞ باسحم داج عوض لا نتفرق ؞ ثم اخبر سبحانه ان الشيطان يصد قرينه
ووليه عن سبيله الموصل اليه والى جنته ويحسب هذا الضال المصدود انه على
طريق هدى حتى اذا جاء القرينان يوم القيمة يقول احدهما للاخر يا ليت بيني
وبينك بعد المشرقين فبئس القرين كنت لي في الدنيا اضللتني عن الهدى بعد
اذ جاءني وصددتني عن الحق واغويتني حتى هلكت فبئس القرين انت اليوم ولما
كان المصاب اذا شاركه غيره في مصيبته حصل له بالتاسي نوع تخفيف وتسلية
اخبر سبحانه ان هذا غير موجود وغير حاصل في حق المشتركين في العذاب
وان القرين لا يجد راحة ولا ادنى فرح بعذاب قرينه معه وان كانت المصائب
في الدنيا

في الدنيا اذا عمت صارت مسلاة كما قالت ؞ الخنساء في اخيها صخر فلولا
كثرة الباكين حولي ؞ على اخوانهم لقتلت نفسي ؞ وما يبكون مثل اخي ولكن
اعزي النفس عنه بالتاسي فمنع الله سبحانه هذا القدر من الراحة عن اهل النار
فقال ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون

فصل

ومن عقوباتها انها مدد من الانسان يمده به عدوه عليه وجيش يقويه به على
حربه وذلك ان الله سبحانه ابتلى هذا الانسان بعدو لا يفارقه طرفة عين
ينام ولا ينام عنه ويغفل ولا يغفل عنه يراه هو وقبيله من حيث لا يراه
يبذل جهده في معاداته في كل حال ولا يدع امرا يكيده به يقدر على ايصاله
اليه الا اوصله اليه ويستعين عليه ببني جنسه ابيه من شياطين الجن وغيرهم
من الانس وقد نصب له الحبائل وبغاه الغوائل ومد حوله الاشراك ونصب له
الفخاخ والشباك وقال لاعوانه دونكم عدوكم وعدو ابيكم لا يفوتكم ولا يكن حظه الجنة
وحظكم النار ونصيبه الرحمة ونصيبكم اللعنة وقد علمتم ان ما جرى علي وعليكم
من الخزي واللعن والابعاد من رحمة الله فبسببه ومن اجله فابذلوا جهدكم ان يكونوا
شركاءنا في هذه البلية اذ قد فاتنا شركة صالحيهم في الجنة وقد اعلمنا
بذلك سبحانه كله من عدونا وامرنا ان ناخذ له اهبته ونعد له عدته ولما علم
سبحانه ان ادم وبنيه قد بلوا بهذا العدو وانه قد سلط عليهم امدهم بعساكر
وجند يلقونه بها وامد عدوهم ايضا بجند وعساكر يلقاهم بها واقام سوق

الجهاد في هذه الدار في مدة العمر الى بالاضافة الى الاخرة كنفس واحد من انفاسها
واشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون واخبر ان ذلك وعد مؤكد عليه في اشرف كتبه وهي التوراة
والانجيل والقرآن ثم اخبر انه لا اوفى بعهده منه سبحانه ثم امرهم ان يستبشروا
بهذه الصفقة التي من اراد ان يعرف قدرها فلينظر الى المشتري من هو والى الثمن
المبذول في هذه السلعة والى من جرى على يديه هذا العقد فاي فوز اعظم من هذا
واي تجارة اربح منه ثم اكد سبحانه معهم هذا الامر بقوله يا ايها الذين آمنوا هل
ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك هو الفوز العظيم
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ولم يسلط سبحانه هذا العدو
على عبده المؤمن الذي هو احب انواع المخلوقات اليه الا لان الجهاد احب شيء اليه
واهله ارفع الخلق عنده درجات واقربهم اليه وسيلة فعقد سبحانه لواء هذا الحرب
لخلاصة مخلوقاته وهو القلب الذي هو محل معرفته ومحبته وعبوديته والاخلاص له
والتوكل عليه والانابة اليه فولاه امر هذا الحرب وايده بجند من الملائكة لا يفارقونه
معقبات من بين يديه ومن خلفه يعقب بعضهم بعضا كلما ذهب بدل جاء بدل
آخر يثبتونه ويامرونه ويقولون انما هو صبر ساعة وقد استرحت راحة الابد

ثم

ثم امده سبحانه بجند آخر من وحيه وكلامه فارسل اليه رسوله وانزل اليه كتابه فازداد
قوة الى قوته ومددا الى مدده وعدة الى عدته وامده مع ذلك بالعقل وزيرا له
ومدبرا وبالمعرفة مشيرة عليه ناصحة له وبالايمان مثبتا له ومؤيدا وناصرا وباليقين كا
شفا له عن حقيقة الامر حتى كانه يعاين ما وعد الله اولياءه وحزبه على جهاد اعدائه فالعقل
يدبر امر جيشه والمعرفة تصنع له امور الحرب واسبابها ومواضعها اللائقة بها والايمان
يثبته ويقويه ويصبره واليقين يقدم به ويحمل به الحملات الصادقة ثم امد سبحانه
القائم بهذا الحرب بالقوى الظاهرة والباطنة فجعل العين طليعته والاذن صاحب
خبره واللسان ترجمانه واليدين والرجلين اعوانه واقام ملائكته وحملة عرشه
يستغفرون له ويسالون له ان يقيه السيئات ويدخله الجنات وتولى سبحانه
الدفع والدفاع عنه بنفسه وقال هؤلاء حزبي وحزب الله هم المفلحون وهؤلاء جندي
وان جندنا لهم الغالبون وعلم عباده كيفية هذا الحرب والجهاد فجمعها في اربع
كلمات فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون ولا يتم امر هذا الجهاد الا بهذه الاربعة فلا يتم له الصبر الا بمصابرة العدو
وهي مقاومته ومنازلته فاذا صابر عدوه احتاج الى امر آخر وهو المرابطة وهي
لزوم ثغر العين والاذن واللسان والبطن واليد والرجل فهذه الثغور منها
يدخل العدو فيجوس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه فالمرابطة لزوم هذه الثغور ولا
يخلي مكانها فيصادف العدو خاليا فيدخل منه فهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

خير الخلق بعد النبيين والمرسلين واعظمهم حماية وحراسة من الشيطان وقد اخلوا المكان
الذي امروا بلزومه يوم احد فدخل منه العدو فكان ما كان وجماع هذه الثلثة وعمودها
الذي تقوم به هي تقوى الله فلا ينفع العبد ولا المصابرة ولا المرابطة الا بالتقوى ولا
تقوم التقوى الا على ساق الصبر فانظر الان الى التقاء الجيشين واصطفاف
العسكرين وكيف يدال مرة ويدال عليه اخرى اقبل ملك الكفر بجنوده وعساكره
فوجد القلب في حصنه جالسا على كرسي مملكته امره نافذ في اعوانه وجنده قد
حفوا به يقاتلون عنه ويدافعون عن حوزته فلم يمكنه الهجوم عليه الا بمخامرة بعض
امرائه وجنده عليه فسأل عن اخص الجند به واقربهم منه منزلة فقيل له النفس فقال
لاعوانه ادخلوا عليها من مرادها وانظروا مواقع محبتها وما هو محبوبها فعدوها به
ومنوها اياه وانقشوا صورة المحبوب فيها في يقظتها ومنامها فاذا اطمأنت
اليه وسكنت عنده فاطرحوا عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها ثم جروها بها
اليكم فاذا خامرت على القلب وصارت معكم عليه ملكتم ثغر العين والاذن واللسان
والفم واليد والرجل فرابطوا على هذه الثغور كل المرابطة فمتى دخلتم منها
الى القلب فهو قتيل او اسير او جريح مثخن بالجراحات ولا تخلوا هذه الثغور
ولا تمكنوا سرية تدخل منها الى القلب فتخرجكم منها وان غلبتم فاجتهدوا
في اضعاف السرية ووهنها لا تصل اليه وان وصلت اليه وصلت ضعيفة
لا تغني عنه شيئا فاذا استوليتم على هذه الثغور فامنعوا ثغر العين ان يكون
نظره

نظره اعتبارا بل اجعلوا نظره تفرجا واستحسانا وتلهيا فان استرق نظرة عبرة
فافسدوها عليه بنظر الغفلة والاستحسان والشهوة فانه اقرب اليه واعلق بنفسه
واخف عليه ودونكم ثغر العين فانه منه تنالون بغيتكم فاني ما افسدت بني ادم
بشيء مثل النظر فاني ابذر في القلب بذر الشهوة ثم اسقيه بماء الامنية ثم لا ازال
اعده وامنيه حتى اقوي عزيمته واقوده بزمام الشهوة الى الانخلاع من العصمة فلا تهملوا امر
هذا الثغر وافسدوه بحسب استطاعتكم وهونوا عليه امره وقولوا له ما مقدار نظرة تدعوك
الى تسبيح الخالق والتأمل لبديع صنعته وحسن هذه الصورة التي انما خلقت
ليستدل بها الناظر عليه وما خلق الله لك العينين سدى وما خلق
هذه الصورة ليحجبها عن النظر وان ظفرتم به قليل العلم فاسد العقل فقولوا له هذه
الصورة مظهر من مظاهر الحق ومجلى من مجاليه فادعوه الى القول بالاتحاد
فان لم يقبل فالقول بالحلول العام والخاص ولا تقنعوا منه بدون ذلك فانه يصير
من اخوان النصارى فمروه حينئذ بالعفة والصيانة والعبادة والزهد في
الدنيا واصطادوا عليه الجهال فهذا من اقرب خلفائي واكبر جندي بل انا من
جنده واعوانه **فصل** ثم امنعوا ثغر الاذن ان يدخل منه ما يفسد
عليكم الامر فاجتهدوا ان لا تدخلوا منه الا الباطل فانه خفيف على النفس
تستحليه وتستملحه وتخيروا له اعذب الالفاظ واسحرها للالباب وامزجوه
بما تهوى النفوس مزجا والقوا الكلمة فان رأيتم منه اصغاء فزجوه باخواتها وكلما

صادفتم منه استحسان شيئ فالهجوا بذكره واياكم ان يدخل من هذا الثغر شيئ من كلام
رسوله او كلام النصحاء فان غلبتم على ذلك ودخل من ذلك شيئ فحولوا بينه وبين فهمه
وتدبره والتفكر فيه والعظة به اما بصده عنه واما بتهويل ذلك وتعظيمه وان هذا امر
قد حيل بين النفوس وبينه فلا سبيل لها اليه وهو حمل ثقيل عليها لا تستقل به ونحو ذلك
واما بارخاصه على النفوس وان الاشتغال ينبغي ان يكون اهم بما هو اعلى عند الناس
واعز عليهم واغرب عندهم وزبونه القابلون له اكثر واما الحق فهو مهجور وقائله معرض
نفسه للعداوة والرائج بين الناس اولى بالايثار ونحو ذلك فتدخلون الباطل
عليه في كل قالب يقبله ويخف عليه وتخرجون له الحق في كل قالب يكرهه ويثقل عليه



واذا شئت ان تعرف ذلك فانظر الى اخوانهم من شياطين الانس كيف يخرجون
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب كثرة الفضول وتتبع عثرات الناس والتعرض
من البلاء لما لا يطيق والقاء الفتنة بين الناس ونحو ذلك ويخرجون اتباع السنة
ووصف الرب تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله في قالب التجسيم والتشبيه
والتكييف ويسمون علو الله على خلقه واستواءه على عرشه ومباينته لمخلوقاته تحيزا
ويسمون نزوله الى السماء الدنيا وقوله من يسألني فاعطيه تحركا وانتقالا
ويسمون ما وصف به نفسه من اليد والوجه اعضاء وجوارح ويسمون ما يقوم به
من افعاله حوادث وما يقوم به من صفاته اعراضا ثم يتوصلون الى نفي ما وصف
الله به نفسه بنفي هذه الامور ويوهمون الاغمار وضعفاء البصائر ان اثبات الصفات



التي

التي نطق بها كتاب الله وسنة رسوله تستلزم هذه الامور ويخرجون هذا
التعطيل في قالب التنزيه والتعظيم واكثر الناس ضعفاء العقول يقبلون الشيئ بلفظ
ويردونه بعينه بلفظ آخر قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس
والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فسماه زخرفا وهو باطل لان صاحبه
يزخرفه ويزينه ما استطاع ويلقيه الى سمع المغرور فيغتر به والمقصود ان الشيطان
قد لزم ثغر الاذن ان يدخل فيها ما يضر العبد ولا ينفعه ويمنع ان يدخل اليها ما ينفعه وان
دخل بغير اختياره افسده عليه

فصل

ثم يقول قوموا على ثغر اللسان
فانه الثغر الاعظم وهو قبالة الملك فاجروا عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه وامنعوه
ان يجري عليه من الكلام مما ينفعه من ذكر الله واستغفاره وتلاوة كتابه ونصيحة عباده
او التكلم بالعلم النافع ويكون لكم في هذا الثغر امران عظيمان لا تبالون بايهما ظفرتم
احدهما التكلم بالباطل فان المتكلم بالباطل اخ من اخوانكم ومن اكبر جندكم
واعوانكم والثاني السكوت عن الحق فان الساكت اخ لكم اخرس كما ان الاول اخ
ناطق وربما كان الاخ الثاني انفع اخوانكم لكم اما سمعتم قول الناصح المتكلم با
لباطل شيطان ناطق والساكت عن الحق شيطان اخرس فالرباط الرباط على
هذا الثغر ان يتكلم بحق او يمسك عن باطل وزينوا له التكلم بالباطل بكل
طريق وخوفوه من التكلم بالحق بكل طريق واعلموا يا بني ان ثغر اللسان هو الذي اهلك
بني آدم واكبهم على مناخرهم في النار فكم لي من قتيل واسير وجريح اخذته من هذا

الثغور واوصيكم بوصية فاحفظوها لا ينطق احدكم على لسان اخيه من الانس بالكلمة
ويكون الآخر على لسان السامع فينطق باستحسانها وتعظيمها والتعجب منها وبطلب
من اخيه اعادتها وكونوا اعوانا على الانس بكل طريق وادخلوا عليهم من كل باب
واقعدوا لهم بكل مرصد اما سمعتم يميني الذي اقسمت به لربهم حيث قلت فبما اغويتني
لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم
وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين او ما تروني قد قعدت لابن آدم بطرقه كلها
فلا يفوتني من طريق الا قعدت له بطريق غيره حتى اصيب منه حاجتي او بعضها وقد
حذرهم ذلك رسولهم فقال لهم ان الشيطان قد قعد لابن آدم بطرقه كلها فقعد له
بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين آبائك فخالفه واسلم
فقعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك فخالفه وهاجر
فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فتقتل فيقسم المال وتنكح الزوجة فهكذا
فاقعدوا لهم بكل طرق الخير فاذا اراد احدهم ان يتصدق فاقعدوا له على طريق
الصدقة وقولوا له في نفسه اتخرج المال فتبقى مثل هذا السائل وتصير بمنزلته
انت وهو سواء او ما سمعتم ما القيت على لسان رجل سأله آخر ان يتصدق عليه فقال هي اموالنا ان اعطيناكموها صرنا مثلكم واقعدوا له
بطريق الحج فقولوا طريقه مخوفة مشقة يتعرض سالكها لتلف النفس والمال
وهكذا فاقعدوا له على سائر طرق الخير بالتنفير منها وذكر صعوبتها وآفاتها
ثم

ثم قال فاقعدوا على طريق المعاصي فحسنوها في اعين بني آدم وزينوها في قلوبهم و
اجعلوا اكبر اعوانكم على ذلك النساء فمن ابوابهن فادخلوا عليهم فنعم العون
هن لكم ثم الزموا ثغر اليدين والرجلين فامنعوها ان تبطش بما يضركم او تمشي
فيه واعلموا ان اكبر اعوانكم على لزوم هذه الثغور مصالحة النفس الامارة فاعينوها
واستعينوا بها وامدوها واستمدوا منها وكونوا معها على حرب النفس المطمئنة فا
جتهدوا في كسرها عنها فاذا انقطعت موادها وقويت مواد النفس الامارة
وانطاعت لكم اعوانها فاستنزلوا القلب من حصنه واعزلوه عن مملكته وولوا
مكانه النفس فانها لا تأمر الا بما تهوونه وتحبونه ولا تجيئكم بما تكرهونه البتة مع انها
لا تخالفكم في شيء تشيرون به عليها بل اذا اشرتم بشيء عليها بادرت الى فعله
فان احسستم من القلب منازعة الى مملكته واردتم الامن من ذلك فاعقدوا
بينه وبين النفس عقد النكاح فزينوها وجملوها واروه اياها في احسن صورة
عروس توجد وقولوا له ذق طعم هذا الوصال والتمتع بهذه العروس كما ذقت
طعم الحرب وباشرت مرارة الطعن والضرب ثم وازن بين لذة هذه المسالمة
ومرارة تلك المحاربة فدع الحرب تضع اوزارها فليست بيوم وتنقضي وانما
هو حرب متصل بالموت وقواك تضعف عن حرب دائم واستعينوا يا بني
بجندين عظيمين لن تغلبوا معهما احدهما جند الغفلة فاغفلوا قلوب بني آدم
عن الله والدار الآخرة بكل طريق فليس لكم شيء ابلغ في تحصيل غرضكم

من ذلك فان القلب اذا غفل عن الله تمكنتم منه ومن اغوائه واثبتوا جند الشهوات
وزينوها في قلوبهم وحسنوها في اعينهم وصولوا عليهم بهذين العسكرين فليس لكم
في بني آدم ابلغ منهما واستعينوا على الغفلة بالشهوة وعلى الشهوات بالغفلة و
اقرنوا بين الغافلين ثم استعينوا بهما على اهل الذاكر ولا يغلب واحد خمسة فان مع
الغافلين شياطين صاروا اربعة وشيطان الذاكر معهم فاذا رأيتم جماعة
مجتمعين على ما يغيظكم من ذكر الله ومذاكرة امره ونهيه ولم تقدروا على تفريقهم
فاستعينوا ببني جنسهم من الانس البطالين فقربوهم منهم وشوشوا عليهم
بهم وبالجملة فاعدوا للامور اقرانها وادخلوا على كل واحد من بني آدم
من باب ارادته وشهوته فاعدوه عليها وكونوا له اعوانا على تحصيلها
واذا كان الله قد امرهم ان يصبروا لكم ويصابروا ويرابطوا عليكم
الثغور فاصبروا انتم وصابروا ورابطوا عليهم الثغور وانتهزوا فر
صتكم منهم عند الشهوة والغضب فلا تصيدوا بني آدم في اعظم من هذين
الموطنين واعلموا ان منهم من يكون سلطان الشهوة اغلب عليه وسلطان
غضبه ضعيف مقهور فخذوا عليه طريق الشهوة ودعوا طريق الغضب
ومنهم من يكون سلطان الغضب عليه اغلب فلا تخلوا طريق الشهوة
عليه ولا تعطلوا ثغورها فان من لم يملك نفسه عند الغضب فانه بالحري
ان لا يملكها عند الشهوة فزوجوا بين غضبه وشهوته وامزجوا احدهما بالآخر
وادعوه

وادعوه الى الشهوة من باب الغضب ومن طريق الشهوة واعلموا انه ليس
لكم في بني آدم سلاح ابلغ من هذين السلاحين وانما اخرجت ابويهم من
الجنة بالشهوة وانما القيت العداوة بين اولادهم بالغضب فيه قطعت
ارحامهم وسفكت دماهم وبه قتل احد ابني آدم اخاه فصل
واعلموا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم والشهوة نار تثور من قلبه
وانما تطفى النار بالماء والصلاة والذكر والتكبير فاياكم ان تمكنوا ابن
آدم عند غضبه وشهوته في قربان الوضوء والصلاة فان ذلك تطفئ
عنهم نار الغضب والشهوة وقد امرهم نبيهم بذلك فقال ان الغضب
جمرة في قلب ابن آدم اما رأيتم من احمرار عينيه وانتفاخ اوداجه فمن احس
ذلك فليتوضأ وقال لهم انما تطفى النار بالماء وقد اوصاهم الله ان
استعينوا عليكم بالصبر والصلاة فحولوا بينهم وبين ذلك وانسوهم
اياه واستعينوا عليهم بالشهوة والغضب وابلغ اسلحتكم فيهم وانكاها
الغفلة واتباع الهوى واعظم اسلحتهم فيكم وامنع حصونهم ذكر الله ومخالفة
الهوى فاذا رأيتم الرجل مخالفا لهواه فاهربوا من ظله ولا تدنوا منه
والمقصود ان الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمد بها العبد اعداءه ويعينهم
بها على نفسه فيقاتلونه بسلاحه ويكون معهم على نفسه وهو من العجائب وهذا
غاية الجهل وما تبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه ومن العجائب

ان العبد ليسعى بجهده فى هوان نفسه وهو يزعم انه لها مكرم ويجتهد فى حرمانها
اعلى حظوظها وشرفها وهو يزعم انه يسعى فى حظها ويبذل جهده فى تحقيرها
وتصغيرها وتدسيتها وهو يزعم انه يعليها ويرفعها ويكبرها وكان بعض السلف
يقول فى خطبته الا رب مهين لنفسه وهو يزعم انه لها مكرم ومذل لنفسه
وهو يزعم انه لها معز ومصغر لنفسه وهو يزعم انه لها مكبر ومضيع لنفسه وهو يزعم
انه مراع لحقها وكفى بالمرء جهلا ان يكون مع عدوه على نفسه يبلغ منها بفعله ما لا
يبلغه عدوه والله المستعان فصل ومن عقوباتها انها
تنسى العبد نفسه واذا نسى نفسه فاى شىء يذكر وما معنى نسيانه نفسه
قيل نعم ينسى نفسه اعظم نسيان قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله
فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فلما نسوا ربهم سبحانه نسيهم
وانساهم انفسهم كما قال نسوا الله فنسيهم فعاقب سبحانه من نسيه عقوبتين
احداهما ان نسيانه سبحانه للعبد اهماله وتركه وتخليه عنه واضاعته فالهلاك
ادنى اليه من اليد الى الفم واما انساؤه نفسه فهو انساؤه لحظوظها العالية
واسباب سعادتها وفلاحها وصلاحها وما تكمل به ينسيه ذلك جميعه
فلا يخطره بباله ولا يجعله على ذكره ولا يصرف اليه همته فيرغب فيه فانه لا يمر
بباله حتى يقصده ويؤثره وايضا فينسيه عيوب نفسه ونقصها وآفاتها فلا
يخطر بباله ازالتها واصلاحها وايضا ينسيه امراض نفسه وقلبه وآلامها
فلا يخطر

فلا يخطر بقلبه مداواتها ولا السعى فى ازالة عللها وامراضها التى تؤول به الى الفساد
والهلاك فهو مريض مثخن بالمرض ومرضه مترام الى التلف ولا يشعر بمرضه ولا يخطر بباله
مداواته وهذا من اعظم العقوبة العامة والخاصة فاى عقوبة اعظم من عقوبة من
اهمل نفسه ونسى مصالحها وداءها ودواءها واسباب سعادتها وفلاحها و
صلاحها وحياتها الابدية فى النعيم المقيم ومن تأمل هذا الموضع تبين له ان
اكثر هذا الخلق قد نسوا انفسهم حقيقة وضيعوها واضاعوا حظها من الله
وباعوها رخيصة بثمن بخس بيع الغبن وانما يظهر لهم هذا عند الموت و
يظهر كل الظهور يوم التغابن يوم يظهر للعبد انه غبن فى العقد الذى عقده لنفسه
فى هذه الدار الآخرة فالخاسرون الذين يعتقدون انهم اهل الربح والكسب
آثروا الحياة وحظهم فيها ولذاتهم بالاخرة وحظهم فيها فاذهبوا
طيباتهم فى حياتهم الدنيا واستمتعوا بها ورضوا بها واطمأنوا اليها
وكان سعيهم لتحصيلها فباعوا واشتروا واتجروا باعوا آجلا بعاجل
ونسيئة بنقد وغائبا بناجز وقالوا هذا هو الحزم ويقول احدهم خذ ما تراه
ودع شيئا سمعت به وكيف ابيع حاضرا نقدا مشاهدا فى هذه الدار بغائب
نسيئة فى دار اخرى غير هذه وينضم الى ذلك ضعف الايمان وقوة داعى
الشهوة ومحبة العاجلة والتشبه ببنى الجنس فاكثر الخلق فى هذه التجارة الخاسرة
التى قال سبحانه فى اهلها اولئك اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم

ولا هم يبصرون • وقال فيهم فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاذا كان يوم
التغابن ظهر لهم الغبن في هذه التجارة فتتقطع عليها النفوس حسرات واما الرابحون
فانهم باعوا فانياً بباق وخسيساً بنفيس وحقيراً بعظيم وقالوا ما مقدار هذه
الدنيا من اولها الى آخرها حتى نبيع حظنا من الله والدار الآخرة فكيف
بما ينال العبد منها في هذا الزمن القصير الذي هو في الحقيقة كغفوة حلم لا نسبة له
الى دار البقاء البتة قال تعالى ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من
النهار يتعارفون بينهم • وقال تعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها
فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها
كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها • وقال تعالى كأنهم
يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار • وقال تعالى قال
كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم فاسأل
العادين • قال ان لبثتم الا قليلاً لو انكم كنتم تعلمون • وقال تعالى يوم ينفخ
في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشراً
نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوماً • فهذا حقيقة
هذه الدنيا عند موافاة القيامة فلما علموا قلة لبثهم فيها وان لهم داراً
غير هذه الدار هي الحيوان ودار البقاء رأوا من اعظم الغبن بيع دار البقاء
بدار الفناء فاتجروا تجارة الاكياس ولم يغتروا بتجارة السفهاء من الناس
فظهر لهم

فظهر لهم يوم التغابن ربح تجارتهم ومقدار ما اشتروا وكل احد في هذه الدنيا
بائع مشتر متجر وكل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها او معتقها ان
الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى
بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم
فهذا اول نقده من ثمن هذه التجارة فتاجروا ايها المفلسون ويا من لا يقدر
على هذا الثمن ههنا ثمن آخر فان كنت من اهل هذه التجارة فاعط هذا
التائبون والعابدون والحامدون والسائحون الراكعون الساجدون والآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين
يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون والمقصود ان الذنوب تنسي العبد حظه من هذه التجارة
الرابحة وتشغله بالتجارة الخاسرة وكفى بذلك عقوبة والله المستعان

فصل ومن عقوباتها انها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم
الواصلة فتزيل الحاصل وتمنع الواصل فان نعم الله ما حفظ موجودها بمثل
طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فان ما عنده لا ينال الا
بطاعته وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سبباً وآفة سبباً يجلبه وآفة تبطله فجعل

الاسباب نعمة الجالبة لها طاعته وآفاتها المانعة منها معصيته فاذا اراد حفظ
نعمته على عبده الهمه رعايتها بطاعته فيها واذا اراد زوالها عنه خذله حتى عصاه
بها ومن العجب علم العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره وسماعا لما غاب عنه
من اخبار من ازيلت نعم الله عنهم بمعاصيه وهو مقيم على معصية الله كأنه مستثنى
من هذه الجملة او مخصوص من هذا العموم وكأن هذا امر جار على الناس لا عليه وواصل
الى الخلق لا اليه فأي جهل ابلغ من هذا واي ظلم للنفس فوق هذا فالحكم
لله العلي الكبير **فصل** ومن عقوباتها انها تباعد عن العبد وليه وانفع
الخلق له وانصحهم له ومن سعادته في قربه منه وهو الملك الموكل به وتدني
منه عدوه واغش الخلق له واعظمهم ضررا له وهو الشيطان فان العبد اذا عصى
الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية حتى انه ليتباعد بالكذبة الواحدة
مسافة بعيدة وفي بعض الآثار اذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلا
من نتن ريحه فاذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة فماذا يكون
مقدار بعده مما هو اكبر من ذلك وافحش منه فقال بعض السلف اذا ركب الذكر
الذكر عجت الارض الى الله وهربت الملائكة الى ربها وشكت اليه عظيم ما رأت وقال
بعض السلف واذا اصبح العبد ابتدره الملك والشيطان فان ذكر الله وحمده
وكبره وهلله طرد الملك الشيطان وتولاه وان افتتح بغير ذلك ذهب الملك عنه
وتولاه الشيطان ولا يزال الملك يقرب من العبد حتى يصير الحكم والطاعة والغلبة

له

له فيتولاه الملائكة في حياته وعند موته وعند بعثه كما قال تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة
واذا تولاه الملك تولاه انصح الخلق وانفعهم وابرهم فثبته وعلمه وقوى جنانه
وايده قال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا و
يقول له الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وابشر بالذي يسرك ويثبته بالقول
الثابت احوج ما يكون اليه في الحياة الدنيا وعند الموت وفي القبر عند المسألة
فليس احد انفع للعبد من صحبة الملك له وهو وليه في يقظته ومنامه وحياته و
عند موته في قبره ومؤنسه في وحشته وصاحبه في خلوته ومحدثه في سره
يحارب عنه عدوه ويدافع عنه ويعينه عليه ويعده بالخير ويبشره ويحثه على
التصديق بالحق كما في الاثر الذي يروى مرفوعا وموقوفا ان للملك بقلب ابن آدم
لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالوعد ولمة الشيطان
ايعاد بالشر وتكذيب بالحق واذا اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه
والقى على لسانه القول السديد وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
اي استحيوا من هؤلاء الكرام فاكرموهم واجلوهم ان يروا منكم ما تستحيون ان
يراكم عليه من هو مثلكم والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم فاذا كان
ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه وان كان قد يعمل مثل عمله فما الظن بأذى

الملائكة الكرام الكاتبين والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته فان الذنوب هي امراض متى استحكمت قتلت ولا بد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية التي متى غلبت عليه افسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب لا تتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة تحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية منه وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره واذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلثة فانها تستجلب المواد المؤذية وتوجب التخليط المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل قد تراكمت الاخلاط الردية ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف تكون صحته وبقاؤه ولقد احسن القائل ∴ جسمك بالحمية حصنته مخافة من الم طارئ ∴ وكان اولى ان تحتمي من المعاصي خشية النار ∴ فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا والله المستعان

فصل

فان لم تردعك هذه العقوبات ولم تجد لها تأثيرا في قلبك فاحضر العقوبات الشرعية التي شرعها الله ورسوله على الجرائم كما قطع اليد في سرقة ثلاثة دراهم وقطع اليد والرجل في قطع الطريق على معصوم المال والنفس وشق الجلد بالسوط على كلمة قذف لمحصن او قطرة خمر يدخلها جوفه وقتل بالحجارة اشنع قتلة في ايلاج الحشفة في حرام وخفف هذه العقوبة عمن لم تتم عليه نعمة الاحصان بمائة جلدة ونفي سنة عن وطنه وبلده الى بلاد الغربة وبدمه اذا وقع على ذات رحم محرم او ترك الصلوة المفروضة او تكلم بكلمة كفر وامر بقتل من وطي ذكرا مثله وقتل المفعول به وامر بقتل من اتى بهيمة وقتل البهيمة معه وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلوة في الجماعة وغير ذلك من العقوبات التي رتبها وجعلها على حكمة بحسب الداعي الى تلك الجرائم وحسب الوازع عنها فما كان الوازع عنه طبعيا وليس في الطباع داع اليه اكتفي فيه بالتحريم مع التعزير ولم يرتب عليه حدا كأكل الرجيع وشرب الدم واكل الميتة وما كان في الطباع داع اليه رتب عليه من العقوبة بقدر مفسدته وبقدر داعي الطبع اليه ولهذا لما كان داعي الطباع الى الزنا من اقوى الدواعي كانت عقوبته العظمى اشنع القتلات واعظمها وعقوبته السهلة اعلى انواع الجلد مع زيادة التغريب ولما كان اللواط فيه الامران كان حده القتل بكل حال ولما كان داعي السرقة قويا ومفسدتها كذلك قطع فيها اليد وتأمل حكمة الله في افساد العضو

الذي باشر به الجناية كما افسد على قاطع الطريق يده ورجله اللتين هما آله قطعه
ولم يفسد على القاذف لسانه الذي جنى به اذ مفسده قطعه تزيد على مفسدة الجناية
ولا تبلغها فاكتفى من ذلك بايلام جميع بدنه بالجلد فان قيل فهلا افسد على الزاني
فرجه الذي باشر به المعصية قيل لوجوه احدها ان مفسدة ذلك تزيد على مفسدة
الجناية اذ فيه قطع النسل وتعريضه للهلاك الثاني ان الفرج عضو مستور لا يحصل
بقطعه مقصود الحد من الردع والزجر لامثاله من الجناة بخلاف قطع اليد الثالث
انه اذا قطع يده ابقى له يدا اخرى تعوض عنها بخلاف الفرج الرابع ان لذة
الزنا عمت جميع البدن فكان احسن ان تعم العقوبة جميع البدن وذلك
احسن من تخصيصها ببعضه فعقوبات الشارع جاءت على اتم الوجوه واوفقها
للعقل واقومها بالمصلحة والمقصود ان الذنوب اما ان تترتب عليها العقوبات
الشرعية والقدرية او يجمعها الله للعبد وقد يرفعهما عمن تاب واحسن

فصل وعقوبات الذنوب نوعان شرعية وقدرية
فاذا اقيمت الشرعية رفعت العقوبات القدرية او خففتها ولا يكاد الرب
تعالى يجمع على عبده بين العقوبتين الا اذا لم تف احدهما برفع موجب الذنب
ولم يكف في زوال دائه واذا عطلت العقوبات الشرعية استحالت قدرية
وربما كانت اشد من الشرعية وربما كانت دونها ولكنها تعم والشرعية
تخص فان الرب تبارك وتعالى لا يعاقب شرعا الا من باشر الجناية او تسبب

اليها

اليها واما العقوبة القدرية فانها تقع عامة وخاصة فان المعصية اذا خفيت
لم تضر الا صاحبها واذا اعلنت ضرت الخاصة والعامة واذا رأى الناس
المنكر فاشتركوا في ترك انكاره اوشك ان يعمهم الله بعقابه وتقدم
ان العقوبة الشرعية شرعها الله سبحانه على قدر مفسدة الذنب وتقاضي الطبع له
وجعلها سبحانه ثلاثة انواع القتل والقطع والجلد وجعل القتل بازاء الكفر
وما يليه ويقرب منه وهو الزنا واللواط فان هذا يفسد الاديان وهذا
يفسد الانساب ونوع الانسان قال الامام احمد لا اعلم بعد القتل ذنبا
اعظم من الزنا واحتج بحديث عبد الله بن مسعود انه قال يا رسول الله اي الذنب
اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال قلت ثم اي قال ان تقتل
ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي قال ان تزاني بحليلة
جارك فانزل الله سبحانه تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية والنبي صلى الله عليه وسلم
ذكر من كل نوع اعلاه ليطابق جوابه سؤال السائل فانه سئل عن اعظم الذنب
فاجابه بما تضمن ذكر اعظم انواعها وما هو اعظم كل نوع فاعظم انواع الشرك
ان يجعل العبد لله ندا واعظم انواع القتل يقتل ولده خشية ان يشاركه
في طعامه وشرابه واعظم انواع الزنا ان يزني بحليلة جاره فان مفسدة
الزنا تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق فالزنا بالمرأة التي لها زوج

اعظم اثماً وعقوبة في التي لازوج لها اذ فيه انتهاك حرمة الزوج وافساد
فراشه وتعليق نسب عليه لم يكن منه وغير ذلك من انواع اذاه فهو اعظم
اثماً وجرماً من الزنا بغير ذات البعل فان كان زوجها جاراً له انضاف الى ذلك
سوء الجوار واذى الجار باعلى انواع الاذى وذلك من اعظم البوائق وقد ثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه ولا
بائقة اعظم من الزنا بامرأة الجار فان كان الجار اخاً او قريباً من اقاربه انضم الى
ذلك قطيعة الرحم فيتضاعف الاثم فان كان الجار غائباً في طاعة الله كا
لصلاة وطلب العلم والجهاد وتضاعف الاثم حتى ان الزاني بامرأة الغازي
في سبيل الله يوقف له يوم القيامة ويقال خذ حسناته ما شئت قال
النبي صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي ما ظنكم انه يترك من حسناته قد
حكم في ان يأخذ منها ما شاء على شدة الحاجة الى الحسنة واحدة حيث
لا يترك الاب لابنه ولا الصديق لصديقه حقاً يجب له عليه فان اتفق ان
تكون المرأة رحماً له انضاف الى ذلك قطيعة رحمها فان اتفق ان يكون الزاني
محصناً كان الاثم اعظم فان كان شيخاً كان اعظم اثماً وهو احد الثلثة الذين
لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فان اقترن بذلك ان
يكون في شهر حرام او بلد حرام او وقت معظم عند الله كاوقات الصلوات
واوقات الاجابة تضاعف الاثم وعلى هذا فاعتبر مفاسد الذنوب وتضاعف

درجاتها

درجاتها في الاثم والعقوبة والله المستعان فصل وجعل سبحانه القطع
بازاء افساد الاموال الذي لا يمكن الاحتراز منه فان السارق لا يمكن الاحتراز
منه لانه يأخذ في اختفاء وينقب الدور ويتسور من غير الابواب فهو كالسنور
والحية التي تدخل عليك من حيث لا تعلم لا ترتفع مفسدة سرقته الا بالقطع ولا
يندفع بالجلد فاحسن ما دفعت به مفسدته ابانة العضو الذي يتسلط به على
الجناية وجعل الجلد بازاء افساد العقول وتمزيق الاعراض بالقذف فدارت
عقوباته سبحانه الشرعية على هذه الانواع الثلثة كما دارت الكفارات
على ثلاثة انواع العتق وهو اعلاها والاطعام والصيام ثم انه سبحانه
جعل الذنوب ثلثة اقسام قسماً فيه الحد فهذا لم يشرع فيها كفارة اكتفاء
بالجلد وقسماً لم يرتب عليه حداً فشرع فيه الكفارة كالوطى في نهار
رمضان والوطى في الحرام والظهار وقتل الخطاء والحنث في
اليمين وغير ذلك وقسماً لم يرتب عليه حداً ولا كفارة وهو نوعان
احدهما ما كان الوازع عنه طبعياً كاكل العذرة وشرب البول والدم
والثاني ما كانت مفسدته ادنى من مفسدة ما رتب عليه الحد كالنظر واللمس
والقبلة والمحادثة وسرقة فلس ونحو ذلك وشرع الكفارة في ثلاثة
انواع احدها ما كان مباح الاصل ثم عرض تحريمه فباشره في الحال التي
عرض فيها التحريم كالوطى في الحرام والصيام وطرده الوطى في الحيض

والنفاس بخلاف الوطئ فى الدبر ولهذا كان الحاد بعض الفقهاء له باللوطى
فى الحيض لايصح فانه لايباح فى وقت دون وقت فهو بمنزلة التلوط
وشرب المسكر النوع الثانى ما عقده من نذر او بالله من يمين او حرمة
ثم اراد حله فشرع الله حله بالكفارة وسماها تحلة وليست هذه الكفارة
ماحية لهتك حرمة الاسم بالحنث كما ظنه بعض الفقهاء فان الحنث
قد يكون واجبا وقد يكون مستحبا وقد يكون مباحا وانما الكفارة
حل لما عقده النوع الثالث ما تكون جابرة لما فات ككفارة قتل
الخطاء وان لم يكن هناك اثم ككفارة قتل الصيد خطاء فان ذلك
من باب الجوابر والنوع الاول من باب التحلة لما منعه العقد ولا
يجتمع الحد والتعزير فى معصية بل ان كان فيها حد اكتفى به والا اكتفى بالتعزير
ولا يجتمع الحد والكفارة فى معصية بل كل معصية فيها حد فلا كفارة فيها
وما فيه كفارة فلا حد فيه وهل يجتمع التعزير والكفارة فى المعصية
التى لا حد فيها فيه وجهان هذا كالوطئ فى الاحرام والصيام ووطئ
الحائض اذا اوجبنا فيه الكفارة فقيل يجب التعزير لما انتهك من
الحرمة ويكون الجناية وقيل لا تعزير فى ذلك اكتفاء بالكفارة
ولانها جابرة وماحية

فصل

واما العقوبات القدرية فهى نوعان نوع على القلوب والنفوس ونوع على الابدان والاموال

والتى

والتى على القلوب نوعان احدهما آلام وجودية يضرب بها القلب والثانى
قطع المواد التى بها حياته وصلاحه عنه فاذا قطعت عنه حصل له اضدادها
وعقوبة القلوب اشد العقوبتين وهى اصل عقوبة الابدان وهذه العقوبة
تقوى وتتزايد حتى تسرى من القلب الى البدن كما يسرى الم البدن الى
القلب فاذا فارقت النفس البدن صار الحكم متعلقا بها فظهرت
عقوبة القلب حينئذ وصارت عيانية ظاهرة وهى المسماة بعذاب القبر
ونسبته الى البرزخ كنسبة عذاب الابدان الى هذه الدار

فصل

والتى على الابدان ايضا نوعان نوع فى الدنيا ونوع فى الآخرة وشدتها
ودوامها بحسب مفاسد ما ترتبت فى الشدة والخفة فليس فى الدنيا
والآخرة شر اصلا الا الذنوب وعقوباتها فالشر اسم لذلك
كله واصله من النفس وسيئات الاعمال وهما الاصلان اللذان كان النبى صلى الله
عليه وسلم يستعيذ منهما فى خطبته بقوله ونعوذ بالله من شرور انفسنا
ومن سيئات اعمالنا وسيئات الاعمال هل معناه السيئ من اعمالنا
فيكون من باب اضافة النوع الى جنسه ويكون بمعنى من وقيل معناه
من عقوباتها التى تسوءنا ويرجح هذا القول ان الاستعاذة تكون
قد تضمنت جميع الشر فان شرور النفس يستلزم الاعمال السيئة وهى
تستلزم العقوبات السيئة فنبه بشرور النفس على ما تقتضيه من قبح

الاعمال واكتفى بذكرها منه اذ هي اصله ثم ذكر غاية الشر ومنتهاه وهو السيئات
التي تسوء العبد من عمله من العقوبات والآلام فتضمنت هذه الاستعاذة
اصل الشر وفرعه وغايته ومقتضاه ومن دعاء الملائكة للمؤمنين قولهم
وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فهذا يتضمن طلب
وقايتهم من سيئات الاعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها فانه سبحانه
متى وقاهم العمل السيء وقاهم جزاء السيء وان كان قوله ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته اظهر في عقوبات الاعمال المطلوبات وقايتها يومئذ
فان قيل فقد سألوه سبحانه ان تقيهم عذاب الجحيم وهذا هو
وقاية العقوبات السيئة فدل على ان المراد بالسيئات التي سألوه
وقايتها الاعمال السيئة ويكون الذي سأله الملائكة نظير ما استعاذ
منه النبي صلى الله عليه وسلم ولا يرد على هذا قوله يومئذ فان المطلوب
وقاية شرور سيئات الاعمال في ذلك اليوم وهي سيئات في انفسها
قيل وقاية السيئات نوعان احدهما وقاية فعلها بالتوفيق فلا تصدر منه
والثاني وقاية جزاها بالمغفرة فلا يعاقب عليها فتضمنت الآية
سؤال الامرين والظرف تقيد للجملة الشرطية لا للجملة الطلبية اما تضمنه
هذا الخبر عن الملائكة من مدحهم بالايمان والعمل الصالح والاحسان
الى المؤمنين بالاستغفار لهم وقدموا بين يدي استغفارهم توسلهم
بالله

الى الله سبحانه بسعة علمه وسعة رحمته فسعة علمه بذنوبهم واسبابها و
ضعفهم عن العصمة واستيلاء عدوهم وهواهم وطباعهم وما زين لهم من
الدنيا وزينتها وعلمه بهم اذ انشأهم من الارض واذ هم اجنة في بطون امهاتهم
وعلمه السابق بانهم لابد ان يعصوه وانه يحب العفو والمغفرة وغير ذلك
من سعة علمه الذي لا يحيط به احد سواه وسعة رحمته تتضمن انه لا يهلك
احد من المؤمنين به من اهل توحيده ومحبته فانه واسع الرحمة لا يخرج عن
دائرة رحمته الا الاشقياء ولا اشقى ممن لم تسعه رحمته التي وسعت
كل شيء ثم سألوه ان يغفر للتائبين الذين اتبعوا سبيله وهو صراطه
الموصل اليه الذي هو معرفته ومحبته وطاعته فتابوا مما يكره واتبعوا السبيل
التي يحبها ثم سألوه ان يقيهم عذاب الجحيم وان يدخلهم والمؤمنين
من اصولهم وفروعهم وازواجهم جنات عدن التي وعدهم بها وهو
سبحانه وان كان لا يخلف الميعاد فانه وعدهم بها باسباب من
جملتها دعاء ملائكته لهم بان يدخلهم اياها برحمته فادخلوها برحمته
التي منها ان وفقهم لاعمالها واقام ملائكته يدعون لهم بدخولها ثم
اخبر سبحانه عن ملائكته انهم قالوا عقيب هذه الدعوة انك انت
العزيز الحكيم اي مصدر ذلك وسببه وغايته صادر عن كمال قدرتك
وكمال علمك فالعزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم وبهاتين الصفتين

يقضي سبحانه ما يشاء ويأمر وينهى ويثيب ويعاقب فهاتان الصفتان
مصدر الخلق والامر والمقصود ان عقوبات الذنوب تتنوع الى عقوبات
شرعية وقدرية وهي اما في القلب واما في البدن واما فيهما وعقوبات
في دار البرزخ بعد الموت وعقوبات يوم حشر الاجسام فالذنب لا يخلو من
عقوبة البتة ولكن لجهل العبد لا يشعر بما هو فيه من العقوبة لانه بمنزلة
السكران والمخدور والنائم الذي لا يشعر بالالم فاذا استيقظ و
صحى احس بالمؤلم فترتب العقوبات على الذنوب كترتب الاحراق على
النار والكسر على الانكسار والاغراق على الماء وفساد البدن
على السموم والامراض على الاسباب الجالبة لها وقد تقارن المضرة
للذنب وقد تتأخر عنه اما يسيرا او مدة كما يتأخر المرض عن
تضفايه او حقارته وكثيرا ما يقع الغلط للعبد في هذا المقام و
يذنب فلا يرى اثره عقيبه ولا يدري انه يعمل عمله على التدريج شيئا
فشيئا كما تعمل السموم والاشياء الضارة حذو القذة بالقذة فان
تدارك العبد بالادوية والاستفراغ والحمية والا فهو صائر الى الهلاك
هذا اذا كان ذنبا واحدا لم يتداركه بما يزيل اثره فكيف بالذنب
على الذنب كل يوم وساعة فالله المستعان

فصل

فاستحضر بعض العقوبات التي رتبها الله تعالى على الذنوب وجوز وصول
بعضها

بعضها اليك واجعل ذلك داعيا للنفس الى هجرانها وانا اسوق لك
طرفا يكفي العاقل مع التصديق ببعضه فمنها الختم على القلوب والاسماع والغشاوة
على الابصار والاقفال على القلوب وجعل الاكنة عليها والرين عليها والطبع وتقليب
الافئدة والابصار والحيلولة بين المرء وقلبه واغفال القلب عن ذكر الرب
وانساء الانسان نفسه وترك ارادة الله تطهير القلب وجعل الصدر ضيقا
حرجا كانما يصعد في السماء وصرف القلوب عن الحق وزيادتها مرضا
على مرضها واركاسها ونكسها حيث يبقى منكوسا كما ذكر الامام احمد عن حذيفة
ابن اليمان انه قال القلوب اربعة فقلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك
قلب المؤمن وقلب اغلف فذلك قلب الكافر وقلب منكوس فذلك
المنافق وقلب تمده مادتان مادة ايمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه
منهما ومنها التثبيط عن الطاعة والاقعاد عنها ومنها جعل القلب اصم
لا يسمع الحق ابكم لا ينطق به اعمى لا يراه فتصير النسبة بين القلب وبين الحق
الذي لا ينفعه غيره كالنسبة بين اذن الاصم والاصوات وعين الاعمى والالوان
ولسان الاخرس والكلام وبهذا يعلم ان الصمم والبكم والعمى للقلب بالذات
والحقيقة وللجوارح بالعرض والتبعية فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور وليس المراد نفي العمى الحسي عن البصر وقد قال تعالى ليس على الاعمى
حرج وقال عبس وتولى ان جاءه الاعمى ~~مما انه يصح نفي بالنسبة~~

وانما المراد العمى التام في الحقيقة عمى القلب حتى ان عمى البصر بالنسبة اليه كالاعمى
حتى انه يصح نفيه بالنسبة الى كماله وقوته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
ليس الشديد بالصرعة ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقوله ليس المسكين
بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذي لا يسال الناس
ولا يفطن له فيتصدق عليه ونظايره كثيرة والمقصود ان من عقوبات
المعاصي جعل القلب اعمى اصم ابكم ومنها الخسف بالقلب كالخسف بالمكان وما فيه
فيخسف به الى اسفل سافلين وصاحبه لا يشعر وعلامة الخسف ان لا يزال
حول الاحوال السفليات والقاذورات والرذايل كما ان القلب الذي
رفعه الله وقربه اليه لا يزال حوالا حول البر والخير ومعالي الاعمال والاقوال و
الاخلاق قال بعض السلف ان هذه القلوب جوالة فمنها ما يجول حول
العرش ومنها ما يجول حول الحش ومنها مسخ القلب فيمسخ كما تمسخ الصور
فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في اخلاقه واعماله وطبيعته
فمن القلوب ما يمسخ على خلق خنزير لشدة شبه صاحبه به ومنها ما يمسخ على
خلق كلب او حمار او حية او عقرب وغير ذلك وهذا تاويل سفين
ابن عيينه في قوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
امثالكم قال منهم من يكون اخلاق السباع العادية ومنهم من يكون
على اخلاق الكلاب واخلاق الخنازير واخلاق الحمير ومنهم من يتطوس
في ثيابه

في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه ومنهم من يكون بليدا كالحمار و
منهم من يؤثر على نفسه كالديك ومنهم من يألف ويؤلف كالحمام ومنهم
الحقود كالجمل ومنهم الذي هو خير كله كالغنم ومنهم اشباه الذباب ومنهم
اشباه الثعالب التي تروغ كروغانها وقد شبه الله اهل الجهل والغي بالحمر
تارة وبالكلب تارة وبالانعام تارة وتقوى هذه المشابهة بالباطن حتى
تظهر في الاعمال ظهورا يراه كل احد في الصورة الظاهرة ظهورا خفيا يراه
المتفرسون وتظهر في الاعمال ظهورا يراه كل احد ولا تزال تقوى حتى تستتبع
الصورة فتنقلب باذن الله وهو المسخ التام فيقلب الله سبحانه الصورة الظاهرة
على صورة ذلك الحيوان كما فعل باليهود واشباههم ويفعل بقوم هذه الامة
يمسخهم قردة وخنازير فسبحان الله كم من قلب منكوس وصاحبه لا يشعر
وقلب ممسوخ وقلب مخسوف به وكم من مفتون بثناء الناس عليه ومغرور
بستر الله عليه ومستدرج بنعم الله عليه وكل هذه عقوبات واهانات ويظن
الجاهل انها كرامة ومنها مكر الله بالماكر ومخادعته للمخادع واستهزاؤه
بالمستهزئ وازاغته للقلب الزائغ عن الحق ومنها نكس القلب حتى يرى
الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا ويفسد ويرى
انه يصلح ويصد عن سبيل الله ويرى انه يدعو اليها ويستر الضلالة بالهدى
وهو يرى انه الهدى ويتبع هواه وهو يزعم انه مطيع لمولاه وكل هذا من عقوبات

الذنوب الجارية على القلوب ومنها حجاب القلب عن الرب في الدنيا والحجاب
الاكبر يوم القيمة كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فمنعتهم الذنوب ان يقطعوا المسافة بينهم
وبين قلوبهم فيصلوا اليها فيروا ما يصلحها ويزكيها وما يفسدها ويشقيها
وان يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين ربها فتصل القلوب اليه فتفوز
بقربه وكرامته وتقر به عينا وتطيب به نفسا بل كانت الذنوب حجابا
بينهم وبين قلوبهم وحجابا بينهم وبين ربهم وخالقهم ومنها معيشة
الضنك في الدنيا وفي البرزخ والعذاب في الاخرة قال تعالى ومن
اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وفسرت
المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا ريب انه من المعيشة الضنك والاية
تتناول ما هو اعم منه وان كانت نكرة في سياق الاثبات فان عمومها
من حيث المعنى فانه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الاعراض عن ذكره
فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب اعراضه وان تنعم في الدنيا باصناف
النعيم ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب والاماني
الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه وانما يواريه عنه سكر الشهوات و
العشق وحب الدنيا والرياسة وان لم ينضم الى ذلك سكر الخمر
فسكر هذه الامور اعظم من سكر الخمر فانه يفيق صاحبه ويصحو وسكر الهوى

وحب

وحب الدنيا لا يصحو صاحبه الا اذا صار في عسكر الاموات والمعيشة
الضنك لازمة لمن اعرض عن ذكر الله الذي انزله على رسوله في دنياه
وفي البرزخ ويوم معاده ولا تقر العينين ولا يهدأ القلب ولا تطمئن النفس
الا بالهها ومعبودها الذي هو حق وكل معبود سواه باطل فمن قرت عينه
بالله قرت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا
حسرات والله تعالى انما جعل الحياة المطمئنة لمن امن به وعمل صالحا كما قال
تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فضمن لاهل الايمان والعمل الصالح الجزاء
في الدنيا بالحياة الطيبة وبالحسنى يوم القيامة فلهم اطيب الحياتين
وهم احياء في الدارين ونظيره قوله للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة
ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين ونظيرها قوله وان استغفروا ربكم
ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل
فضله ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والاخرة وحصلوا الحياة
الطيبة في الدارين فان طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه
وطمانينته وانشراحه ونوره وسعته وعافيته من الشهوات المحرمة والشبهات
الباطلة هو النعيم على الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن اليه فقد كان يقول بعض من
ذاق هذه اللذة لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا بالسيوف

وقال آخر انه لتمر بالقلب اوقات فيها ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب وقال ان الدنيا جنة كالجنة في الآخرة فمن دخلها دخل تلك الجنة ومن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الجنة بقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ولا تظن قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم مختص بيوم المعاد فقط بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة واي لذة ونعيم في الدنيا اطيب من بر القلب وسلامة الصدر ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل العيش في الحقيقة الا عيش القلب السليم وقد اثنى الله تعالى على خليله بسلامة قلبه فقال وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وقال حاكيا عنه انه قال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم والقلب السليم الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة فسلم من كل آفة تبعده من الله وسلم من كل شهوة تعارض امره وسلم من شبهة تعارض خبره وسلم من كل ارادة تزاحم مراده وسلم من كل قاطع يقطع من الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا وفي جنة في البرزخ وفي الجنة يوم المعاد ولا تتم له سلامة مطلقا حتى

يسلم

يسلم من خمسة اشياء من شرك [1] يناقض التوحيد وبدعة [2] تخالف السنة وشهوة [3] تخالف الامر وغفلة [4] تناقض الذكر وهوى [5] يناقض التجريد والاخلاص وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحد منها انواع كثيرة تتضمن افرادا لا تنحصر ولذلك اشتدت حاجة العبد بل ضرورته الى ان يسأل الله ان يهديه الصراط المستقيم فليس العبد احوج منه الى هذه الدعوة وليس شيء انفع له منها فان الصراط المستقيم يتضمن علوما وارادات واعمالا وتروكا ظاهرة وباطنة تجري عليه كل وقت فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها وقد يكون ما لا يعلمه اكثر مما يعلمه وقد يقدر عليه وهو من الصراط المستقيم وان عجز عنه وما يقدر عليه قد تريده نفسه وقد لا تريده كسلا وتهاونا او لقيام مانع وغير ذلك وما تريده قد تفعله وقد لا تفعله وما تفعله قد يقوم فيه بشروط الاخلاص وقد لا يقوم وما يقوم فيه بشروط الاخلاص قد يقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا يقوم وما يقوم فيه بالمتابعة قد يثبت عليه وقد يصرف قلبه عنه وهذا كله واقع سار في الخلق فمستقل ومستكثر وليس في طباع العبد الهداية الى ذلك بل متى وكل الى طباعه حيل بينه وبين ذلك وهذا هو الاركاس الذي اركس الله به المنافقين بذنوبهم فاعادهم الى طباعهم وما خلقت عليه نفوسهم من الجهل والظلم والرب تبارك وتعالى على صراط مستقيم في قضائه

وقدره ونهيه وامره فيهدي من يشآء الى صراط بفضله ورحمته وجعل الهداية
حيث يصلح من يشآء ويصرف من يشآء عن صراطه المستقيم بعدله وحكمته
لعدم صلاحية المحل وذلك موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه فهو على صراط
مستقيم ونصب لعباده من امره صراطاً مستقيماً ودعاهم جميعاً اليه حجة
منه وعدلاً وهدى من يشآء منهم الى سلوكه نعمة منه وفضلاً ولم يخرج
بهذا العدل وهذا الفضل عن صراطه المستقيم الذي هو عليه فاذا كان يوم
القيمة نصب لخلقه صراطاً مستقيماً يوصلهم الى جنته ثم صرف عنه من
صرف عنه في الدنيا واقام عليه من اقامه عليه في الدنيا وجعل نور
المؤمنين به وبرسوله وما جاء به الذي كان في قلوبهم في الدنيا نوراً
ظاهراً يسعى بين ايديهم وبايمانهم في ظلمة الحشر وحفظ عليهم نورهم
حتى قطعوه كما حفظ عليهم الايمان حتى لقوه واطفا نور المنافقين
احوج ما كانوا اليه كما اطفاه من قلوبهم في الدنيا ~~عن الاستقامة عليه~~
~~وجعل قوة سيرهم وسرعتهم كما خطفتهم في الدنيا~~ واقام اعمال العصاة
بجنبتي الصراط كلاليب وحسكا تخطفهم كما خطفتهم في الدنيا عن الاستقامة
عليه وجعل قوة سيرهم وسرعتهم على قدر قوة سيرهم وسرعتهم اليه في
الدنيا ونصب للمؤمنين حوضاً يشربون منه بازاء شربهم شرعه
في الدنيا وحرم من الشرب منه هناك من حرمه من الشرب من شرعه ودينه

وهاهنا

وهاهنا فانظر الى الاخرة كانها راي عين وتامل حكمة الله سبحانه في الدارين
تعلم حينئذ علماً يقيناً لا شك فيه ان الدنيا مزرعة الاخرة وعنوانها
وانموذجها وان منازل الناس فيها من السعادة والشقاوة على حسب
منازلهم في هذه الدار في الايمان والعمل الصالح وضدهما وبالله التوفيق
فمن اعظم عقوبات الذنوب الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والاخرة



فصل ولما كانت الذنوب متفاوتة في درجاتها
ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا والاخرة بحسب تفاوتها
ونحن نذكر فيها بعون الله وتوفيقه فصلاً وجيزاً جامعاً فنقول اصلها
نوعان ترك مأمور وفعل محظور وهما الذنبان اللذان ابتلى
الله سبحانه بهما ابوي الجن والانس وكلاهما ينقسم باعتبار محله الى
ظاهر على الجوارح وباطن في القلب وباعتبار متعلقه الى حق لله وحق
لخلقه وان كان كل حق لخلقه فهو متضمن لحقه لكن سمي حقاً للخلق
لانه يجب بمطالبتهم ويسقط باسقاطهم ثم هذه الذنوب تنقسم الى
اربعة اقسام ملكية وشيطانية وسبعية وبهيمية ولا تخرج عن ذلك
فالذنوب الملكية ان يتعاطى ما لا يصلح له من صفات الربوبية كالعظمة
والكبرياء والجبروت والقهر والعلو واستعباد الخلق ونحو ذلك ويدخل
في هذا الشرك بالرب تعالى وهو نوعان شرك به في اسمائه وصفاته

وجعل له الهة اخرى معه وشرك به في معاملته وهذا الثاني قد لا يوجب دخول
النار وان احبط العمل الذي اشرك فيه مع الله غيره وهذا القسم اعظم
انواع ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وامره فمن كان من اهل
هذه الذنوب فقد نازع الله سبحانه في ربوبيته وملكه وجعل له نداً
وهذا اعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل **فصل** واما
الشيطانية فالتشبه بالشيطان في الحسد والبغي والغش والغل والخداع
والمكر والامر بمعاصي الله وتحسينها والنهي عن طاعته وتهجينها والابتداع
في دينه والدعوة الى البدع والضلال وهذا النوع يلي النوع الاول
في المفسدة وان كانت مفسدته دونه **فصل** واما السبعية
فذنوب العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب على الضعفاء
والعاجزين ويتولد منها انواع اذى النوع الانسان والجراة على الظلم والعدوان
واما الذنوب البهيمية فمثل الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج
ومنها يتولد الزنا والسرقة واكل اموال اليتامى والبخل والشح والجبن
والهلع والجزع وغير ذلك وهذا القسم اكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب
السبعية ثم الى الشيطانية ثم الى منازعة الربوبية والشرك والوحدانية
ومن تامل هذا حق التامل تبين له ان الذنوب دهليز الى الشرك والكفر
ومنازعة الله ربوبيته وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين

بعدهم

بعدهم والائمة على ان من الذنوب كبائر وصغائر وقال تعالى ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
الا اللمم وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان
الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر وهذه الاعمال المكفرة
لها ثلث درجات احدها ان تقصر عن تكفير الصغائر لضعفها وضعف الاخلاص فيها
والقيام بحقوقها بمنزلة الدواء الضعيف الذي ينقص عن مقاومة الداء كمية
وكيفية الثانية ان تقاوم الصغائر ولا ترتقي الى شيء من الكبائر الثالثة
ان تقوى على تكفير الصغائر وتبقى فيها قوة تكفر بها بعض الكبائر فتامل هذا
فانه يزيل عنك اشكالات كثيرة وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم
الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله فقال الاشراك بالله
وعقوق الوالدين وشهادة الزور وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم
اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما يا رسول الله وما هن قال الشرك
بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل
الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات
وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الذنب اكبر عند الله
قال ان تدعو الله نداً وهو خلقك قيل ثم اي قال ان تزاني بحليلة
جارك فانزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها

ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون واختلف الناس
في الكبائر هل لها عدد يحصرها على قولين ثم الذين قالوا بحصرها اختلفوا في
عددها فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هي اربع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
هي تسعة وقال غيره احد عشر وقال ح هي سبعون وقال ابو طالب المكي
جمعتها من اقوال الصحابة فوجدتها اربعة في القلب وهي الشرك والاصرار
على المعصية والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله واربعة في اللسان
وهي شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والسحر وثلاث
في البطن شرب الخمر واكل مال اليتيم واكل الربا واثنان في الفرج
وهما الزنا واللواط واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة
وواحد في الرجلين وهو الفرار من الزحف وواحد يتعلق بجميع البدن
وهو عقوق الوالدين والذين لم يحصروها بعدد منهم من قال ما نهى
الله عنه في القرآن فهو كبيرة وما نهى عنه الرسول فهو صغيرة وقالت
طائفة ما اقترن بالنهي عنه وعيد من لعن او غضب او عقوبة
فهو كبيرة وما لم يقترن بشيء من ذلك فهو صغيرة وقيل كلما رتب
الله عليه حدا في الدنيا او وعيدا في الآخرة فهو كبيرة وما لم يرتب
عليه لا هذا ولا هذا فهو صغيرة وقيل كلما اتفقت الشرائع على تحريمه
فهو الكبائر وما كان تحريمه في شريعة دون شريعة فهو صغيرة وقيل
كلما

كلما لعن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فاعله فهو كبيرة وقيل ما ذكر
من اول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم والذين لم يقسموها الى كبائر وصغائر قالوا الذنوب
كلها بالنسبة الى الجراءة على الله سبحانه معصيته ومخالفة امره كبائر فانظر
الى من عصى امره وانتهك محارمه يوجب ان يكون الذنوب كلها
كبائر وهي مستوية في هذه المفسدة قالوا ويوضح هذا ان الله سبحانه
لا تضره الذنوب ولا يتأثر فلا يكون بعضها بالنسبة اليه اكبر من بعض
فلم يبق الا مجرد معصيته ومخالفته ولا فرق في ذلك بين ذنب وذنب
ويدل على حق الرب تعالى ولهذا لو شرب رجل خمراً او وطئ فرجاً
حراماً وهو لا يعتقد تحريمه لكان قد جمع بين الجهل وبين مفسدة ارتكاب
الجرائم ولو فعل ذلك من يعتقد تحريمه لكان آتياً باحدى المفسدتين
وهو الذي يستحق العقوبة دون الاول فدل على ان مفسدة الذنب
تابعة للجراءة والتوثب قالوا ويدل على هذا ان المعصية تتضمن
الاستهانة بامر المطاع ونهيه وانتهاك حرمته وهذا لا فرق فيه بين
ذنب وذنب قالوا فلا ينظر العبد الى كبر الذنب وصغره في
نفسه ولكن ينظر الى قدر من عصاه وعظمته وانتهاك حرمته
بالمعصية وهذا لا يفترق فيه الحال بين معصية ومعصية فان ملكاً

مطاعاً عظيماً لو امر احد مملوكه ان يذهب في مهم له الى بلدٍ بعيدٍ و
امر اخر ان يذهب في شغل له الى جانب الدار فعصاه وخالفا امره
لكانا في مقته وسقوط من عينه سواء قالوا ولهذا كانت معصية من ترك
الحج من مكة وترك الجمعة وهو جار المسجد اقبح عند الله من معصية من تركه
من المكان البعيد والواجب على هذا اكثر من الواجب على هذا ولو كان
مع رجل مائتا درهم فمنع زكاتها ومع آخر مائتا الف الف فمنع زكاتها
لاستويا في منع ما وجب على كل واحدٍ منهما ولا يبعد استواءهما
في العقوبة اذ كان كل منهما مصراً على منع زكاة ماله قليلاً كان او
كثيراً **فصل** وكشف الغطاء عن هذه المسئلة ان يقال
ان الله عز وجل ارسل رسله وانزل كتبه وخلق السموات والارض
ليعرف ويوحد ويعبد ويكون الدين كله له والطاعة كلها له والدعوة
له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال وما
خلقنا السماوات والارض وما بينهما الا بالحق وقال الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء
قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً وقال تعالى جعل الله الكعبة
البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك
لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل
شيء

شيء عليم فاخبر سبحانه ان القصد بالخلق والامر ان يعرف باسمائه وصفاته
ويعبد وحده لا يشرك به وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي
قامت به السموات والارض كما قال لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا
معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط هو العدل ومن اعظم العدل التوحيد
بل هو رأس العدل واقومه وان الشرك اظلم الظلم والتوحيد اعدل
العدل فما كان اشد منافاة لهذا المقصود فهو اكبر الكبائر وتفاوتها
في درجاتها بحسب منافاتها له وما كان اشد موافقة لهذا المقصود
فهو اوجب الواجبات وافرض الطاعات فتأمل هذا حق التأمل
واعتبر به تفاصيل تعرف حكمة احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما فرضه على عباده
وحرمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي ولما كان الشرك
بالله منافياً بالذات لهذا المقصود كان اكبر الكبائر على الاطلاق وحرم
الله الجنة على كل مشرك واباح دمه وماله لاهل التوحيد وان
يتخذوهم عبيداً لهم لما تركوا القيام بعبوديته وابى الله سبحانه ان يقبل
من مشرك عملاً او يقبل فيه شفاعة او يستجيب له في الآخرة دعوة او
يقبل فيها عثرة فان المشرك اجهل الجاهلين بالله حيث جعل له
من خلقه نداً وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان كان
المشرك لم يظلم نفسه ووقعت مسئلة وهي ان المشرك انما قصده

توظيم جناب الرب تعالى وانه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه الا بالوسايط و
الشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية
وانما قصد تعظيمه وقال انا اعبد هذه الوسايط لتقربني اليه وتدخلني عليه
فهو المقصود وهذه وسائل وشفعاء فلم كان هذا القدم موجبا لسخطه و
غضبه تبارك وتعالى ومخلدا في النار وموجبا لسفك دماء اصحابه واستباحة
حريمهم واموالهم وترتب على هذا سؤال آخر وهو انه هل يجوز ان يشرع الله
سبحانه لعباده التقرب اليه بالشفعاء والوسايط فيكون تحريم هذا
انما استفيد من الشرع ام ذلك قبيح في الفطرة والعقول يمتنع ان ياتي به
شريعة بل جاءت الشرايع بتقرير ما في الفطر والعقول من قبحه الذي هو اقبح
من كل قبيح واما الشرك في كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب كما قال تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فتامل هذا
السؤال واجمع قلبك وذهنك على جوابه ولا تستهونه فان به يحصل
الفرق بين المشركين والموحدين والعالمين بالله والجاهلين به واهل الجنة واهل
النار فنقول وبالله التوفيق والتاييد ومنه نستمد المعونة والتسديد فانه
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ولا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع
الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه وصفاته وشرك
يتعلق بافعاله فالشرك الاول نوعان احدهما شرك التعطيل وهذا اقبح
انواع

انواع الشرك كشرك فرعون اذ قال وما رب العالمين وقال لهامان ابن لي صرحا
لعلي ابلغ الاسباب الى قوله واني لاظنه من الكاذبين والشرك والتعطيل متلازمان
فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل التعطيل بل قد يكون
المشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته ولكنه عطل حق التوحيد واصل الشرك
وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة اقسام تعطيل المصنوع عن صانعه و
خالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل اسمائه واوصافه
وافعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن هذا
شرك طائفة اهل وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق
ولا هاهنا شيئان بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه ومنه شرك
الملاحدة القائلين بقدم العالم وابديته وانه لم يكن معدوما اصلا
بل لم يزل ولا يزال والحوادث باسرها مستندة عندهم الى اسباب
ووسايط اقتضت ايجادها يسمونها العقول والنفوس ومن هذا شرك
من عطل اسماء الرب تعالى واوصافه وافعاله من غلاة الجهمية و
القرامطة فلم يثبتوا له اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق اكمل منه اذ كمال الذات
باسمائها وصفاتها **فصل** النوع الثاني شرك من جعل معه الها
آخر ولم يعطل اسماءه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوه
ثالث ثلاثة فجعلوا المسيح الها ومن هذا شرك المجوس القائلين باسناد

حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة ومن هذا شرك القدرية
القائلين بان الحيوان هو الذي يخلق افعاله وانها تحدث بدون مشية الله وقدرته
وارادته ولهذا كانوا اشباه المجوس ومن هذا شرك الذي حاج ابرهيم
في ربه اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت فهذا
جعل نفسه نداً لله يحيي ويميت بزعمه كما انا احيي واميت فالزمه ابرهيم ان طرد
قولك ان تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التي ياتي الله بها وليس هذا
انتقالاً كما زعم بعض اهل الجدل بل الزمه على طرد الدليل ان كان حقاً ومن
اشرك كثيراً ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها ارباباً مدبرة
لامر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم ومن هذا شرك
عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ومن هولاء من يزعم ان معبوده هو الاله على
الحقيقة ومنهم من يزعم انه اكبر الالهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة
الالهة وانه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه والانقطاع اليه اقبل عليه
واعتنا به ومنهم من يزعم انه معبوده الادنى يقربه الى المعبود الذي فوقه
والفوقاني يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الالهة الى الله سبحانه
فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل فصل واما الشرك
في العبادة فهو اسهل من هذا الشرك واخف امراً فانه يصدر ممن
يعتقد انه لا اله الا الله وانه لا يضر وينفع ويعطي ويمنع الا الله وانه لا اله
غيره

غيره ولا رب سواه ولكن لا يخلص لله في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه
تارةً ولطلب الدنيا تارةً ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارةً
فلله من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه وهواه نصيب وللشيطان نصيب وللخلق
نصيب وهذا حال اكثر الناس وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم
فيما رواه ابن حبان في صحيحه الشرك في امتي اخفى من دبيب النمل
قالوا كيف ننجوا منه قال قل اللهم اني اعوذ بك من ان اشرك بك
شيئاً وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم فالريا كله شرك قال تعالى
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء
ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً اي كما انه
اله واحد لا اله سواه فلذلك ينبغي ان يكون العبادة له وحده
فكما تفرد بالالهية يجب ان يفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالي من
الريا المقيد بالسنة وكان من دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم اجعل
عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لاحد فيه شيئاً
وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل وقد يعاقب عليه اذا
كان العمل واجباً فانه ينزل منزلة من لم يعمله فيعاقب على ترك
الامر فان الله سبحانه انما امر بعبادته خالصةً قال الله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل

ما أمر به بل الذي أتى به شيئاً غير المأمور به فلا يصح ولا يقبل منه ويقول الله تعالى
أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فهو للذي
أشرك به وأنا منه بريء وهذا الشرك ينقسم إلى مغفور وغير مغفور
فمنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم أن يحب مخلوقاً كما يحب الله فهذا
من الشرك الذي لا يغفره الله وهو الشرك الذي فيه سبحانه ومن الناس
من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله
وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم تالله إن كنا
لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ومعلوم أنهم ما سووهم
به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والملك والقدرة
وإنما سووهم به في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الظلم
والجهل فكيف يسوى التراب برب الأرباب وكيف يسوى العبيد بمالك
الرقاب وكيف يسوى الفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز بالذات
المحتاج بالذات الذي ليس له من ذاته إلا العدم بالغني بالذات القادر
بالذات الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله
المطلق التام من لوازم ذاته فأي ظلم أقبح من هذا وأي حكم أشد
جوراً منه حيث عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى الحمد لله الذي
خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون

يعدلون فعدل المشرك من خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور
بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض فيا
لك من عدل تضمن أكبر الظلم وأقبحه فصل ويتبع هذا الشرك
الشرك به سبحانه في الأفعال والأقوال والإرادات والنيات فالشرك
في الأفعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية
وخضوعاً لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه في الأرض
أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلي فيها فكيف بمن اتخذ
القبور أوثاناً يعبدها من دون الله وفي الصحيحين عنه إن من شرار
الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد
وفي الصحيح أيضاً عنه إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا
فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك وفي مسند الإمام أحمد
وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور والمتخذين
عليها المساجد وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد وقال إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح
بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق
عند الله يوم القيامة فهذا حال من سجد لله في مسجد على قبر فكيف حال

من سجد للقبر نفسه وقد قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد اعظم حماية حتى نهى عن التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا يكون ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين وسد الذريعة بان منع من الصلوة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين الذين يسجد المشركون فيهما الشمس واما السجود لغير الله فقال لا ينبغي لاحد ولا ينبغي في كلام الله ورسوله قال تعالى وما ينبغي للرحمان ان يتخذ ولدا وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقوله وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وقوله عن الملائكة كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء

فصل ومن الشرك به سبحانه في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه احمد وابو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد اشرك الحاكم وابن حبان ومن ذلك قول القائل للمخلوق ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده وهذا مع ان الله قد اثبت للعبد مشيئة كقوله لمن شاء منكم ان يستقيم فكيف بمن يقول انا متوكل على الله وعليك وانا حسب الله وحسبك ومالي الا الله وانت وهذا من الله ومنك وهذا من

وبركات الله وبركتك والله لي في السماء وانت لي في الارض والله وحياة فلان او يقول نذرا لله ولفلان وارجو الله وفلانا ونحو ذلك فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول القائل ما شاء الله وشئت ثم انظر ايها افحش يتبين لك ان قائلها اولى بجواب النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعله لله ندا بها فقد جعل من لا يداني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من الاشياء بل لعله ان يكون من اعدائه ندا لرب العالمين فالسجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الراس خضوعا وتعبدا والطواف بالبيت والدعاء كل ذلك محض حق الله الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل وفي مسند الامام احمد ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم قد اذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال عرف الحق لاهله

فصل واما الشرك في الارادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن اراد بعمله غير وجه الله او نوى شيئا غير التقرب اليه وطلب الجزاء منه فقد اشرك في نيته وارادته والاخلاص ان يخلص لله في اقواله وافعاله وارادته ونيته

وهذه هي الحنيفية ملة ابراهيم التي امر الله بها عباده كلهم ولا يقبل
من احد غيرها وهي حنيفية الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وهو في الاخرة من الخاسرين وهي ملة ابراهيم التي من يرغب عنها فهو من
اسفه السفهاء

فصل

اذا عرفت هذه المقدمة انفتح لك باب
الجواب عن السؤال المذكور فنقول ومن الله وحده نستمد الصواب حقيقة
الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به هذا هو التشبيه في الحقيقة
لا صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله سبحانه
فعكس الامر من نكس الله قلبه واعمى عين بصيرته واركسه بلبسه الامر وجعل
التوحيد تشبيها والتشبيه تعظيما فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في
خصائص الالهية المنفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وذلك
يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء وجعل ما لا يملك لنفسه ضرا
ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فضلا عن غيره شبيها
لمن له الامر كله فازمة الامور كلها بيديه ومرجعها اليه فما شاء كان
وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع بل اذا فتح لعبده
باب رحمته لم يمسكها احد وان امسكها عنه لم يرسلها اليه احد فمن
اقبح التشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات
ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه
من الوجوه

من الوجوه وذلك يوجب ان يكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال والخشية
والدعاء والرجاء والانابة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب
كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة ان
يكون لغيره فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثل
ولا ند له وذلك اقبح التشبيه وابطله ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم اخبر عباده
انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة ومن خصائص الالهية العبودية التي قامت
على ساقين لا قوام لها بدونهما غاية الحب مع غاية الذل هذا تمام العبودية وتفاوت
منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الاصلين فمن اعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله
فقد شبهه به في خالص حقه وهذا من المحال ان تجيء به شريعة من الشرائع وقبحه مستقر في
كل فطرة وعقل ولكن غيرت الشياطين فطر الخلق وعقولهم وافسدتها عليهم واجتالتهم
عنها ومضى على فطرة الاولى من سبقت له من الله الحسنى فارسل اليهم رسله وانزل
عليهم كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله
لنوره من يشاء اذا عرفت هذا فمن خصائص الالهية السجود فمن سجد لغيره فقد
شبه المخلوق به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به ومنها التوبة فمن تاب
لغيره فقد شبهه به ومنها الحلف باسمه تعظيما واجلالا فمن حلف بغيره فقد شبهه به
هذا في جانب التشبيه لمن تعاظم وتكبر ودعا الناس الى اطرائه في المدح والتعظيم
والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة فقد شبه نفسه بالله

ونازعه في ربوبيته والهيته وهو حقيق بان يهينه الله غاية الهوان ويذل غاية الذل
ويجعله تحت اقدام خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل
العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته واذا كان المصور
الذي يصنع الصورة بيده اشد الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد
الصنعة فما الظن بالمشبه بالله في الربوبية والالهية كما قال صلى الله عليه وسلم
اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون ويقال لهم احيوا ما خلقتم
وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب
يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فنبه بالذرة والشعيرة
على ما هو اعظم منها واكبر والمقصود ان هذا حال من بعثه لتشبهه به في صنعة
صورة فكيف من تشبه به في خواص ربوبيته والهيته وكذلك من تشبه به في الاسم
الذي لا ينبغي الا له وحده كملك الاملاك وحاكم الحكام ونحوه وقد ثبت
في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخنع الاسماء عند الله رجل
يتسمى بشاهان شاه ملك الملوك ولا ملك الا الله وفي لفظ اغيظ
رجل على الله رجل يسمى بملك الاملاك فهذا مقت الله وغضبه على من
تشبه في الاسم الذي لا ينبغي الا له فهو سبحانه ملك الملوك وحده وهو
حاكم الحكام وحده فهو الذي يحكم على الحكام كلهم ويقضي عليهم كلهم لا غيره
فصل اذا تبين هذا فهاهنا اصل عظيم يكشف
سر

سر المسئلة وهو ان اعظم الذنوب عند الله اساءة الظن به فان المسيء به
الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس فظن به ما يناقض اسماءه وصفاته
ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لا يتوعد به غيرهم كما قال تعالى
عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت
مصيرا وقال تعالى لمن انكر صفة من صفاته وذلكم ظنكم الذي ظننتم ارداكم
فاصبحتم من الخاسرين وقال تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام انه قال لقومه ماذا
تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي
فما ظنكم ان يجازيكم به اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وما ظننتم به حين عبدتم
معه غيره وما ظننتم باسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى احوجكم ذلك
الى العبودية غيره فلو ظننتم به ما هو اهله من انه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير
وانه غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه وانه قائم بالقسط على خلقه
وانه المتفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره والعالم بتفاصيل الامور
فلا يخفى عليه خافية من خلقه والكافي لهم وحده فلا يحتاج الى معين
والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته الى من يستعطفه وهذا بخلاف الملوك
من ابناء الدنيا من الرؤساء فانهم محتاجون الى من يعرفهم احوال الرعية
وحوائجهم والى من يعينهم على قضاء حوائجهم والى من يسترحمهم ويستعطفهم
بالشفاعة فاحتاجوا الى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم

وقصور علمهم فاما القادر على كل شيء الغني بذاته عن كل شيء العالم
بكل شيء الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء فادخال الوسائط
بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته والهيته وتوحيده وظن به ظن السوء
وهذا يستحيل ان يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر وقبحه مستقر في العقول
السليمة فوق كل قبيح يوضح هذا ان العابد معظم لمعبوده متاله له خاضع
ذليل له فالرب تعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والاجلال والتاله له و
والخضوع والذل وهذا خالص حقه فمن اقبح الظلم ان يعطي حقه لغيره او ان
يشرك بينه وبينه فيه ولا سيما اذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده
مملوكه كما قال تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم
من شركاء فيما رزقناكم تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي اذا كان احدكم
يأنف ان يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي
شركاء فيما انا منفرد به وهو الالهية التي لا ينبغي لغيري ولا تصلح لسواي
فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي ولا افردني بما انا
منفرد به وحدي دون خلقي فما قدر الله حق قدره من عبد معه غيره كما قال تعالى
يا ايها الذين آمنوا ضرب فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز
فما قدر

فما قدر الله حق قدره من عبد معه لا يقدر على خلق اضعف حيوان واصغره وان
سلبه الذباب شيئا مما عليه لم يقدر على استنقاذه منه وقال تعالى وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه
وتعالى عما يشركون فما قدر من هذا شانه وعظمته حق قدره من اشرك معه
في عبادته من ليس له شيء من ذلك البتة بل هو اعجز شيء واضعفه فما قدر
القوي العزيز حق قدره من اشرك معه الضعيف الذليل وكذلك ما قدره
حق قدره من قال انه لم يرسل الى خلقه رسولا ولا انزل كتابا بل نسبه الى
ما لا يليق ولا يحسن منه من اهمال خلقه وتضييعهم وتركهم سدى وخلقهم
باطلا عبثا ولا قدره حق قدره من نفى حقائق اسمائه الحسنى وصفاته العلى
فنفى سمعه وبصره وارادته واختياره وعلوه فوق خلقه بما يريد او نفى
عنه عموم قدرته وتعلقها بافعال عباده من طاعاتهم ومعاصيهم
فاخرجها عن قدرته ومشيئته وخلقه وجعلهم يخلقون ما يشاؤون بدون
مشيئة الرب فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون تعالى الله عن
قول اشباه المجوس علوا كبيرا وكذلك ما قدره حق قدره من قال انه
يعاقب عبده على ما لا يفعل العبد ولا له عليه قدرة ولا تاثير فيه البتة بل
هو نفس فعل الرب جل جلاله فيعاقب عبده على فعله هو سبحانه الذي جبر
العبد عليه وجبره على الفعل اعظم من اكراه المخلوق فاذا كان من المستقر في الفطر

والمعقول ان السيد لو اكره عبده على فعل والجأه اليه ثم عاقبه عليه لكان
قبيحاً فاعدل العادلين واحكم الحاكمين وارحم الراحمين كيف يجبر العبد على
فعل ما لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير ولا هو واقع بارادته بل ولا هو
فعله البتة ثم يعاقبه عليه عقوبة الابد تعالى الله عن ذلك علواً
كبيراً وقوله هؤلاء اشر من اشباه المجوس والطائفتان وما قدروا الله حق قدره
من لم يصنه عن بير ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله في كل مكان
وصانه عن عرشه ان يكون مستوياً عليه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
وتعرج الملائكة والروح اليه وتنزل من عنده ويدبر الامر من السماء الى الارض
ثم يعرج اليه فصانه عن استوائه على سرير الملك ثم جعله في مكان يأنف
الانسان بل غيره من الحيوان ان يكون فيه وما قدره حق قدره من نفى حقيقة
محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته ولا من نفى حقيقة حكمته
التي هي الغايات المحمودة المقصودة بفعله ولا من نفى حقيقة فعله ولم
يجعل له فعلاً اختيارياً يقوم به بل افعاله مفعولات منفصلة عنه
فنفى حقيقة محبته واتيانه واستواءه على عرشه وتكليمه موسى من جانب
الطور ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه الى غير
ذلك من افعاله واوصاف كماله التي نفوها وزعموا انهم بنفيها
قدروه حق قدره وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة

وولداً

وولداً او جعله يحل في مخلوقاته او جعله عين هذا الوجود وكذلك لم يقدره
حق قدره من قال انه رفع اعداء رسوله وجعل فيهم الملك والخلافة والعز
ووضع اولياء رسوله واهل بيته وسباهم واذلهم وضرب عليهم الذلة
اينما ثقفوا وهذا غاية القدح في الرب تعالى عن قول الرافضة علواً
كبيراً وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى ان رب العالمين
ارسل ملكاً ظالماً فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله ومكث زماناً
طويلاً يكذب عليه كل وقت ويقول قال كذا وامر بكذا ونهى عن كذا
وينسخ شرائع انبيائه ورسله ويستبيح دماء اتباعهم واموالهم و
حريمهم ويقول الله اباح لي ذلك والرب تعالى يظهره ويؤيده
ويعينه وينصره ويجيب دعوته ويمكنه ممن خالفه ويقيم الادلة على
صدقه ولا يعاديه احد الا ظفر به فيصدقه بقوله وفعله ونصره و
يحدث ادلة تصديقه شيئاً بعد شيء معلوم ان هذا يتضمن اعظم القدح
والطعن في الرب سبحانه وتعالى وعلمه وحكمته ورحمته وربوبيته تعالى الله
عن قول الجاحدين علواً كبيراً فوازن بين قول هؤلاء وقول اخوانهم
الرافضة تجد القولين ، رضيعي لبان ام ثدي تقاسما ، باسحم داج
عوض لا نتفرق ، وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه يجوز ان يعذب
اولياءه ولم يعصه طرفة عين ~~ويدخلهم دار النعيم~~ ويدخلهم دار الجحيم

ونعيم اعداه ومن لم يؤمن طرفة عين ويدخلهم دار النعيم وان كلا الامرين
بالنسبة اليه سواء وانما الخبر المحض جاء عنه بخلاف ذلك فمنعناه للخبر
لا لمخالفة حكمته وعدله وقد انكر سبحانه على من يجوز عليه ذلك غاية الانكار
وجعل الحكم به من اسوا الاحكام وكذلك لم يقدره حق قدره من لم
يزعم انه يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ولا يبعث خلقه ليوم
يجازي فيه المحسن باحسانه والمسيء باسائته وياخذ للمظلوم فيه حقه
من ظالمه ويكرم المتحملين المشاق في هذه الدار من اجله في مرضاته
بافضل كرامته ويبين لخلقه الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم
كانوا كاذبين وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه امره
فعصاه ونهيه فارتكبه وحقه فضيعه وذكره فاهمله وغفل قلبه عنه وكان
هواه اثر عنده من طلب رضاه وطاعة المخلوق اهم عنده من طاعته
فلله الفضلة من قلبه وقوله وعمله وسواه المقدم في ذلك لانه المهم
عنده يستخف بنظر الله اليه واطلاعه عليه وهو في قبضته وناصيته بيده
ويعظم نظر المخلوق اليه باطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه ويستحي
من الناس ولا يستحي من الله ويخشى الناس ولا يخشى الله ويعامل الخلق بافضل ما يقدر
عليه وان عامل الله عامله باهون ما عنده واحقره ان قام في خدمة
الهه من البشر قام بالجد والاجتهاد وقد بذل له النصيحة وقد فرغ له قلبه و
جوارحه

وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه حتى اذا قام في حق ربه ان ساعد القدر قام
قياما لا يرضى مثله مخلوق من مخلوق وبذل له من ماله ما يستحي ان يواجه به مخلوق
لمثله فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه وهل قدره حق قدره من شارك
بينه وبين عدوه في محض حقه من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع
والرجاء والخوف فلو جعل له من اقرب الخلق شريكا في ذلك لكان جراة
وتوثبا على محض حقه واستهانة به وتشريكا بينه وبين غيره فيما لا ينبغي
ولا يصلح الا له فكيف وانما شرك بينه وبين ابغض الخلق اليه واهونهم
عليه وامقتهم عنده وهو عدوه على الحقيقة فانه ما عبد من دون الله الا الشيطان
كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولما عبد المشركون الملائكة
بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الامر للشيطان وهم يظنون انهم يعبدون
الملائكة كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء
اياكم يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون فالشيطان يدعو المشرك الى عبادته
ويوهمه انه ملك وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون
انهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب وهي التي تخاطبهم وتقضي
لهم الحوائج ولهذا اذا طلعت الشمس قارنها الشيطان فيسجد لها الكفار

فيقع سجودهم له وكذلك عند عزيرها وكذلك من عند المسيح وامه لم
يعبدونهما وانما عبد الشيطان فانه يزعم انه يعبد من امره بعبادته وعبادة
امه ورضيها لهم وامرهم بهذا وهذا هو الشيطان الرجيم لا عبد الله ورسوله
فنزل هذا كله على قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان
فما عبد احد من بني آدم غير الله كائناً من كان الا وقعت عبادته للشيطان
فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه
له واشراكه مع الذي هو غاية رضى الشيطان ولهذا قال تعالى ويوم يحشرهم
جميعاً يا معشر الجن والانس قد استكثرتم من الانس اي من اغويتهم
واضللتهم وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء
الله ان ربك حكيم عليم فهذه اشارة لطيفة الى السر الذي لاجله
كان الشرك اكبر الكبائر عند الله وانه لا يغفر بغير التوبة منه وانه
يوجب الخلود في النار وانه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه بل يستحيل
عليه ما يناقض اوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن بالمنفرد
بالربوبية والالهية والعظمة والجلال ان يأذن في مشاركته في ذلك
او يرضى به تعالى عن ذلك علواً كبيراً فصل فلما كان الشرك
اكبر شيء منافاة للامر الذي خلق الله له الخلق وامر لاجله بالامر كان
اكبر

اكبر الكبائر عند الله وكذلك الكبر وتوابعه كما تقدم فان الله سبحانه خلق الخلق
وانزل الكتب لتكون الطاعة له وحده والشرك والكبر ينافيان ذلك
ولذلك حرم الله الجنة على اهل الشرك والكبر فلا يدخلها من في قلبه
مثقال ذرة من كبر ويلي ذلك في كبر المفسدة القول على الله بلا علم
في اسمائه وصفاته وافعاله ووصفه بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله
فهو اشد شيء مناقضة ومنافاة للخلق والامر وقدح في نفس الربوبية
وخصائص الرب فان صدر ذلك عن علم فهو عناد اقبح من الشرك
واعظم اثماً عند الله فان المشرك المقر بصفات الرب خير من المعطل
الجاحد لصفات كماله كما ان من اقر لملك بالملك ولم يجحد ملكه ولا الصفات
التي استحق بها الملك لكن جعل معه شريكاً في بعض الامور يتقرب به اليه
خير ممن جحد صفات الملك وما يكون به ملكاً هذا امر مستقر في سائر
الفطر والعقول فاين القدح في صفات الكمال والجحد لها من عبادة واسطة
بين المعبود الحق وبين العابد يتقرب اليه بعبادة تلك الواسطة اعظاماً
له واجلالاً فداء التعطيل هو الداء العضال الذي لا دواء له ولهذا حكى
الله عن امام المعطلة فرعون انكر على موسى ما اخبره به من ان ربه فوق
السموات فقال يا هامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذباً واحتج الشيخ ابو الحسن

الامشور في كتبه على المعطلة بهذه الآية وقد ذكرنا لفظه في غير هذا الكتاب والقول على الله بلا علم والشرك متلازمان ولما كانت البدع المضلة جهلاً بصفات الله وتكذيباً بما اخبر به عن نفسه واخبر به عنه رسوله عناداً وجهلاً كانت من اكبر الكبائر وان قصرت عن الكفر وكانت احب الى ابليس من كبائر الذنوب كما قال بعض السلف البدعة احب الى ابليس من المعصية لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال ابليس اهلكت بني آدم بالذنوب واهلكوني بالاستغفار وبلا اله الا الله فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ومعلوم ان المذنب انما ضرره على نفسه واما المبتدع فضرره على النوع وفتنة المبتدع في اصل الدين وفتنة المذنب في الشهوة والمبتدع قد قعد للناس على الصراط المستقيم يصدهم عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع قادح في اوصاف الرب وكماله والمذنب ليس كذلك و المبتدع مناقض لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والعاصي ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة والعاصي بطيء السير بسبب ذنوبه

فصل ثم لما كان الظلم والعدوان منافياً للعدل الذي قامت به السموات والارض وارسل الله سبحانه رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط به كان من اكبر الكبائر عند الله وكانت درجته في العظم بحسب مفسدته

في نفـ

في نفسه فكان قتل الانسان ولده والطفل الصغير الذي لا ذنب له قد جبل الله سبحانه القلوب على رحمته وعطفها عليه وخص الوالدين من ذلك بمزيد ظاهر فقتله خشية ان يشاركه في مطعمه ومشربه وماله من اقبح الظلم واشده وكذلك قتله ابويه الذين كانا سبب وجوده وكذلك قتله ذا رحمه وتتفاوت درجات القتل بحسب قبحه واستحقاق من قتله للسيوف في ابقائه ونصيحته ولهذا كان اشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً او قتله نبي ويليه من قتل اماماً او عالماً يأمر الناس بالقسط ويدعوهم الى الله وينصحهم في دينهم وقد جعل الله سبحانه جزاء قتل النفس المؤمنة عمداً الخلود في النار وغضب الجبار ولعنته واعداد العذاب العظيم له هذا موجب قتل المؤمن عمداً ما لم يمنع منه مانع ولا خلاف ان الاسلام الواقع بعد القتل طوعاً واختياراً مانعاً من نفوذ ذلك الجزاء وهل تمنع توبة المسلم منه بعد وقوعه فيه قولان للسلف والخلف وهما روايتان عن احمد والذين قالوا لا تمنع التوبة من نفوذه رأوا انه حق لآدمي لم يستوفه في دار الدنيا وخرج منها بظلامته فلا بد ان يستوفى له في دار العدل قالوا وما استوفاه الوارث فانما استوفى محض حقه الذي خيره الله بين استيفائه والعفو عنه وما ينفع المقتول من استيفاء وارثه واي استدراك لظلامته حصل له باستيفاء وارثه وهذا اصح القولين في المسألة ان حق المقتول لا يسقط باستيفاء الوارث وهما وجهان لاصحاب احمد

والثالث وعندهم رواية ثالثة انه يسقط بالتوبة واستيفاء الوارث
فان التوبة تهدم ما قبلها والذنب الذي جناه قد اقيم عليه حده قالوا واذا
كانت التوبة تمحو اثر الكفر والسحر وما هو اعظم اثما من القتل فكيف تقصر عن محو
اثر القتل وقد قبل الله توبة الكفار الذين اقتتلوا اولياءه وجعلهم من
خيار عباده ودعا الذين حرقوا اولياءه وفتنوهم عن دينهم الى التوبة
وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا فهذه في حق التائب وهي تتناول الكفر
وما دونه قالوا وكيف يتوب العبد من الذنب ويعاقب عليه بعد التوبة
هذا معلوم انتفاؤه في شرع الله في جزائه قالوا وتوبة هذا المذنب
تسليم نفسه ولا يمكن تسليمها الى المقتول فاقام الشارع وارثه مقامه
وجعل تسليم النفس اليه كتسليمها الى المقتول بمنزلة المال الذي عليه لوارثه
فانه يقوم مقام تسليمها للموروث والتحقيق في هذه المسئلة ان القتل
يتعلق به ثلاث حقوق حق الله وحق للمقتول وحق للولي فاذا سلم
القاتل نفسه طوعا واختيارا الى الولي ندما على ما فعل وخوفا من
من الله وتوبة نصوحا سقط حق الله بالتوبة وحق الولي بالاستيفاء
والصلح والعفو وبقي حق المقتول يعوضه الله عنه يوم القيامة عن عبده
التائب المحسن ويصلح بينه وبينه ولا يذهب ولا يبطل حق هذا ولا يبطل توبة
هذا

هذا واما مسئلة المال فقد اختلف فيها فقالت طائفة اذا ادى
ما عليه من المال الى الوارث فقد برئ من عهدته في الآخرة كما برئ منها
في الدنيا وقالت طائفة بل المطالبة لمن ظلمه بأخذه باقية عليه يوم
القيمة وهو لم يستدرك ظلامته بأخذ وارثه له فانه منعه من انتفاعه
به طول حياته ومات ولم ينتفع به وهذا ظلم لم يستدركه وانما
انتفع غيره باستدراكه وبنوا على هذا انه لو انتقل من واحد الى
واحد وتعدد الورثة كانت المطالبة به للجميع لانه حق يجب دفعه
الى كل واحد منهم عند كونه هو الوارث وهذا قول طائفة من
اصحاب مالك واحمد وفصل شيخنا بين الطائفتين فقال
ان تمكن الموروث من اخذ ماله والمطالبة به فلم يأخذه حتى مات
صارت المطالبة للوارث في الآخرة كما هي كذلك في الدنيا
وان لم يتمكن من طلبه واخذه بل حال بينه وبينه ظلما وعدوانا
فالطلب له في الآخرة وهذا التفصيل من احسن ما يقال فان
المال اذا استهلكه الظالم على الموروث وتعذر عليه اخذه منه
صار بمنزلة عبده الذي قتله قاتل وداره التي احرقها غيره
وطعامه وشرابه الذي اكله وشربه غيره ومثل هذا انما تلف
على الموروث لا على الوارث فحق المطالبة لمن تلف على ملكه

فينبغي ان يقال فاذا كان المال عقاراً وارضاً واعياناً قائمة باقية بعد
الموت فهي ملك للوارث يجب على الغاصب دفعها اليه كل وقت
فاذا لم يدفع اليه اعيانها ماله استحق المطالبة بها عند الله كما يستحق
المطالبة بها في الدنيا وهذا سؤال قوي لا مخلص منه الا بان
يقال المطالبة لهما جميعاً كما لو غصب مالاً مشتركاً بين جماعة استحق
كل منهم المطالبة بحصته منه وكما اذا استولى على وقف مرتب
على بطون فابطل حق البطون كلهم منه كانت المطالبة يوم القيامة
لجميعهم ولم يكن بعضهم اولى بها من بعض

فصل

ولما كانت مفسدة القتل هذه المفسدة قال تعالى من اجل
كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد
في الارض فكانما قتل الناس جميعاً ومن احياها فكانما احيا
الناس جميعاً وقد اشكل فهم هذا على كثير من الناس وقالوا معلوم
ان اثم قاتل مائة اعظم عند الله من اثم قاتل نفس واحدة وانما
اوتوا من ظنهم ان التشبيه في الاثم والعقوبة واللفظ لم يدل
على هذا ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء اخذه بجميع احكامه
وقد قال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وذلك لا يوجب لبثهم في الدنيا انما كان هذا

المقدار وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكانما
قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله اي مع العشاء
كما جاء في لفظ آخر وصح من هذا قوله من صام رمضان واتبعه ستاً من شوال
فكانما صام الدهر وقوله من قرأ قل هو الله احد فكانما قرأ ثلث القرآن ومعلوم
ان ثواب فاعل هذه الاشياء لا يبلغ ثواب المشبه به فيكون قدرهما سواء
ولو قدر الثواب سواء لم يكن لمصلي العشاء والفجر جماعة منفعة في قيام الليل
غير التعب والنصب وما اوتي عبد بعد الايمان افضل من الفهم عن الله ورسوله
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فان قيل فاي شيء وقع التشبيه بين
قاتل نفس واحدة وقاتل الناس جميعاً قيل من وجوه متعددة احدها
ان كلا منهما عاص لله ورسوله مخالف لامره متعرض لعقوبته وكل منهما
قد باء بغضب من الله ولعنته واستحقاق الخلود في نار جهنم واعد له عذاباً
عظيماً وان تفاوتت دركات العذاب فليس اثم من قتل نبياً او اماماً
عادلاً او عالماً يأمر الناس بالقسط كاثم من قتل من لا مزية له من احاد الناس
الثاني انهما سواء في استحقاق ازهاق النفس الثالث انهما سواء في الجرأة
على سفك الدم الحرام فان من قتل نفساً بغير استحقاق بل لمجرد الفساد
في الارض او لاخذ ماله فانه يتجرأ على قتل كل من ظفر به وامكنه قتله
فهو معاد للنوع الانساني ومنها انه يسمى قاتلاً وفاسقاً وظالماً وعاصياً

بقتله واحدا كما سيجي كذلك بقتله الناس جميعا ومنها ان الله سبحانه جعل
المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو
تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر فاذا اتلف القاتل من هذا الجسد عضوا
فكانما اتلف سائر الجسد والم جميع اعضائه فمن اذى مؤمنا واحدا فكانما
اذى جميع المؤمنين وفي اذى جميع المؤمنين اذى جميع الناس فان الله
انما يدفع عن الناس بالمؤمنين الذين بينهم فايذاء الحقير ايذائه الحق وقد
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفسا ظلما بغير حق الا كان على ابن ادم
الاول كفل من دمها لانه من سن القتل ولم يجي هذا الوعيد في اول زان
والاول سارق ولا اول شارب مسكر وان كان اول المشركون قد
يكون اولى بذلك من اول قاتل لانه اول من سن الشرك ولهذا
راى النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن لحي يعذب اعظم العذاب في النار
لانه اول من غير دين ابرهيم قال تعالى ولا تكونوا اول كافر به اي فيقتدي
بكم من بعدكم فيكون اثم كفره عليكم وكذلك حكم من سن سيئة فاتبع
عليها وفي جامع عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجي المقتول
يوم القيمة ناصيته وراسه بيده واوداجه تشخب دما يقول يارب
سل هذا فيما قتلني فذكروا لابن عباس رضي الله عنهما التوبة فتلى
هذه الاية ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم قال ما نسخت هذه الاية

ولابدلت

ولا بدلت واني له بالتوبة قال هذا حديث حسن وفيه ايضا عن نافع
قال نظر عبد الله بن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك
والمؤمن اعظم حرمة منك قال هذا حديث حسن وفي صحيح البخاري عن جندب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما ينتن من الانسان بطنه فمن
استطاع منكم ان لا ياكل الا طيبا فليفعل ومن استطاع ان لا يحول
بينه وبين الجنة مل كف من دم اهراقه فليفعل وفي صحيحه ايضا عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن في فسحة من دينه
ما لم يصب دما حراما وذكر البخاري ايضا عن ابن عمر قال من ورطات
الامور التي لا مخرج لمن اوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله وفي
الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه يرفعه سباب المسلم فسوق وقتاله
كفر وفيهما ايضا عنه صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب
بعضكم رقاب بعض وفي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم من قتل
معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين
عاما هذه عقوبة قاتل عبد المؤمن واذا كانت امراة قد دخلت
النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا وعطشا فراها النبي صلى
الله عليه وسلم في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها فكيف
عقوبة من حبس مؤمنا حتى مات بغير جرم وفي بعض السنن عنه صلى

عليه وسلم لزوال الدنيا اهون على الله من قتل مؤمن بغير حق

فصل ولما كانت مفسدة الزنا اعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام العالم من حفظ الانساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقي ما يوقع اعظم العداوة والبغضاء بين الناس من افساد كل منهم امراة صاحبه وابنته واخته وامه وفي ذلك خراب العالم كانت تلي مفسدة القتل في الكبر ولهذا قرنها الله سبحانه بها في كتابه ورسوله بها في سنته كما تقدم قال الامام احمد لا اعلم بعد قتل النفس شيئا اعظم من الزنا وقد اكد الله سبحانه حرمته بقوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب • فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف ما لم يرفع العبد موجب ذلك بالتوبة والايمان والعمل الصالح قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فاخبر عن فحشه في نفسه وهو القبيح الذي تناهى قبحه حتى استقر فحشه في العقول حتى عند كثير من الحيوان كما ذكر البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الاودي قال رايت في الجاهلية قردا زنا

بقردة

بقردة فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا ثم اخبر عن غايته بانه ساء سبيلا فانه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وسبيل عذاب وخزي ونكال في الآخرة ولما كان نكاح ازواج الآباء من اقبحه خصه بمزيد ذم فقال انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وعلق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه فلا سبيل له الى الفلاح بدونه فقال قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون • وهذا يتضمن ثلاثة امور ان من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين وانه من الملومين ومن العادين ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم فمقاساة الم الشهوة ومعاناتها ايسر من بعض ذلك ونظير هذا انه سبحانه ذم الانسان انه خلق هلوعا لا يصبر على ضراء ولا سراء بل اذا مسه الخير منع وبخل واذا مسه الشر جزع الا من استثناه الله بعد ذلك من الناجين من خلقه فذكر منهم الذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون • وامر تعالى نبيه ان يأمر

المؤمنين بغض ابصارهم وحفظ فروجهم وان يعلمهم انه مشاهد
اعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولما كان
مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على حفظ الفرج فان
الحوادث مبدأها من النظر كما ان معظم النار من مستصغر الشرر فتكون
نظرة ثم خطوة ثم خطيئة ولهذا قيل من حفظ هذه الاربعة احرز
دينه اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات فينبغي للعبد ان
يكون بواب نفسه على هذه الابواب الاربعة ويلازم الرباط على
ثغورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما علوا
تتبيرا **فصل** واكثر ما تدخل المعاصي على العبد من هذه الابواب
الاربعة فنذكر في كل باب منها فصلاً يليق به فاما اللحظات
فهي رائد الشهوة ورسولها وحفظها اصل حفظ الفرج فمن اطلق بصره
اورد موارد الهلاك وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة
فانما لك الاولى وليست لك الاخرة وفي المسند عنه صلى الله عليه وسلم
النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة
لله اورث الله قلبه حلاوة الى يوم القيامة هذا معنى الحديث وقال
غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وقال اياكم والجلوس على الطرقات
قالوا يا رسول الله مجالسنا ما لنا منها بد قال فان كنتم لا بد فاعلين

فاعطوا

فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الاذى ورد
السلام والنظر اصل عامة الحوادث التي تصيب للانسان فان النظرة
تولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة
ارادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولا بد ما لم يمنع منه مانع
وفي هذا قيل الصبر على غض البصر ولا الصبر على الم ما بعده وقال
الشاعر كل الحوادث مبدأها من النظر ✤ ومعظم النار من مستصغر
الشرر ✤ كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ✤ فعل السهام بلا قوس
ولا وتر ✤ والعبد ما دام ذا طرف يقلبه ✤ في اعين العين موقوف
على الخطر ✤ ومن آفات النظر انه يورث الحسرات والزفرات
والحرقات فيرى العبد ما ليس قادرا عليه ولا صابرا عنه وهذا
من اعظم العذاب ان ترى ما لا صبر لك على بعضه ولا قدرة
لك عليه كما قال الشاعر وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر ✤ رأيت الذي لا كله انت قادر
عليه ولا عن بعضه انت صابر ✤ وهذا البيت يحتاج الى شرح
ومراده انك ترى ما لا تصبر عن شيء منه ولا تقدر على شيء منه فان
قوله لا كله انت قادر عليه نفي لقدرته على الكل التي لا تنتفي الا بنفي
القدرة عن كل واحد وكم من ارسل لحظاته فما اقلعت الا وهو يتشحط

بيهن قتيلاً كما قيل ⁂ يا ناظراً ما اقلعت لحظاته ⁂ حتى تشحط بينهن قتيلا
من الندامة فاعتدت لحظاته ⁂ وقفاً على طلل يظن جميلاً ⁂ مازال يتبع اثره
لحظاته حتى تشحط بينهن قتيلاً ⁂ ومن العجب ان لحظ الناظر سهم لا يصل الى
المنظور اليه حتى يتبوأ مكاناً من قلب الناظر ولي من قصيده يا راميا
بسهام اللحظ مجتهداً انت القتيل بما ترمي فلا تصب وباعث الطرف يرتاد
الشفاء احبس رسولك لا يأتيك بالعطب واعجب من ذلك ان
النظرة تجرح القلب فيتبعها جرحاً على جرح ثم لا يمنعه الم الجراحة من استدعى
تكرارها ولي ايضاً في هذا المعنى ⁂ مازالت تتبع نظرة في نظرة ⁂
في اثر كل مليحة ومليح ⁂ وتظن ذلك دواء جرحك وهو في التحقيق تجريح
على تجريح ⁂ قد ذبحت طرفك باللحاظ وبالبكاء ⁂ فالقلب مثل ذبيح
ابن ذبيح ⁂ واما الخطرات فشأنها اصعب فانها مبدأ الخير والشر
ومنها تتولد الارادات والهمم والعزائم فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه
وقهر هواه ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه له اغلب ومن استهان
بالخطرات قادته قهراً الى المهلكات ولا تزال الخطرات تتردد على
القلب حتى تصير منا باطلة كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا
جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب
واخس الناس همة واوضعهم نفساً من رضي من الحقائق بالاماني

الكاذبة

الكاذبة واستجلبها لنفسه وتحلى بها وهي لعمر الله رؤوس اموال المفلسين
ومتاجر البطالين وهي قوت النفس الفارغة التي قد قنعت من الوصل
بزوره الخيال ومن الحقائق بكواذب الآمال كما قال الشاعر ⁂ رغدا
منى ان تكن حقاً تكن احسن المنى والا فقد عشنا بها زمناً وهي اضر
شيء على الانسان وتتولد من العجز والكسل وتولد التفريط والحسرة
والندم والتمني لما فاته مباشرة الحقيقة بجسمه تحت صورتها في قلبه
وعانقها وضمها اليه فقنع بوصال صورة وهمية خيالية صورها فكره
وذلك لا يجدي عليه شيئاً وانما مثله مثل الجائع والظمآن يصور
في وهمه صورة الطعام والشراب وهو يأكل ويشرب والسكون الى
ذلك واستحلائه يدل على خساسة النفس ووضاعتها وانما
شرف النفس وزكاتها وطهارتها وعلوها بان ينفي عنها كل خطرة
لا حقيقة لها ولا يرضى ان يخطرها بباله ويأنف لنفسه منها ثم الخطرات
بعد اقسام تدور على اربعة اصول خطرات يستجلب بها منافع
دنياه وخطرات يستدفع بها مضار دنياه وخطرات يستجلب
بها مصالح آخرته وخطرات فليحصر خطراته وافكاره وهمومه في
هذه الاقسام الاربعة فاذا انحصرت له فيها فما امكن اجتماعه
منها لم يتركه لغيره واذا تزاحمت عليه الخطرات لتزاحم متعلقاتها

قدم الاهم الذي يخشى فوته واخر الذي ليس باهم ولا يخاف فوته بقي
قسمان آخران احدهما مهم لا يفوت والثاني غير مهم لكنه يفوت
وفي كل منهما ما يدعو الى تقديمه فهاهنا يقع التردد والحيرة فان قدم
المهم خشي فوات ما دونه وان قدم ما دونه فاته الاشتغال به عن المهم
وكذلك يعرض له امران لا يمكن الجمع بينهما ولا يحصل احدهما الا
بتفويت الاخر فهذا موضع استعمال العقل والفقه والمعرفة ومن
هاهنا ارتفع من ارتفع وانجح من انجح وخاب من خاب فاكثر
من ترى ممن يعظم عقله ومعرفته يؤثر غير المهم الذي لا يفوت على المهم
الذي يفوت ولا تجد احدا يسلم من ذلك ولكن مستقل ومستكثر
والحكم في هذا الباب القاعدة الكبرى التي عليها مدار الشرع واليها
يرجع الخلق والامر وهي ايثار اكبر المصلحتين واعلاهما وان فاتت
المصلحة التي هي دونها والدخول في ادنى المفسدتين لدفع ما هو
اكبر منها ~~ويترك مفسده~~ لدفع فيفوت مصلحة لتحصيل ما هو اكبر
منها ويترك مفسده لدفع ما هو اعظم منها فخطرات العاقل وفكره
لا يتجاوز ذلك وبذلك جاءت الشرائع ومصالح الدنيا والآخرة
لا تقوم الا على ذلك واعلى الفكر واجلها وانفعها ما كان لله
والدار الآخرة فما كان لله فهو انواع احدها الفكر في آياته المنزلة
وتعقلها

وتعقلها وفهم مراد الله منها ولذلك انزلها الله لا لمجرد تلاوتها بل
التلاوة وسيلة قال بعض السلف انزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا
الثاني الفكر في آياته المشهودة والاعتبار بها والاستدلال بها على اسمائه
وصفاته وحكمته واحسانه وبره وجوده وقد حض سبحانه عباده على التفكر
في آياته وتدبرها وتعقلها وذم الغافل عن ذلك الثالث الفكر في
آلائه واحسانه وانعامه على خلقه باصناف النعم وسعة رحمته ومغفرته
وحلمه وهذه الانواع الثلاثة تستخرج من القلب معرفة الله ومحبته و
خوفه ورجاءه ودوام الفكر في ذلك مع الذكر يصبغ القلب في المعرفة
والمحبة صبغة الرابع الفكر في عيوب النفس وآفاتها وفي عيوب العمل
وهذه الفكرة عظيمة النفع وهي باب لكل خير وتاثيرها في كسر النفس
الامارة ومتى كسرت عاشت النفس المطمئنة وانتعشت وصار الحكم
لها فحيي القلب ودارت كلمته في مملكته وبث امراءه وجنوده في مصالحه
الخامس الفكر في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله عليه فالعارف
ابن وقته فان اضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فجميع المصالح انما تنشأ
من الوقت وان ضيعه لم يستدركه ابدا قال الشافعي رضي الله عنه
وارضاه صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين احدهما
قولهم الوقت سيف فان قطعته والا قطعك وذكر الكلمة الاخرى

فوقت الانسان هو عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الابدية في النعيم المقيم
ومادة معيشته الضنك في العذاب الاليم وهو يمر اسرع من مر السحاب
فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره وغير ذلك ليس محسوباً
من حياته وان عاش فيه عيش البهايم فاذا قطع وقته في الغفلة و
الشهوة والاماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة فموت
هذا خير له من حياته واذا كان العبد وهو في الصلوة ليس له
من صلاته الا ما عقل فليس له من عمره الا ما كان فيه بالله وله وما عدا
هذه الاقسام من الخطرات والفكر فاما وساوس شيطانية
واما اماني باطلة وخدع كاذبة بمنزلة خواطر المصابين في عقولهم
من السكارى والمحشوشين والموسوسين ولسان حال هولاء يقول
عند انكشاف الحقايق ان كان منزلتي في الحب عندكم ما قد
لقيت فقد ضيعت ايامي امنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم
احسبها اضغاث احلام واعلم ان ورود الخاطر لا يضر وانما يضر
استدعاؤه ومحادثته فالخاطر كالمار على الطريق فان لم تستدعه
وتركته انصرف عنك وان استدعيته سحرك بحديثه وخدعه وغروره
وهو اخف شيء على النفس الفارغة البطالة واثقل شيء على القلب
والنفس الشريفة السماوية المطمئنة وقد ركب الله سبحانه في الانسان
نفساً

نفساً امارة ونفساً مطمئنة وهما متعاديتان فكلما خف على هذه
ثقل على هذه وكلما التذت به هذه تألمت به الاخرى فليس على
النفس الامارة اشق من العمل لله وايثار رضاه على هواها وليس
لها انفع منه وليس على النفس المطمئنة اشق من العمل لغير الله و
اجابة داعي الهوى وليس عليها امر اضر منه والملك مع هذه
عن يمنة القلب والشيطان مع تلك عن يسرة القلب والحروب
مستمرة لا تضع اوزارها الى ان تستوفي اجلها من الدنيا و
الباطل كله يتحيز مع الشيطان والامارة والحق كله يتحيز مع الملك
والمطمئنة والحروب دول وسجال والنصر مع الصبر ومن صبر وصابر
ورابط واتقى فله العاقبة في الدنيا والاخرة وقد حكم الله حكماً
لا يبدل ابداً ان العاقبة للتقوى والعاقبة للمتقين فالقلب
لوح فارغ والخواطر نقوش تنقش فيه فكيف يليق بالعاقل ان يكون
نقوش لوحه ما بين كذب وغرور وخدع واماني باطلة وسراب
لا حقيقة له فاي حكمة وعلم وهدى تنتقش مع هذه النقوش واذا اراد
ان ينتقش ذلك في لوح قلبه كان بمنزلة كتابة العلم النافع في لوح
مشغول بكتابة ما لا منفعة فيه فان لم يفرغ القلب من الخواطر الردية
لم تستقر فيه الخواطر النافعة فانها لا تستقر الا في محل فارغ كما قيل

اتانی هواها قبل ان اعرف الهوی فصادف قلباً خالیاً فتمکنا ولهذا
کثیر من ارباب السلوک بنوا سلوکهم علی حفظ الخواطر وان لا یمکنوا
خواطراً تدخل قلوبهم حتی تصیر القلوب فارغة قابلة للکشف وظهور
حقایق المعلومات وهولا حفظوا شیاً وغابت عنهم اشیاً فانهم
اخلوا القلب القلوب وان یطرقها خاطر فبقیت فارغة لا شئ
فیها فصادفها الشیطان خالیة فبذر فیها الباطل فی قوالب
اوهمهم انها اعلا الاشیاء واشرفها وعوضهم بها عن الخواطر التی
هی مادة العلم والهدی واذا خلا القلب عن هذه الخواطر
جاء الشیطان فوجد المحل خالیاً فشغله بما یناسب حال صاحبه
حیث لم یستطع ان یشغله فالخواطر السفلیة فشغله بارادة
التجرید والفراغ من الارادة التی لا صلاح للعبد ولا فلاح الا
بان یکون هی المستولیة علی قلبه وهی ارادة مراد الله الامری
الذی یحبه الله ویرضاه وشغل القلب واهتمامه بمعرفته علی
التفصیل به والقیام به وتنفیذه فی الخلق والطرق الی ذلک
والتوصل الیه بالدخول لتنفیذه فیرطلهم الشیطان عن ذلک
بان دعاهم الی ترکه تعطیله من باب الزهد فی خواطر الدنیا
واسبابها واوهمهم ان کمالهم فی ذلک التجرید والفراغ وهیهات

انما الکمال فی امتلاء القلب والسر من الخواطر والارادات والفکر فی
تحصیل مراضی الرب تعالی من العبد ومن الناس والفکر فی طرق ذلک
والتوصل الیه فاکمل الناس اکثرهم خواطر وفکر وارادات لذلک
کما ان انقص الناس اکثرهم خواطر وفکر وارادات لحظوظه وهواه این
کانت والله المستعان وهذا عمر بن الخطاب رضی الله عنه کانت تتزاحم
علیه الخواطر فی مراضی الرب تعالی وربما استعملها فی صلاته وکان عمر
یجهز الجیش وهو فی الصلوة فیکون قد جمع بین الجهاد والصلاة
وهذا من باب عزیز لا یعرفه الا متضلع من العلم عالی الهمة یجب فی
عبادة یتطفل فیها بعبادات شیئ وذلک فضل الله یؤتیه من یشاء.
واما اللفظات فحفظها بان لا یخرج لفظة ضایعة بل لا یتکلم الا بما یرجوا
فیه الربح والزیادة فی دینه فاذا اراد ان یتکلم بالکلمة نظر هل فیها
فائدة او ربح ام لا فان لم یجد فیها ربح امسک عنها وان کان فیها
ربح نظر هل یفوته بها کلمة هی اربح منها فلا یضیعها بهذه وان اردت
ان تستدل علی ما فی القلب فاستدل بحرکة اللسان فانه یطلعک علی ما فی القلب شاء صاحبه ام ابی قال یحیی بن معاذ
القلوب کالقدور تغلی بما فیها والسنتها مغارفها فانظر الرجل
حتی یتکلم فان لسانه یغترف لک مما فی قلبه حلو وحامض وعذب
واجاج وغیر ذلک ویبین لک طعم قلبه اغتراف لسانه ای کما تطعم

بلسانك طعم ما في القدر من الطعام فتدرك العلم بحقيقة كذلك يطعم
ما في قلب الرجل من لسانه فتذوق ما في قلبه من لسانه كما تذوق ما في
القدر بلسانك وفي حديث انس المرفوع لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم
قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وسئل عن اكثر ما يدخل الناس
النار فقال الفم والفرج قال الترمذي حديث صحيح وقد سال معاذ
النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار
فاخبره براسه وعموده وذروة سنامه ثم قال الا اخبرك بملاك
ذلك قال بلى يا رسول الله فاخذ بلسان نفسه ثم قال كف
عليك هذا فقال وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك
امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم او على مناخرهم
الا حصائد السنتهم قال الترمذي حديث صحيح ومن العجب ان الانسان
يهون عليه التحفظ والاحتراز من اكل الحرام والظلم والزنا والسرقة
وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك ويصعب عليه التحفظ من حركة
لسانه حتى ترى الذي يشار اليه بالدين والزهد والعبادة وهو
يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالا ينزل بالكلمة الواحدة منها
ابعد ما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل حال عن الفواحش
والظلم ولسانه يفري في اعراض الاحياء والاموات ولا يبالي

ما يقول

ما يقول واذا اردت ان تعرف ذلك فانظر الى ما رواه مسلم من
حديث جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل
والله لا يغفر الله لفلان فقال الله عز وجل من ذا الذي يتالى علي ان
لا اغفر لفلان قد غفرت له واحبطت عملك فهذا العابد الذي عبد الله
ما شاء ان يعبده احبطت هذه الكلمة الواحدة عمله كله وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه نحو ذلك ثم قال ابو هريرة تكلم بكلمة اوبقت
دنياه واخرته وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها
درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي
بها في جهنم وعند مسلم ان العبد ليتكلم بالكلمة ~~من رضوان الله~~ ما يتبين
بها يزل بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب وعند الترمذي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من حديث بلال بن الحرث المزني ان احدكم
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له
بها رضوانه الى يوم يلقاه وان احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله
ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه
وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث وفي
جامع الترمذي ايضا من حديث انس قال توفي رجل من الصحابة

فقال رجل البشر بالجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علم او لا
تدري انه تكلم فيما يعنيه او بخل بما لا ينقصه وقال حديث حسن وفي لفظ
ان غلاما استشهد يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت
امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا يا بني لك الجنة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما يعنيه ويمنع ما لا يضره
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه يرفعه من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وفي لفظ لمسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فاذا شهد امرا فليتكلم بخير او ليسكت
وذكر الترمذي باسناد صحيح عنه صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله
قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا غيرك قال قل آمنت بالله
ثم استقم قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ
بلسان نفسه ثم هذا وهذا الحديث صحيح وعن ام حبيبة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن آدم
عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله قال الترمذي
حديث حسن وفي حديث اذا اصبح العبد فان الاعضاء كلها تكفر
اللسان تقول اتق الله فانما نحن بك فان استقمت استقمنا وان

اعوججت

اعوججت اعوججنا ولقد رؤي بعض الاكابر من اهل العلم في النوم فسئل عن
حاله فقال انا موقوف على كلمة قلتها قلت ما احوج الناس الى غيث فقيل لي
وما يدريك انا اعلم بمصلحة عبادي وقال الصحابة لخادمه يوما هات السفرة
فنعبث بها ثم قال استغفر الله ما اتكلم بكلمة الا وانا اخطمها وازمها الا
هذه الكلمة خرجت مني بغير خطام ولا زمام او كما قال وايسر حركات الجوارح
حركة اللسان وهي اضرها على العبد واختلف السلف والخلف هل يكتب
جميع ما تلفظ به او الخير والشر فقط على قولين اظهرهما الاول وقال بعض السلف
كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ما كان من ذكر الله وما والاه وكان الصديق
يمسك بلسانه ويقول هذا اوردني الموارد والكلام اسيرك فاذا
خرج من فيك صرت انت اسيره والله عند لسان كل قائل وما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد وفي اللسان آفتان عظيمتان ان
اخلص من احدهما لم يخلص من الاخرى آفة الكلام وآفة السكوت وقد
يكون كل منهما اعظم اثما من الاخرى في وقتها فالساكت عن الحق
شيطان اخرس عاص لله مراء مداهن اذا لم يخف على نفسه والمتكلم
بالباطل شيطان ناطق عاص لله واكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته
فهم بين هذين النوعين واهل الوسط اهل الصراط المستقيم كفوا السنتهم
عن الباطل واطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة فلا يرى احدهم

انه يتكلم بكلمة تذهب عليه ضايعة بلا منفعة فضلاً ان تضره في اخرته
وان العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات امثال الجبال فيجد لسانه
قد هدمها عليه كلها ويأتي بسيئات امثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها
من كثرة ذكر الله وما اتصل به فصل واما الخطوات فيحفظها
بان لا ينقل قدمه الا فيما يرجوا ثوابه فان لم يكن في خطاه مزيد ثواب
فالقعود عنها خير له ويمكنه ان يستخرج من كل مباح يخطوا اليه قربة
ينويها لله فيقع خطاه قربة ولما كانت العثرة عثرتين عثرة الرجل
وعثرة اللسان جاءت احداهما قرينة الاخرى في قوله تعالى وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاماً فوصفهم بالاستقامة في خطواتهم كما جمع بين اللحظات
والخطرات في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
وهذا كله ذكرناه مقدمة بين يدي تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس النار الفم
والفرج وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرء مسلم
الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك
لدينه المفارق للجماعة وهذا الحديث في اقتران الزنا با
لكفر وقتل النفس نظيره الاية التي في الفرقان ونظير حديث
ابن

ابن مسعود وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاكثر وقوعاً من قتل النفس
وقتل النفس اكثر وقوعاً من الذي يليه فالزنا اكثر وقوعاً من قتل النفس
وقتل النفس اكثر وقوعاً من الردة وايضاً فانه انتقال من الاكبر الى
ما هو اكبر منه ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم فان المرأة اذا
زنت ادخلت العار على اهلها وزوجها واقاربها ونكست رؤسهم
بين الناس وان حملت من الزنا فان قتلت ولدها جمعت بين الزنا
والقتل وان حملته الزوج ادخلت على اهله واهلها اجنبياً ليس
منهم فورثهم وليس منهم ورآهم وخلا بهم وانتسب اليهم وليس
منهم الى غير ذلك من مفاسد زناها واما زنا الرجل فانه يوجب
اختلاط الانساب ايضا وافساد المرأة المصونة وتعريضها للتلف و
الفساد ففي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين وان عمرت
القبور في البرزخ والنار في الآخرة فكم في الزنا من استحلال
محرمات وفوات حقوق ووقوع مظالم ومن خاصيته انه يوجب
الفقر ويقصر العمر ويكسوا صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس
ومن خاصيته ايضاً انه يشتت القلب ويمرضه ان لم يمته ويجلب
الهم والحزن والخوف ويباعد صاحبه من الملك ويقربه من الشيطان
فليس بعد مفسدة القتل اعظم من مفسدته ولهذا شرع فيه القتل على

اشنع الوجوه وافحشها واصعبها ولو بلغ العبد ان امرأته او حرمته قتلت
كان اسهل عليه من ان يبلغه انها زنت وقال سعد بن عبادة لو رأيت
رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله
اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن متفق
عليه وفي الصحيح ايضا عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يغار وان
المؤمن يغار وغيرة الله ان يأتي العبد ما حرم عليه وفي الصحيح عنه
صلى الله عليه وسلم لا احد اغير من الله من ذلك حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك
ارسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله
من اجل ذلك اثنى على نفسه وفي الصحيح في خطبته صلى الله عليه
وسلم في صلاة الكسوف انه قال يا امة محمد والله انه لا احد
اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته يا امة محمد والله لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم رفع يديه وقال
اللهم هل بلغت وفي ذكر هذه الكبيرة بخصوصها عقيب الكسوف
سر بديع لمن تأمله وظهور الزنا من امارات خراب العالم
وهو من اشراط الساعة كما في الصحيحين عن انس بن مالك انه قال

لاحدثنكم

لاحدثنكم حديثا لا يحدثكموه احد بعدي ولا سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب
الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة
القيم الواحد وقد جرت سنة الله في خلقه ان عند ظهور الزنا يغضب
سبحانه ويشتد غضبه فلا بد ان يؤثر غضبه في الارض عقوبة
قال عبد الله بن مسعود ما ظهر الزنا والربا في قرية الا اذن الله باهلاكها
ورأى بعض احبار بني اسرائيل ابنا له يغامز امرأة فقال مهلا يا بني
فصرع الاب عن سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقيل له هكذا
غضبت لي لا يكون في جنسك خيرا ابدا وخص سبحانه حد الزنا
من بين الحدود بثلاث خصائص احدها القتل فيه اشنع القتلات
وحيث خففه جمع فيه من العقوبة على البدن بالجلد وعلى القلب
بتغريبه عن وطنه سنة الثاني انه نهى عباده ان تأخذهم بالزناة
رأفة في دينه بحيث تمنعهم من اقامة الحد عليهم وانه سبحانه من رأفته
ورحمته بهم شرع هذه العقوبة فهو ارحم منكم ولم تمنعه رحمته من امره
بهذه العقوبة فلا يمنعكم انتم ما يقوم بقلوبكم من الرأفة من اقامة
امره وهذا وان كان عاما في سائر الحدود ولكن ذكر في حد الزنا
خاصة لشدة الحاجة الى ذكره فان الناس لا يجدون في قلوبهم

من الغلظة والقسوة على الزاني ما يجدون على السارق والقاذف
وشارب الخمر فقلوبهم ترحم الزاني اكثر مما ترحم غيره من ارباب
الجرائم والواقع شاهد بذلك فهوان تاخذهم هذه الرأفة وتحملهم
على تعطيل حد الله وسبب هذه الرحمة ان هذا ذنب يقع من الاشراف
والاوساط والارذال وفي النفوس اقوى الدواعي اليه والمشاركة
فيه كثيرة واكثر اسبابه العشق والقلوب مجبولة على رحمة العاشق وكثير
من الناس يعد مساعدته طاعة وقربة وان كانت المعشوقة محرمة عليه
ولا يستلزم لهذا الامر فانه مستقر عند ما شاء الله من اشباه الانعام
ولقد حكى لنا من ذلك شيء كثير عن ناقصي العقول كالخدام والنساء
وايضا فان هذا ذنب غالب ما يقع من التراضي من الجانبين
فلا يقع فيه العدوان والظلم والاغتصاب ما تنفر النفوس منه
وفيها شهوة غالبة له فيصور ذلك لنفسها فتقوم بها رحمة تمنع
اقامة الحد وهذا من ضعف الايمان وكمال الايمان ان تقوم به
قوة يقيم بها امر الله ورحمة يرحم بها المحدود فيكون موافقا
لربه تعالى في امره ورحمته الثالث انه سبحانه امر ان يكون حدهما
بشهد من المؤمنين فلا يكون خلوة حيث لا يراهما احد وذلك
ابلغ في مصلحة الحد وحكمة الزجر وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة الله سبحانه
لقوم

لقوم لوط بالقذف بالحجارة وذلك لاشتراك الزنا واللواط في
الفحش وفي كل منهما فساد يناقض حكمة الله في خلقه وامره فان في اللواط من المفاسد
ما يفوت الحصر والتعداد ولأن يقتل المفعول به خير له من ان يؤتى فانه يفسد
فسادا لا يرجى له بعده صلاح ابدا ويذهب خيره كله وتمص الارض ماء
الحياء من وجهه فلا يستحي بعد ذلك من الله ولا من خلقه وتعمل في قلبه وروحه
نطفة الفاعل ما يعمل السم في البدن وقد اختلف هل يدخل الجنة مفعول به
على قولين سمعت شيخ الاسلام يحكيهما والذين قالوا لا يدخل الجنة احتجوا
بامور منها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنية فاذا
كان هذا حال ولد الزنا مع انه لا ذنب له في ذلك ولكنه مظنة كل
شر وخبث وهو جدير ان لا يجيء منه خير ابدا لانه مخلوق من نطفة خبيثة
واذا كان الجسد الذي تربى على الحرام النار اولى به فكيف بالجسد المخلوق من
النطفة الحرام قالوا والمفعول به شر من ولد الزنا واخزى واخبث
واوسخ وهو جدير ان لا يوفق لخير وان يحال بينه وبينه وكلما عمل خيرا
قيض له ما يفسده عقوبة له وقل ان ترى من كان كذلك في صغره الا وهو
في كبره شر مما كان ولا يوفق لعلم نافع ولا عمل صالح ولا توبة نصوح والتحقيق
في المسئلة ان يقال ان تاب المبتلى بهذا البلاء واناب ورزق توبة
نصوحا وعملا صالحا وكان في كبره خيرا منه في صغره وبدل سيئاته بحسنات

وعمل غاير ذلك عنه بانواع الطاعات والقربات وغض بصره وحفظ
فرجه عن المحرمات وصدق الله في معاملته فهذا مغفور له وهو من اهل الجنة
فان الله يغفر الذنوب جميعا واذا كانت التوبة تمحوا كل ذنب حتى الشرك
بالله وقتل انبيائه واوليائه والسحر والكفر وغير ذلك فلا تقصر عن
محو هذا الذنب وقد استقرت حكمة الله عدلا وفضلا ان التائب
من الذنب كمن لا ذنب له وقد ضمن الله تعالى لمن تاب من الشرك وقتل النفس
والزنا انه يبدل سيئاته حسنات وهذا حكم عام لكل تائب من كل ذنب
وقد قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فلا يخرج من هذا
العموم ذنب واحد ولكن هذا في حق التائبين خاصة واما مقول
كان في كبره سيئا كما كان في صغره لم يوفق لتوبة نصوح ولا لعمل صالح
ولا استدرك ما فات واحيى ما امات ولا بدل السيئات بالحسنات
فهذا بعيد ان يوفق عند الممات لخاتمة يدخل بها الجنة عقوبة له على
عمله فان الله سبحانه يعاقب على السيئة بسيئة اخرى وتتضاعف
عقوبة السيئات كما يثيب على الحسنة بحسنة اخرى واذا نظرت
الى كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة عقوبة
لهم على اعمالهم السيئة قال الحافظ ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي

رحمه الله

رحمه الله واعلم ان لسوء الخاتمة اعاذنا الله منها اسباب ولها طرق
وابواب واعظمها الاكباب على الدنيا والاعراض عن الاخرة والاقدام
والجرأة على معاصي الله عز وجل وربما غلب على الانسان ضرب من الخطيئة
من المعصية وجانب من الاعراض ونصيب من الجرأة والاقدام فملك قلبه
وسبى عقله واطفى نوره وارسل عليه حجبه فلم ينفع فيه تذكره
ولا نجعت فيه موعظة فربما جاءه الموت على ذلك فسمع النداء من مكان فلم
يتبين المراد ولا علم ما اراد وان كرر عليه الداعي واعاد ويروى ان بعض
رجال الناصر نزل به الموت فجعل ابنه يقول قل لا اله الا الله فقال الناصر
مولاي فاعاد عليه القول ثانيا فاعاد مثل ذلك ثم اصابته غشية
فلما افاق قال الناصر مولاي كان هذا دابه كلما قيل له قل لا اله الا الله قال
الناصر مولاي ثم قال لابنه يا فلان الناصر انما يعرفك بسيفك والقتل القتل
ثم مات قال عبد الحق وقيل لاخر ممن اعرفه قل لا اله الا الله فجعل يقول الدار
الفلانية فيها كذا والبستان افعلوا فيه كذا قال وفيما اذن ابو طاهر السلفي
ان احدث به عنه ان رجلا نزل به الموت فقيل له قل لا اله الا الله فجعل
يقول اين الطريق الى حمام منجاب قال وهذا الكلام له قصة وذلك ان
رجلا كان واقفا بازاء داره وكان بابها يشبه باب هذا الحمام فمرت
به جارية لها منظر فقالت اين الطريق الى حمام منجاب فقال هذا حمام منجاب

فقال هذا حمام منجاب فدخلت الدار ودخل وراها فلما رأت نفسها
في داره وعلمت انه قد خدعها اظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه
وقالت يصلح ان يكون ما نطيب به عيشنا وتقر به عيوننا فقال لها
الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين وخرج وتركها في الدار
ولم يغلقها فاخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد خرجت وذهبت ولم تخنه
في شيء فهام الرجل واكثر الذكر لها وجعل يمشي في الطريق ويقول يا رب
قائلة يوما وقد تعبت كيف الطريق الى حمام منجاب فبينا هو يوما
يقول ذلك واذا بجارية اجابته من طاق قربان هلا جعلت
اذ ظفرت بها حرزا على البيت او قفلا على الباب فازداد هيمانه
واشتد هيجانه ولم يزل على ذلك حتى كان هذا البيت آخر كلامه
من الدنيا قال ويروى ان رجلا علق شخصا واشتد كلفه به وتمكن
حبه من قلبه حتى لما به ولزم الفراش بسببه وتمنع ذلك الشخص عليه
واشتد نفاره فلم تزل الوسائط يمشون بينهما حتى وعده بان
يعوده فاخبر بذلك البائس ففرح واشتد سروره وانجلى غمه
وجعل ينتظره للميعاد الذي ضربه له فبينا هو كذلك اذ جاءه الساعي
بينهما فقال انه وصل معي الى بعض الطريق ورجع فرغبت اليه وكلمته
فقال انه ذكرني ولا ادخل مداخل الريب ولا اعرض نفسي لمواقع التهم

فعاودته

فعاودته فابى وانصرف فلما سمع البائس اسقط في يده وعاد
الى اشد مما كان به وبدت عليه علائم الموت وجعل يقول تلك الحال
اسلم يا راحة العليل ٭ ويا شفا المدنف النحيل ٭ رضاك اشهى
الى فؤادي ٭ من رحمة الخالق الجليل ٭ فقلت له يا فلان اتق الله
قال قد كان فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت
فنعوذ بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة ولقد بكى سفين
الثوري ليلة الى الصباح فلما اصبح قيل له كل هذا خوفا من الذنوب
فاخذ تبنة من الارض وقال الذنوب اهون من هذا وانما ابكي
خوف الخاتمة وهذا من اعظم الفقه ان يخاف الرجل ان تخذله ذنوبه
عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة بالحسنى وقد ذكر الامام احمد عن ابي
الدرداء انه لما احتضر جعل يغمى عليه ثم يفيق ويقرأ ونقلب افئدتهم
وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
فمن هذا خاف السلف من الذنوب ان يكون حجابا بينهم وبين
الخاتمة بالحسنى قال واعلم ان سوء الخاتمة اعاذنا الله منها لا
يكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به ولله الحمد
وانما يكون لمن له فساد في العقيدة او اصرار على الكبائر واقدام على
العظائم فربما غلب ذلك حتى ينزل به الموت قبل التوبة فياخذه

قبل اصلاح الطوية ويصطلم قبل الايمان الانابة فيظفر به الشيطان
عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله
قال انه كان بمصر رجل يلزم مسجدا للاذان والصلاة وعليه بهاء
الطاعة وانوار العبادة فرقي يوما المنارة على عادته للاذان
وكان تحت المنارة دار لنصراني فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار
فافتتن بها فترك الاذان ونزل اليها ودخل الدار عليها فقالت
ما شأنك وما تريد قال اريدك قالت لماذا قال قد سلبت
لبي واخذت بمجامع قلبي قالت لا اجيبك الى ريبة قال اتزوجك
قالت انت مسلم وانا نصرانية وابي لا يزوجني منك قال لها
اتنصر قالت ان فعلت افعل فتنصر الرجل ليتزوجها واقام معهم
في الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقي الى سطح كان في
الدار فسقط منه فمات فلم يظفر بها وفاته دينه

فصل

ولما كانت مفسدة اللواط من اعظم المفاسد كانت عقوبته في
الدنيا والآخرة من اعظم العقوبات وقد اختلف الناس
هل هو اغلظ عقوبة من الزنا والزنا اغلظ عقوبة منه او عقوبتهما
سواء على ثلاثة اقوال فذهب ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب
وخالد بن الوليد وعبد الله بن الزبير ومعمر والزهري وربيعة بن ابي عبد الرحمن

ومالك

ومالك واسحق بن راهويه والامام احمد في اصح الروايتين عنه و
الشافعي في احد قوليه الى ان عقوبته اغلظ من عقوبة الزنا وعقوبته
القتل على كل حال محصنا كان او غير محصن وذهب عطاء بن ابي رباح
والحسن البصري وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وقتاده والاوزاعي
والشافعي في ظاهر مذهبه والامام احمد في الرواية الثانية عنه وابو
يوسف ومحمد الى ان عقوبته وعقوبة الزاني سواء والحكم وابو حنيفة الى
ان عقوبته دون عقوبة الزاني وهو التعزير قالوا لانه معصية من المعاصي
لم يقدر الله ولا رسوله فيه حدا مقدرا فكان فيه التعزير كأكل الميتة
والدم ولحم الخنزير قالوا ولانه وطئ في محل لا تشتهيه الطباع بل ركبها
الله تعالى على النفرة منه حتى الحيوان البهيم فلم يكن فيه حد كوطئ
الحمار وغيره قالوا لانه لا يسمى زانيا لغة ولا شرعا ولا عرفا فلا يدخل
في النصوص الدالة على حد الزانين قالوا وقواعد الشريعة ان المعصية
اذا كان الوازع عنها طبعيا اكتفي بذلك الوازع من الحد واذا كان
في الطباع تقاضيها جعل فيها الحد بحسب اقتضاء الطباع لها ولهذا
جعل الحد في الزنا والسرقة وشرب المسكر دون اكل الميتة والدم
ولحم الخنزير قالوا وطرد هذا انه لا حد في وطئ البهيمة ولا الميتة
وقد جبل الله سبحانه الطباع على النفرة من وطئ الرجل مثله اشد نفرة كما

جبلها على النفرة من استدعاء الرجل من يطاها بخلاف الزنا فان
الداعي فيه من الجانبين قالوا ولان احد النوعين اذا استمتع بشكله
لم يجب عليه الحد كما لو تساحقت المراتان واستمتعت كل واحدة
منهما بالاخرى قال اصحاب القول الاول ليس في المعاصي مفسدة اعظم
من هذه المفسدة وهي تلي مفسدة الكفر وربما كانت اعظم من مفسدة
القتل كما سنبينه ان شاء الله تعالى قالوا ولم يبتل الله سبحانه بهذه الكبيرة
قبل قوم لوط احدا من العالمين وعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها امة غيرهم
وجمع عليهم من انواع العقوبات من الاهلاك وقلب ديارهم
عليهم والخسف بهم ورجمهم بالحجارة من السماء فنكل بهم نكالا
لم ينكله بامة سواهم وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد
الارض تميد من جوانبها اذا عملت عليها وتهرب الملائكة الى
اقطار السموات والارض اذا شاهدوها خشية نزول العذاب
على اهلها فيصيبهم معهم وتعج الارض الى ربها تبارك وتكاد الجبال
تزول عن اماكنها وقتل المفعول به خير له من وطيه فاذا اوطيه
قتله قتلا لانه حاء الحياة معه بخلاف قتله فانه مظلوم شهيد
وربما ينتفع به في آخرته قالوا والدليل على هذا ان الله سبحانه جعل
حد القاتل الى خيرة الولي ان شاء قتل وان شاء عفى وحتم قتل اللوطي

حدا

حدا كما اجمع عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودلت عليه سنة رسول
الله الصحيحة الصريحة التي لا معارض لها بل عليها عمل اصحابه وخلفائه الرا
شدين وقد ثبت عن خالد بن الوليد انه وجد في بعض نواحي العرب
رجلا ينكح كما تنكح المرأة فكتب الى ابي بكر الصديق فاستشار ابو بكر
الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وكان علي ابن ابي طالب اشدهم قولا
فيه فقال ما هذا الا امة من الامم واحدة وقد علمتم ما فعل الله بها ارى
ان يحرق بالنار فكتب ابو بكر الى خالد فحرقه وقال عبد الله بن عباس
ينظر اعلا بناء في القرية فيرمى اللوطي منه منكبا ثم يتبع بالحجارة
واخذ عبد الله بن عباس هذا الحد من عقوبة الله للوطية قوم لوط وابن
عباس يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به رواه اهل
السنن وصححه ابن حبان وغيره واحتج الامام احمد بهذا الحديث
واسناده على شرط البخاري قالوا وثبت انه قال لعن الله من عمل
عمل قوم لوط ولم يجئ عنه لعنة الزاني في حديث واحد وقد لعن جماعة
من اهل الكبائر فلم يتجاوز بهم في اللعنة مرة واحدة وكرر لعن
اللوطية فاكده ثلث مرات واطبق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قتله لم يختلف فيه منهم رجلان وانما اختلفت اقوالهم في صفة
قتله فظن بعض الناس ان ذلك اختلاف منهم في قتله فحكاها

مسئلة نزاع بين الصحابة وهي بينهم مسئلة اجماع لا مسئلة نزاع
قالوا ومن تأمل قوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة و
ساء سبيلا وقوله في اللواط اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها
من احد من العالمين يتبين له تفاوت ما بينهما فانه سبحانه نكر الفاحشة
في الزنا اي فاحشة من الفواحش وعرفها في اللواط وذلك يفيد انه
جامع لمعاني اسم الفاحشة كما تقول زيد الرجل ونعم الرجل زيد
اي اتأتون الخصلة التي استقر فحشها عند كل احد فهي لظهور
فحشها لكل احد وكماله غنية عن ذكرها بحيث لا ينصرف الاسم
الى غيرها وهذا نظير قول فرعون لموسى وفعلت فعلتك التي
فعلت اي الفعلة الشنعاء الظاهرة المعلومة لكل احد ثم اكده
سبحانه شأن فحشها بانها لم يعملها احد من العالمين قبلهم فقال
ما سبقكم بها من احد من العالمين ثم زاد في التأكيد بان صرح
بما تشمئز منه القلوب وتنبو عنه الاسماع وتنفر منه اشد النفرة
الطباع وهو اتيان الرجل رجلا مثله ينكحه كما ينكح الانثى فقال
ائنكم لتأتون الرجال ثم نبه على استغنائهم عن ذلك وان الحامل
لهم عليه ليس الا مجرد الشهوة ولا الحاجة التي لاجلها مال الذكر الى
الانثى من قضاء الوطر ولذة الاستمتاع وحصول المودة والرحمة التي
تنسى

تنسى المرأة لها ابويها وتذكر بعلها وحصول النسل الذي هو حفظ هذا
النوع الذي هو اشرف المخلوقات وتحصين المرأة وقضاء وطرها وحصول
علاقة المصاهرة التي هي اخت النسب وقيام الرجال على النساء وخروج
احب الخلق الى الله من جماعهن كالانبياء والاولياء والمؤمنين ومكاثرة
النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء بامته الى غير ذلك من مصالح النكاح
والمفسدة التي في اللواط تقاوم ذلك كله وتربي عليه بما لا يمكن
حصر فساده ولا يعلم تفصيله الا الله ثم اكد قبح ذلك بان اللوطية
عكسوا فطرة الله التي فطر الله عليها الرجال وقلبوا الطبيعة التي ركبها
الله في الذكور وهي شهوة النساء دون الذكور وقلبوا الامر وعكسوا
الفطرة والطبيعة فأتوا الرجال شهوة من دون النساء ولهذا قلب الله
سبحانه عليهم ديارهم فجعل عاليها سافلها وكذلك قلبوا هم ونكسوا
في العذاب على رؤسهم ثم اكد سبحانه قبح ذلك بان حكم عليهم بالاسراف
وهو مجاوزة الحد فقال بل انتم قوم مسرفون فتأمل هل جاء مثل ذلك
في الزنا واكد سبحانه ذلك عليهم بقوله ونجيناه من القرية التي كانت
تعمل الخبائث ثم اكد عليهم الذم بوصفين في غاية القبح فقال انهم كانوا
قوم سوء فاسقين وسماهم مفسدين في قول نبيهم رب انصرني على القوم
المفسدين وسماهم ظالمين في قول الملائكة لابراهيم انا مهلكوا اهل هذه القرية

ان اهلها كانوا ظالمين فتأمل من عوقب بمثل هذه العقوبات
ومن ذمه الله بمثل هذه المذمات ولما جادل فيهم خليله ابرهيم
الملائكة وقد اخبروه باهلاكهم قيل له يا ابرهيم اعرض عن هذا انه
قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود وتأمل خبث اللوطية
وفرط تمردهم على الله حيث جاؤا بيتهم لوطا لما سمعوا انه قد طرقه
اضياف هم من احسن صورا فاقبل اللوطية اليه يهرعون فلما رآهم
قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فقد اضيافه ببناته يزوجهم بهن
خوفا على نفسه واضيافه من العار الشديد فقال يا قوم هؤلاء
بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل
رشيد فردوا عليه ولكن رد جبار عنيد لقد علمت ما لنا في
بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فنفث نبي الله نفثة مصدور
وخبت من قلب مكروب عميد فقال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن
شديد فنفس له رسل الله وكشفوا له عن حقيقة الحال واعلموه انهم
ليس ممن يوصل اليهم ولا اليه سبيل فلا تخف منهم ولا عقابهم
ودعون عليك فقالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك وبشروه
بما جاؤا به من اوعد له ولقومه من الوعيد المصيب فقالوا فاسر باهلك
بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم
ان

ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فاستبطئ نبي الله موعد هلاكهم وقال
اريد اعجل من هذا فقالت الملائكة اليس الصبح بقريب فوالله ما كان بين هلاك
اعداء الله ونجاة نبيه واوليائه الا ما بين السحر وطلوع الفجر واذا بديارهم قد
اقتلعت من اصولها ورفعت نحو السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب ونهيق
الحمير فبرز المرسوم الذي لا يرد من عند رب جليل الى عبده ورسوله جبريل
بان يقلبها عليهم كما اخبر به في محكم التنزيل فقال عز من قائل فلما جاء امرنا
جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل فجعلهم آية للعالمين
وموعظة للمتقين ونكالا وسلفا لمن شاركهم في اعمالهم من المجرمين وجعل ديارهم
بديار الكافرين ان في ذلك لآية للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك
لآية للمؤمنين اخذهم على غرة وهم نائمون وجاءهم بأسه وهم في سكرتهم
يعمهون فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فانقلبت تلك اللذات آلاما
فاصبحوا بها يعذبون • مآرب كانت في الحياة اهلها • عذابا فصارت
في الممات عذابا • ذهبت اللذات واعقبت الحسرات وانقضت الشهوة
واورثت الشقوة تمتعوا قليلا وعذبوا طويلا رتعوا مرتعا وخيما
فاعقبهم عذابا اليما اسكرتهم خمرة تلك الشهوة فما استفاقوا منها الا في
ديار المعذبين وارقدتهم تلك الغفلة فما استيقظوا الا وهم في منازل
الهالكين فندموا والله اشد الندامة حين لا ينفع الندم وبكوا على ما اسلفوا

بدل الدمع بالدم فلو رأيت الاعلا والاسفل من هذه الطائفة والنار تخرج
من منافذ وجوههم وابدانهم وهم بين اطباق الجحيم وهم يشربون بدل لذيذ
الشراب كوس الحميم ويقال لهم وهم على وجوههم يسحبون ذوقوا ما كنتم
تعملون تكسبون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون
ما كنتم تعملون ولقد قرب الله مسافة العذاب بين هذه الامة وبين اخوانهم
في العمل فقال مخوفا لهم ان نفع الوعيد وما هي من الظالمين ببعيد شعر

فيا ناكحي الذكران يهنيكم البشرى * فيوم معاد الناس ان لكم اجرا * كلوا واشربوا
وازنوا ولوطوا واشربوا فانكم زفافا الى الجنة الحمرا * فاخوانكم قد مهدوا الدار
قبلكم * وقالوا الينا عجلوا لكم البشرى * وها نحن اسلافا لكم في انتظاركم
سيجمعنا الجبار في نار الكبرا * ولا تحسبوا ان الذين نكحتم * يغيبون
عنكم بل ترونهم جهرا * يلعن كل منكم لخليله * ويشقى به المحزون في الكره
الاخرى * يعذب كل منهما بشريكه كما اشتركا في لذة توجب الوزرا *

فصل في الاجوبة عما احتج به من جعل عقوبة هذه الفاحشة
دون عقوبة الزنا اما قولهم انها معصية لم يجعل الله فيها حدا معينا
فجوابه من وجوه احدها ان المبلغ عن الله جعل حد صاحبها القتل
حتما وما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما شرعه عن الله فان
اردتم انه غير ثابت بنص الكتاب لم يلزم من ذلك انتفاء حكمه لثبوته
بالسنة

بالسنة الثاني ان هذا ينتقض عليكم بالرجم فانه انما ثبت بالسنة
فان قلتم بل ثبت بقرآن نسخ لفظه وبقي حكمه قلنا فينتقض عليكم
بحد شارب الخمر الثالث ان نفي دليل المعين لا يستلزم نفي مطلق
الدليل ولا نفي المدلول فكيف وقد قدمنا الدليل الذي يقتضيه غير
ضعيف واما قولكم انه وطي في محل لا تشتهيه الطباع بل ركب الله
الطباع على النفرة منه فهو كوطي الميتة والبهيمة فجوابه من وجوه احدها
انه قياس فاسد الاعتبار مردود بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجماع اصحابه كما تقدم بيانه الثاني قياس من وطي الامرد الجميل الذي
فتنته تربي على كل فتنة على وطي اتان او امراة ميتة من افسد القياس
وهل يعدل احد قط باتان او بقرة او ميتة ~~وليس في العباس~~ في افسد من
~~هذا الثالث ان هذا منتقض بوطي الام والبنت والاخت~~
~~فان النفرة الطبيعية~~ او شيء من ذلك عقل عاشق او اسر قلبه
او استولى على فكره ونفسه وليس في القياس افسد من هذا الثالث
ان هذا منتقض بوطي الام والبنت والاخت فان النفرة الطبيعية
عنه حاصلة مع ان الحد فيه من اغلظ الحدود وفي احد القولين وهو
القتل بكل حال محصنا كان او غير محصن وهذا احدى الروايتين
عن الامام احمد وهو قول اسحق بن راهويه وجماعة من اهل الحديث وقد

روى ابو داود من حديث البراء بن عازب قال لقيت عمي ومعه الراية
فقلت الى اين تريد قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل نكح
امرأة ابيه من بعده ان اضرب عنقه واخذ ماله قال الترمذي هذا حديث
حسن قال الجوزجاني عم البراء اسمه الحرث بن عمرو وفي سنن ابن ماجه من حديث
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقع على ذات محرم فاقتلوه
ورفع الى الحجاج رجل اغتصب اخته على نفسها فقال احبسوه واسئلوا
من هاهنا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا عبد الله بن ابي مطرف
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تخطى حرم المؤمنين فخطوا
وسطه بالسيف وفي هذا دليل على القتل بالتوسط وهذا دليل مستقل
في المسئلة وهو ان من لا يباح بحال فحد وطيه القتل دليله من وقع
على امه وابنته وكذلك يقال من وطئ ذوات المحارم وطى من لا
يباح له وطيه بحال فكان حده القتل كاللوطي والتحقيق ان يستدل
على المسئلتين بالنص والقياس يشهد بصحة كل منهما وقد اتفق
المسلمون على ان من زنا بذات محرمه فعليه الحد وانما اختلفوا
في صفة الحد هل هو القتل بكل حال او حده حد الزاني على قولين فذهب
الشافعي ومالك واحمد في احدى روايتيه الى ان حده حد الزاني
وذهب احمد واسحق وجماعة من اهل الحديث الى ان حده القتل بكل
حال

حال وكذلك اتفقوا كلهم على انه لو اصابها باسم النكاح عالما انه يحد الا ابا
حنيفة وحده فانه راى ذلك شبهة مسقطة للحد ومنازعوه يقولون اذا
اصابها باسم النكاح فقد زاد الجريمة غلظا وشدة فانه ارتكب محذورين
عظيمين محذور الوطى ومحذور العقد فكيف تخفف العقوبة عنه بضم محذور العقد
الى محذور الزنا واما وطى الميتة ففيه قولان للفقهاء وهما في مذهب احدهما
يجب به الحد وهو قول الاوزاعي فان فعله اعظم جرما واكبر ذنبا لانه
انضم الى فاحشته هتك حرمة الميتة **فصل** واما وطى البهيمة
فللفقهاء فيه ثلاث اقوال احدها يؤدب ولا حد عليه وهذا قول
مالك وابي حنيفة والشافعي في احد قوليه وقول اسحق والقول الثاني
ان حكمه حكم الزاني يجلد ان كان بكرا ويرجم ان كان محصنا وهذا قول
الحسن والقول الثالث ان حكمه حكم اللوطي نص عليه احمد فيخرج على
الروايتين في حده هل هو القتل حتما او هو كالزاني والذين قالوا حده القتل
احتجوا بما رواه ابو داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه قالوا ولانه وطى لا
يباح بحال فكان فيه القتل كحد اللوطي ومن لم ير عليه حدا قالوا لم
يصح فيه الحديث ولو صح لقلنا به ولم يحل لنا مخالفته قال اسمعيل ابن سعيد
الشالنجي سألت احمد عن الذي يأتي البهيمة فوقف عندها ولم يثبت

حديث عمرو بن ابي عمرو في ذلك وقال الطحاوي الحديث ضعيف و
ايضاً فراويه ابن عباس وقد افتى بانه لا حد عليه قال ابو داود وهذا
يضعف الحديث ولا ريب ان الزاجر الطبيعي عن اتيان البهيمة اقوى
من الزاجر الطبيعي عن التلوط وليس الامران في طباع الناس سواء
فالحاق احدهما بالآخر فاسد القياس كما تقدم **فصل** واما قياس وطي
الرجل لمثله على تدالك المرأتين فمن افسد القياس اذ لا ايلاج هنا
وانما نظيره مباشرة الرجل الرجل من غير ايلاج على انه قد جاء في
بعض الآثار المرفوعة اذا اتت المرأة المرأة فهما زانيتان ولكن
لا يجب الحد بذلك لعدم الايلاج وان اطلق عليهما اسم الزنا
العام كزنا العين واليد والرجل والفم واذا ثبت هذا فاجمع المسلمون
على ان حكم التلوط مع المملوك كحكمه مع غيره ومن ظن ان تلوط الانسان
بمملوكه جائز واحتج على ذلك بقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين وقاس ذلك على امته المملوكة فهو كافر
يستتاب كما يستتاب المرتد فان تاب والا ضربت عنقه
وتلوط الانسان بمملوكه كتلوطه بمملوك غيره في الاثم والحكم
فصل فان قيل فهل مع هذا دواء لهذا الداء
العضال ورقية لهذا السحر القتال واما الاحتيال لرفع

هذا الخبال وهل من طريق قاصد الى التوفيق وهل يمكن السكران بخمر
الهوى ان يفيق وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل الى سويدائه
وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في برؤه من سودائه ان لامه لائم التذ
بملامه ذكرا لمحبوبه وان عذله عاذل اغراه عذله وسار به في طريق
مطلوبه ينادي عليه شاهد حاله بل لسان قاله **شعر**
وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ۞ متأخر عنه ولا متقدم ۞ وا
هنتني فاهنت نفسي جاهداً ۞ ما من يهون عليك ممن يكرم ۞
اشبهت اعدائي فصرت احبهم ۞ اذا كان حظي منك حظي منهم ۞
اجد الملامة في هواك لذيذة ۞ حباً لذكرك فليلمني اللوم ۞
ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الاول الذي وقع عليه الاستفتاء
والداء الذي طلب له الدواء قيل نعم الجواب من رأس وما انزل
من الله سبحانه داء الا انزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله
والكلام في دواء هذا الداء من طريقين احدهما حسم مادته قبل
حصوله والثاني قلعه بعد نزوله وكلاهما يسير على من يسره الله
عليه ومتعذر على من لم يعنه فان ازمة الامور بيديه فاما الطريق
الاول المانع من حصول هذا الداء فامران احدهما غض البصر كما
تقدم فان النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ومن اطلق لحظاته دامت

حرامه وفي غض البصر عدة منافع احدها انه امتثال لامر الله الذي
هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده فليس للعبد في آخرته انفع
نفع من امتثال اوامر ربه تبارك وتعالى وما سعد من سعد في الدنيا
والاخرة الا بامتثال اوامره وما شقي من شقي في الدنيا والاخرة
بتضييع اوامره الثانية انه يمنع من وصول اثر السهم المسموم الذي لعل
فيه هلاكه الى قلبه الثالثة انه يورث القلب انسا بالله وجمعية
على الله فان اطلاق النظر يفرق القلب ويشتته ويبعده من الله
وليس على القلب شيء اضر من اطلاق البصر فانه يوقع الوحشة
بين العبد وبين ربه الرابعة انه يقوي القلب ويفرحه كما ان
اطلاق البصر يضعفه ويحزنه الخامسة انه يكسب القلب نورا
كما ان اطلاقه يكسبه ظلمة ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقيب
الامر بغض البصر فقال للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ثم قال
اثر ذلك الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
اي مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل اوامره واجتنب
نواهيه واذا استنار القلب اقبلت وفود الخيرات اليه من كل
مكان كما انه اذا اظلم اقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل
مكان فما شئت من بدع وضلالة واتباع هوى واجتناب
هدى

وهدى واعراض عن اسباب السعادة واشتغال باسباب الشقاوة
فان ذلك يكشف له النور الذي في القلب واذا بعد ذلك النور
يبقى صاحبه كالاعمى الذي يحوس في حنادس الظلمات السادسة
انه يورثه فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل والصادق
والكاذب وكان شجاع الكرماني يقول من عمر ظاهره باتباع السنة
وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات
واغتذى بالحلال لم تخط فراسته وكان شجاع هذا لا تخطي فراسته
والله سبحانه وتعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله ومن ترك
شيئا لله عوضه الله خيرا منه فاذا غض بصره عن محارم الله عوضه
بان يطلق نور بصيرته عوضا من حبسه بصره لله ويفتح عليه باب
العلم والايمان والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة التي انما
تنال ببصيرة القلب وضد هذا ما وصف الله به اللوطية من العمه الذي
هو ضد البصيرة فقال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فوصفهم
بالسكرة التي هي فساد العقل وعمه البصيرة وسكرة القلب كما قال
القائل سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى افاقة من به سكران
وقال الاخر قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق اعظم مما
بالمجانين العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون في الحين

السابع انه يورث القلب ثباتا وشجاعة وقوة فيجمع الله له بين
سلطان البصيرة والحجة وسلطان القدرة والقوة كما في الاثر الذي
يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله وضد هذا المتبع لهواه من ذل
النفس وضعتها ومهانتها وخستها وحقارتها ما جعله الله سبحانه
فيمن عصاه كما قال الحسن انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم
البراذين ان ذل المعصية في رقابهم ابى الله الا ان يذل من عصاه
وقد جعل الله سبحانه العز قرين طاعته والذل قرين معصيته فقال
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال ولا تهنوا ولا تحزنوا
وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين والايمان قول وعمل ظاهر وباطن
فقال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه وفي دعاء القنوت انه لا يذل من واليت
ولا يعز من عاديت ومن اطاع الله فقد والاه فيما اطاعه فيه وله من العز
بحسب طاعته ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه وله من الذل
بحسب معصيته الثامنة انه يسد على الشيطان مدخله الى القلب فانه يدخل
مع النظرة وينفذ معها الى القلب اسرع من نفوذ الهواء في المكان
الخالي فيمثل له صورة المنظور اليه ويزينها ويجعلها صنما يعكف عليه القلب
ثم يعده ويمنيه ويوقد عليه على القلب بنار الشهوة ويلقي حطب المعاصي

الذي لم يكن يتوصل اليها بدون تلك الصورة فيصير القلب في اللهيب
فمن ذلك اللهيب تلك الانفاس التي يجد فيها وهج النار وتلك الزفرات
والحرقات فان القلب قد احاطت به النيران من كل جانب فهو وسطها
كالشاة في وسط التنور ولهذا كانت عقوبة اصحاب الشهوات للصور
المحرمة ان جعل لهم في البرزخ تنور من نار واودعت ارواحهم فيه الى يوم
حشر اجسادهم كما اراه الله لنبيه في المنام في الحديث المتفق عليه التاسعة
انه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها واطلاق البصر
يشتته عن ذلك ويحول بينه وبينها فينفرط عليه امره ويقع في
اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا واطلاق النظر يوجب هذه
الامور الثلاثة بحسبه العاشرة ان بين العين والقلب منفذا وطريقا
يوجب انفعال احدهما عن الاخر وانه يصلح بصلاحه ويفسد بفساده
فاذا فسد القلب فسد النظر واذا فسد النظر فسد القلب وكذلك
في جانب الصلاح فاذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد
وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والاوساخ
فلا يصلح لسكنى محبة الله ومعرفته والانابة اليه والانس به والسرور بقربه
وانما يسكن فيه اضداد ذلك فهذه اشارة الى بعض فوائد غض

البصر تطلعك على ما وراها **فصل** الثاني اشتغال القلب بما
يصده عن ذلك ويحول بينه وبين الوقوع فيه وهو اما خوف
مقلق او حب مزعج يمنع خلو القلب من خوف ما فواته اضر عليه من حصول
هذا المحبوب او خوف ما حصوله اضر عليه من فوات المحبوب او محبة
ما هو انفع له وخير له من هذا المحبوب وفواته اضر عليه من فوات
هذا المحبوب لم يجد بداً من عشق الصور وشرح هذا ان النفس لا تترك
محبوباً الا لمحبوب اعلى منه او خشية مكروه حصوله اضر عليها من فوات
هذا المحبوب وهذا يحتاج صاحبه الى امرين ان فقدا او احدهما
لم ينتفع بنفسه احدهما بصيرة صحيحة يفرق بها بين درجات المحبوب
والمكروه فيؤثر اعلى المحبوبين على ادناهما ويحتمل ادنى المكروهين
ليتخلص من اعلاهما وهذا خاصة العقل ولا يعد عاقلاً من كان
بضد ذلك بل قد تكون البهائم احسن حالاً منه الثاني قوة
عزم وصبر يتمكن بهما من هذا الفعل والترك فكثيراً ما يعرف
الرجل قدر التفاوت ولكن يابى له ضعف نفسه وهمته وعزيمته
على ايثار الانفع من خشيته وحرصه ووضاعة نفسه وخسة همته
ومثل هذا لا ينتفع بنفسه ولا ينتفع به غيره وقد منع الله سبحانه
امامة الدين الا من اهل الصبر واليقين فقال تعالى وبقوله يهدي
المهتدون

المهتدون وجعلنا هم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا
يوقنون وهذا هو الذي ينتفع بعلمه وينفع به الناس وضده لا ينتفع
بعلمه ولا ينتفع به غيره فالاول يمشي في نوره ويمشي الناس في نوره
والثاني قد طفى نوره فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه في ظلمته والثالث يمشي
في نوره وحده **فصل** واذا عرفت هذه المقدمة فلا يمكن
ان يجتمع في القلب حب المحبوب الاعلى وعشق الصور ابداً بل هما ضدان
لا يتلاقيان بل لا بد ان يخرج احدهما صاحبه فمن كانت قوة حبه
كلها لله للمحبوب الاعلى الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها
صرفه ذلك عن محبة ما سواه وان لم يحبه الا لاجله ولكونه وسيلة له
الى محبته او قاطعاً له عما يضاد محبته وينقصها والمحبة الصادقة تقتضي
توحيد المحبوب وان لا يشرك بينه وبين غيره في محبته واذا كان
من الخلق يأنف ويغار ان يشرك محبة غيره في محبته ويمقته لذلك
ويبعده ولا يحظيه بقربه ويعده كاذباً في دعوى محبته مع انه ليس يصرف
قوة المحبة اليه فكيف بالحبيب الاعلى الذي لا تنبغي المحبة الا له وحده
وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال ولهذا لا يغفر الله سبحانه
ان يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فمحبة
الصور تفوت محبة ما هو انفع للعبد منها بل تفوت محبة ما ليس له صلاح

ولا نعيم ولا حياة نافعة الا بمحبته وحده، فلينحر احدى المحبتين فانهما
لا يجتمعان في القلب ولا يرتفعان منه بل من اعرض عن محبة الله وذكره
والشوق الى لقائه ابتلى بمحبة غيره فيعذبه بها في الدنيا وفي البرزخ
وفي الآخرة فاما ان يعذبه بمحبة الاوثان او محبة الصلبان او محبة
النيران او محبة المردان او محبة النسوان او محبة الاثمان او محبة العشراء
والخلان او محبة ما دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان فا
لانسان عبد محبوبه كائنا ما كان كما قيل انت القتيل بكل من احببته
فاختر لنفسك في الهوى من يصطفي ممن لم يكن الهه مالكه ومولاه
كان الهه هواه قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله
على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من
بعد الله افلا تذكرون فصل وخاصية التعبد الحب مع
الخضوع والذل للمحبوب فمن احب شيئا وخضع له فقد تعبد قلبه
بل التعبد آخر مراتب الحب ويقال له التتيم ايضا فان اول مراتبه
العلاقة وسميت علاقة لتعلق المحب بالمحبوب قال وعلقت ليلى
وهي ذات تمايم ولم يبد للاتراب من ثديها حجم وقال الآخر
اعلاقة ام الوليد بعد ما افنان رأسك كالثغام المخلس قال تشكى
المحبون الصبابة ليتني تحملت ما يلقون من بينهم وحدي فكانت لقلبي
لذة

لذة الحب كلها فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ثم الغرام وهو لزوم
الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه ومنه سمي الغريم غريما وقد اولع
المتأخرون باستعمال هذا اللفظ في الحب وقل ان تجده في اشعار العرب
ثم الشوق وهو سفر القلب الى المحبوب احث السفر وقد جاء اطلاقه في
حق الرب سبحانه كما في مسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر انه صلى
صلاة فاوجز فيها فقيل له في ذلك فقال اما اني دعوت فيها بدعوات
كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهن اللهم اني اسألك
بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني اذا كانت الحياة خيرا لي
وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم واسألك خشيتك
في الغيب والشهادة واسألك كلمة الحق في الغضب والرضى
واسألك القصد في الفقر والغنى واسألك نعيما لا
ينفد واسألك قرة عين لا تنقطع واسألك برد العيش
بعد الموت واسألك لذة النظر الى وجهك الكريم واسألك
الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم
زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وفي اثر اخر طال
شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم اشد شوقا وهذا
هو المعنى الذي عبر عنه صلى الله عليه وسلم بقوله من احب لقاء الله احب

الله لقاءه وقال بعض اهل البصائر في قوله تعالى من كان يرجو لقاء
الله فان اجل الله لآت لما علم الله سبحانه شوق اوليائه الى لقائه
وان قلوبهم لا تهدأ دون لقائه ضرب لهم اجلاً وموعداً للقاء
تسكن نفوسهم به واطيب العيش والذه على الاطلاق عيش المحبين
المشتاقين فحياتهم هي الحياة الطيبة المذكورة في القرآن قوله
تعالى من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة
ليس المراد الحياة المشتركة بين المؤمنين والكفار والابرار و
البجار من طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح بل ربما زاد
اعداء الله على اوليائه في ذلك اضعافاً مضاعفة وقد ضمن الله
سبحانه لكل من عمل صالحاً ان يحييه حياة طيبة فهو صادق
الوعد الذي لا يخلف وعده واي حياة اطيب من حياة من
اجتمعت همومه كلها وصارت هما واحداً في مرضات الله
ولم يتشعب قلبه بالاقبال على الله واجتمعت ارادته وافكاره
التي كانت منقسمة بكل واد منها شعبة على الله فصار ذكره لمحبوبه
الاعلى وحبه والشوق الى لقائه والانس بقربه هو المستولي عليه وعليه
تدور همومه وارادته وقصوده بل خطرات قلبه فان سكت سكت
بالله وان نطق نطق به وان سمع فبه يسمع وان ابصر فبه يبصر وبه
يبطش

يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن وبه يحيى وبه يموت وبه يبعث
كما في صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى
انه قال ما يتقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي
يتقرب الي النوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع وبي
يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولان سألني لاعطينه ولان استعاذني
لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي
المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه فتضمن هذا الحديث
الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه
والمراد به حصر اسباب محبته في امرين اداء فرائضه والتقرب اليه با
لنوافل واخبر سبحانه ان اداء فرائضه احب ما اليه مما تقرب به المتقربون
ثم بعدها النوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوباً
لله فاذا صار محبوباً لله اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه لله فوق المحبة
الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه
روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه مثله الاعلى
مالكاً لزمام قلبه مستولياً على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق
في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع
بمحبوبه وان ابصر ابصر بمحبوبه وان بطش بطش به وان مشى مشى به فهو في قلبه

ومعه وابنه وصاحبه فالباء هنا باء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها
ولا تدرك بمجرد الأخبار عنها العلم بها فالمسألة حالية لا علمية محضة وإذا
كان المخلوق يجد هذا في محبة المخلوق التي لم يخلق لها ولم يفطر عليها كما قال
بعض المحبين: خيالك في عيني وذكرك في فمي ... ومثواك في
قلبي فأين تغيب. وقال آخر: ومن عجب أني أحن إليهم وأسأل عنهم
من لقيت وهم معي ... وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي
وهم بين أضلعي. وهذا ألطف من قول الآخر: إن قلت غبت فقلبي لا
يصدقني إذ أنت فيه مكان السر لم تغب أو قلت ما غبت قال
الطرف قد كذبا. فقد تحيرت بين الصدق والكذب فليس شيء أدنى إلى المحب من
محبوبه وربما تمكنت منه المحبة حتى يصير أدنى إليه من نفسه بحيث ينسى
نفسه ولا ينساه كما قال: أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل
سبيل. وقال آخر: يراد القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل
وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر فإن هذه الآلات
آلات الإدراك وآلات العقل والسمع والبصر يوردان على القلب الإرادة
والكراهة ويجلبان إليه الحب والبغض فيستعمل اليد والرجل فإذا
كان سمع العبد بالله وبصره بالله كان محفوظا في آلات إدراكه
وكان محفوظا في حبه وبغضه فحفظ في بطشه ومشيه فتأمل كيف اكتفى
بذكر

بذكر السمع والبصر واليد والرجل عن الآلات فإنه إذا كان إدراك السمع
الذي يحصل باختياره تارة وبغير اختياره تارة وكذلك البصر يقع
بغير الاختيار فجأة وكذلك حركة اليد والرجل التي لا بد للعبد منهما
فكيف العبد عنها إلا حيث أمر بها وأيضا فانفعال الآلات عن القلب أتم
من انفعال سائر الجوارح فإنه ترجمانه ورسوله وتأمل كيف حقق تعالى
كون العبد به عند سمعه وبصره وبطشه ومشيه بقوله كنت سمعه وبصره
وبطشه ومشيه وبقوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها تحقيقا لكونه مع عبده وكون
عبده في إدراكاته بسمعه وبصره وحركاته بيده ورجله وتأمل كيف
قال فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وربما يظن الظان أن اللام أدلى
بهذا الموضع إذ هي أدل على الغاية ووقوع هذه الأمور له وذلك
أخص من وقوعها به وهذا من الوهم والغلط إذ ليست الباء
هاهنا لمجرد الاستعانة فإن حركات الأبرار والفجار وإدراكاتهم
إنما هي بمعونة الله لهم وإنما الباء هاهنا للمصاحبة أي إنما يسمع
ويبصر ويبطش ويمشي وأنا صاحبه ومعه كقوله في الحديث الآخر أنا
مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وهذه هي المعية الخاصة
المذكورة في قوله لا تحزن إن الله معنا وقول النبي صلى الله عليه وسلم

ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقوله تعالى وان الله لمع المحسنين وقوله
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله واصبروا ان الله مع
الصابرين وقوله كلا ان معي ربي سيهدين وقوله تعالى لموسى وهارون
انني معكما اسمع وارى فهذه الباء معتقدة بمعنى هذه المعية دون
اللام ولا يتأتى للعبد الاخلاص والصبر والتوكل ونزوله في منازل
العبودية الا بهذه الباء وبهذه المعية فمتى كان العبد بالله
هانت عليه المشاق وانقلبت المخاوف في حقه امانا فبالله يهون
كل صعب ويسهل كل عسير ويقرب كل بعيد وبالله تزول الهموم
والغموم والاحزان فلا هم مع الله ولا غم ولا حزن حيث يفوته معنى
هذه الباء فيصير قلبه حينئذ كالحوت اذا فارق الماء يثب
وينقلب حتى يعود اليه ولما حصلت هذه الموافقة من العبد لربه
في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال
ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني
في مرادي بامتثال اوامري والتقرب الى بمحابي فانا اوافقه في
رغبته ورهبته فيما ان افعله به ويستعيذني ان يناله وقوي
امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في
اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تبارك وتعالى يكره ما يكره

عبده

عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في
اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه
ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها
على احسن احواله ولم يقل لابيه اخرج منها الا وهو يريد ان يعيده اليها
فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه بل لو كان في كل منبت شعرة
من محبة تامة لله لكان بعض ما يستحقه على عبده ۞ نقل فؤادك حيث
شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول ۞ كم منزل في الارض يألفه
الفتى وحنينه ابدا الاول منزل **فصل** ثم التتيم وهو آخر
مراتب الحب وهو تعبد المحب لمحبوبه فقال تيمه الحب اذا عبده ومنه
تيم الله اي عبد الله وحقيقة التعبد الذل والخضوع للمحبوب ومنه
قولهم طريق معبد اي مذلل قد ذللته الاقدام فالعبد هو الذي
ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ولهذا كانت اشرف احوال العبد و
مقاماته هي العبودية فلا منزل له اشرف منها وقد ذكر الله سبحانه
اكرم الخلق عليه واحبهم اليه وهو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية
في اشرف مقاماته وهي مقام الدعوة اليه ومقام التحدي بالنبوة
ومقام الاسراء فقال وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون
عليه لبدا وقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله

وقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي
الاية وفي حديث الشفاعة اذهبوا الى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر فنال مقام الشفاعة بكمال عبوديته وكمال مغفرة الله له والله سبحانه
خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له التي هي اكمل انواع المحبة مع اكمل انواع
الخضوع والذل وهذا هو حقيقة الاسلام وملة ابرهيم التي من رغب
عنها فقد سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب
يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء
اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك
واله اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الها واحدا ونحن له
مسلمون ولهذا كان اعظم الذنوب عند الله الشرك والله لا يغفر ان
يشرك به والشرك بالله الاشراك به في المحبة كما قال تعالى ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا
اشد حبا لله والذين امنوا اشد حبا لله فاخبر سبحانه ان من الناس
من يشرك به فيتخذ من دونه ندا يحبه كما يحب الله واخبر ان الذين امنوا
اشد حبا لله من اصحاب الانداد لله فانهم وان احبوا الله لكن لما
شركوا بينه وبين اندادهم في المحبة ضعفت محبتهم لله والموحدون لله

لما

لما حصلت محبتهم له كانت اشد من محبة اولئك والعدل برب العالمين
والتسوية بينه وبين الانداد هو في هذه المحبة كما تقدم ولما كان مراد
الله من خلقه هو خلوص هذه المحبة له انكر على من اتخذ من دونه وليا
او شفيعا غاية الانكار وجمع ذلك تارة وافراد احدهما عن الاخر
بالانكار زيادة فقال تعالى الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
افلا تتذكرون وقال وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع لعلهم يتقون وقال في انداد
ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا
ولا يعقلون وقال تعالى من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا
ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم فاذا والى
العبد ربه وحده اقام له الشفعاء وعقد له الموالاة بينه وبين
عباده المؤمنين فصاروا اولياءه في الله بخلاف من اتخذ مخلوقا
وليا من دون الله فهذا لون وذلك لون كما ان الشفاعة
الشركية الباطلة لون والشفاعة الحق الثابتة التي انما تنال
بالتوحيد لون وهذا موضع فرقان بين اهل التوحيد واهل الشرك
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والمقصود ان حقيقة العبودية

لاتحصل مع الاشراك في المحبة بخلاف المحبة لله فانها من لوازم العبودية و
موجباتها فان محبة الرسول بل تقديمه في المحبة على النفس والاباء والابناء
لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وكذلك كل حب في الله ولله
كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث من كن فيه وجد
حلاوة الايمان وفي لفظ في الصحيح لا يجد حلاوة الايمان الا من كان
فيه ثلاث خصال ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان
يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يرجع في الكفر بعد اذ انقذه الله
منه كما يكره ان يلقى في النار وفي الحديث الذي في السنن من احب
لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وفي حديث
آخر ما تحاب رجلان في الله الا كان افضلهما اشدهما حبا لصاحبه
فان هذه المحبة من لوازم محبة الله وموجباتها وكلما كانت اقوى
كان اصلها كذلك

فصل

وههنا اربعة انواع من
المحبة يجب التفريق بينها وانما ضل من ضل بعدم التمييز بينها احدها
محبة الله ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه والفوز بثوابه فان المشركين
وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله الثاني محبة ما يحب الله
وهذه هي التي تدخله في الاسلام وتخرجه من الكفر واحب الناس الى
الله اقومهم بهذه المحبة واشدهم فيها الثالث الحب لله وفيه

وهي

وهي من لوازم محبة ما يحب ولا يستقيم محبة ما يحب الا بالحب فيه وله والرابع
المحبة مع الله المحبة الشركية وكل من احب شيئا مع الله لا لله ولا من اجله
ولا فيه فقد اتخذه ندا من دون الله وهو المحبة الطبيعية وهي ميل الانسان
الى ما يلائم طبعه كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة النوم والزوجة
والولد فتلك لا تذم الا اذا الهت عن ذكر الله وشغلت عن محبته كما
قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

فصل

ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لا يبقى في قلب المحب سعة لغير
محبوبه وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه ما وهذا المنصب خاص للخليلين
صلوات الله وسلامه عليهما ابرهيم ومحمد كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله
اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا وفي الصحيح عنه انه قال
لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا
ولكن صاحبكم خليل الله وفي حديث آخر اني ابرأ الى كل خليل
من خلته ولما سأل ابرهيم الولد فاعطيه وتعلق حبه بقلبه فاخذ
منه شعبة غار الحبيب على خليله ان يكون في قلبه موضع لغيره فامره بذبحه
وكان الامر ليكون تنفيذ الامر باعظم ابتلاء وامتحانا ولم يكن المقصود
في ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من قلبه ليخلص القلب للرب تعالى فلما

ابادر الخليل الى الامتثال وقدم محبة ربه على محبة ولده حصل المقصود
فدفع الذبح وفدي بذبح عظيم فان الرب تعالى اذا امر بشئ ثم ابطله
رأساً بل لابد ان يبقى بعضه او بدله كما ابقى شرعية الفدا وكما ابقى
استحباب الصدقة بين يدي المناجاة وكما ابقى الصلوات الخمس
بعد رفع الخمسين وابقى ثوابها وقال لا يبدل القول لدي وهي خمس
وهي خمسون في الاجر **فصل** واما ما يظنه بعض الغالطين
ان المحبة اكمل من الخلة وان ابرهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله
فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة وقد اخبر صلى الله عليه
وسلم ان الله اتخذه خليلاً ونفى ان له خليل غير ربه مع اخباره
بمحبته لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضاً فان الله
سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين
ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين
والشاب التائب حبيب الله هذا من قلة العلم و
الفهم عن الله ورسوله **فصل** وقد تقدم ان العبد
لا يترك ما يحبه ويهواه الا لما يحبه ويهواه لكن يترك اضعفهما
محبة لاقواهما محبة كما انه يفعل ما يكرهه لحصول ما محبته اقوى عنده من
كراهة ما يفعله وتقدم ان خاصة العقل ايثار اعلى المحبوبين

على ادنا

14

على ادناهما وايسر المكروهين على اقواهما وتقدم ان هذا كمال قوة
الحب والبغض ولا يتم له هذا الا بامرين قوة الادراك وشجاعة
القلب فان التخلف والعمل بخلافه يكون اما لضعف الادراك بحيث انه
لم يدرك مراتب المحبوب والمكروه على ما هي عليه واما لضعف في
النفس وعجز في القلب لا يطاوعه الايثار للاصلح مع علمه بانه الاصلح
فاذا صح ادراكه وقويت نفسه وتشجع قلبه على ايثار المحبوب الاعلى
والمكروه الادنى فقد وفق لاسباب السعادة فمن الناس من يكون
سلطان شهوته اقوى من سلطان عقله وايمانه فيقهر الغالب الضعيف
ومنهم من يكون سلطان ايمانه وعقله اقوى من سلطان شهوته واذا كان
كثير من المرضى يحميه الطبيب عما يضره فيأبى عليه شهوته الا تناوله
ويقدم شهوته على عقله وتسميه الاطباء عديم المروة فهكذا مرضى
القلوب يؤثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم له فاصل الشر من
ضعف الادراك وقوة النفس وشرها وشجاعتها فالحب والارادة
اصل كل فعل ومبداه والبغض والكراهة اصل كل ترك ومبداه
وهاتان القوتان في القلب اصل سعادة العبد وشقاوته ووجود
الفعل الاختياري لا يكون الا بوجود سببه من الحب والارادة واما
عدم الفعل فتارة يكون لعدم مقتضيه وسببه وتارة يكون لوجود

البغض والكراهة والمانع منه وهذا متعلق الامر والنهي وهو يسمى الكف
وهو متعلق الثواب والعقاب وبهذا يزول الاشتباه في مسئلة الترك
هل هو امر وجودي او عدمي والتحقيق انه قسمان فالترك المضاف الى عدم
السبب المقتضي عدمي والمضاف الى السبب المانع من الفعل وجودي

فصل وكل واحد من الفعل والترك الاختياري
انما يؤثره الحي لما فيه من حصول المنفعة التي يلتذ بحصولها وزوال الالم
الذي يحصل له الشفاء بزواله ولهذا يقال شفا صدره وشفا قلبه قال
هي الشفاء لدائي لو ظفرت بها وليس منها شفاء الداء مبذول وهذا
مطلوب يؤثره العاقل بل الحيوان البهيم ولكن يغلط فيه اكثر الناس
غلطا قبيحا فيقصد حصول اللذة بها فيعقب عليه اعظم الالم فيؤلم نفسه
من حيث يظن انه يحصل لذتها ويشفي قلبه بما يعقب عليه غاية المرض
وهذا شان من قصر نظره على العاجل ولم يلاحظ العواقب وخاصة
العقل النظر في العواقب فاعقل الناس من اثر لذته وراحته الاجلة
الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة واسفه الخلق من باع نعيم الابد
وطيب الحياة الدائمة واللذة العظمى التي لا تنغيص فيها ولا نقص بوجه
ما بلذة منقضية مشوبة بالالام والمخاوف وهي سريعة الزوال
وشيكة الانفصال قال بعض العلماء فكرت فيما يسعى فيه العقلاء
فرأيت

فرأيت سعيهم كله في مطلوب واحد وان اختلفت طرقهم في تحصيله رأيتهم
جميعهم انما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم فهذا بالاكل والشرب
وهذا بالتجارة والكسب وهذا بالنكاح وهذا بسماع الغناء والاصوات
المطربة وهذا باللهو واللعب فقلت وهذا المطلوب مطلوب العقلاء ولكن
الطرق كلها غير موصلة اليه بل لعل اكثرها انما يوصل الى ضده ولم ار في
جميع هذه الطرق طريقا موصلة الا الاقبال على الله وحده ومعاملته
وحده وايثار مرضاته على كل شيء فان سالك هذه الطريق ان
فاته حظه من الدنيا فقد ظفر بالحظ العالي الذي لا فوت معه وان حصل
للعبد حصل له كل شيء وان فاته فاته كل شيء وان ظفر بحظه من الدنيا
ناله على اهنأ الوجوه فليس للعبد انفع من هذه الطريق ولا اوصل
منها الى لذته وبهجته وسعادته وبالله التوفيق **فصل**
والمحبوب قسمان محبوب لنفسه ومحبوب لغيره والمحبوب لغيره لا بد ان
ينتهي الى المحبوب لنفسه دفعا للتسلسل المحال وكل ما سوى المحبوب
الحق فهو محبوب لغيره وليس شيء يحب لنفسه الا الله وحده وكل ما سواه
مما يحب فانما محبته تبع لمحبة الرب كمحبة ملائكته وانبيائه واوليائه
فانها تبع لمحبته سبحانه وهي من لوازم محبته فان محبة المحبوب توجب محبة
ما يحبه وهذا موضع يجب الاعتناء به فانه محل فرقان بين المحبة النافعة

لغيره والتي لا تنفع بل تضر فاعلم انه لا يحب لذاته الا من كماله من لوازم ذاته والهيته وربوبيته وغناه من لوازم ذاته وما سواه فانما يبغض ويكره لمنافاته محابه ومضادته وبغضه وكراهته بحسب قوة هذه المنافاة لمحابه كان اشد كراهة من الاعيان والاوصاف والافعال والارادات وغيرها وهذا ميزان عادل يوزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته فاذا رأينا شخصا يحب ما يكرهه الرب ويكره ما يحبه علمنا ان فيه من معاداته بحسب ذلك واذا رأينا الشخص يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه وكلما كان ابغض الى الرب كان ابغض اليه وابعد علمنا ان فيه من موالاة الرب بحسب ذلك فتمسك بهذا الاصل غاية التمسك في نفسك وغيرك فالولاية عبارة عن موافقة المولى الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلوة ولا رياضة والمحبوب لغيره قسمان ايضا احدهما ما يلتذ المحب بادراكه وحصوله كشرب الدواء والثاني ما يتألم به ولكن يحتمله لافضائه الى المحبوب كشرب الدواء الكريه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فاخبر سبحانه ان القتال مكروه لهم مع انه خير لهم لافضائه الى اعظم المحبوب وانفعه والنفوس تحب الراحة والدعة والرفاهية وذلك شر لها

لافضائه

لافضائه الى فوات هذا المحبوب فالعاقل لا ينظر الى لذة المحبوب العاجل فيؤثرها والم المكروه العاجل فيرغب عنه فان ذلك قد يكون شرا له بل قد يجلب عليه غاية الشر الالم ويفوته اعظم اللذة بل عقلاء الدنيا يتحملون المشاق المكروهة لما يعقبهم من اللذة بعدها وان كانت منقطعة فالامور اربعة مكروه يوصل الى مكروه ومكروه يوصل الى محبوب فالمكروه الموصل الى المكروه قد اجتمع فيه داعي الترك من وجهين بقي القسمان الآخران يتجاذبهما الداعيان وهما معترك الابتلاء والامتحان فالنفس تؤثر اقربهما جوارا منها وهو العاجل والعقل والايمان يؤثر انفعهما وابقاهما والقلب بين الداعيين وهو الى هذا مرة والى هذا مرة وها هنا محل الابتلاء شرعا وقدرا فداعي العقل والايمان ينادي كل وقت حي على الفلاح عند الصباح يحمد القوم السرى وفي الممات يحمد العبد التقى فان اشتد ظلام ليل المحبة وتحكم سلطان الشهوة والارادة يقول يا نفس اصبري فما هي الا ساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول

فصل

واذا كان الحب اصل كل عمل من حق وباطل فاصل الاعمال الدينية حب الله ورسوله كما ان اصل الاقوال الدينية حب الله ورسوله وكل ارادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة او شبهة تمنع كمال التصديق فهي معارضة لاصل الايمان او مضعفة له

فان قويت حتى عارضت اصل الحب وكانت كفراً او شركاً وان لم
تعارضه قدحت في كماله واثرت فيه ضعفاً وفتوراً في العزيمة والطلب
وهي تحجب الواصل وتقطع الطالب وتنكس الراغب فلا تصح الموالاة
الا بالمعاداة كما قال تعالى عن امام الحنفاء المحبين انه قال افرأيتم
ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب
العالمين فلم تصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة الا بتحقيق هذه المعاداة
فانه لا ولاء الا لله ولا ولاء الا بالبراءة من كل معبود سواه قال تعالى قد كانت
لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء
منكم ومما تعبدون من دون الله وقال تعالى واذ قال ابراهيم لابيه
وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها
كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون اي جعل هذه الموالاة لله والبراءة
من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الانبياء واتباعهم
بعضهم عن بعض وهي كلمة لا اله الا الله وهي التي ورثها امام
الحنفاء لاتباعه الى يوم القيامة وهي الكلمة التي قامت بها السموات
والارض وفطر عليها جميع المخلوقات وعليها اسست الملة ونصبت
القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد
وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية

من

من عذاب القبر وعذاب النار وهي المنشور الذي لا يدخل احد الجنة الا به
والحبل الذي لا يصل الى الله من لم يتعلق بسببه وهي كلمة الاسلام ومفتاح
دار السلام وبها انقسم الناس الى شقي وسعيد ومقبول ومطرود وانفصلت
دار الكفر عن دار الايمان وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان
وهي العمود الحامل للفرض والسنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل
الجنة وروح هذه الكلمة وسرها افراد الرب جل ثناؤه وتقدست
اسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا اله غيره بالمحبة والاجلال
والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة
فلا يحب سواه وكل ما يحب غيره فانما يحب تبعاً لمحبته وكونه وسيلة
الى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجو سواه ولا يتوكل الا عليه
ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه ولا يحلف الا باسمه ولا ينذر
الا له ولا يتاب الا اليه ولا يطاع الا امره ولا يحتسب الا به ولا
يستعان في الشدائد الا به ولا يلتجأ الا اليه ولا يسجد الا له ولا
يذبح الا له وباسمه ويجتمع ذلك كله في حرف واحد وهو ان لا يعبد
الا اياه بجميع انواع العبادة فهذا تحقيق شهادة ان لا اله الا الله
ولهذا حرم الله على النار من شهد ان لا اله الا الله حقيقة الشهادة
ومحال ان يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال

والذين هم بشهاداتهم قائمون فيكون قائماً بشهادته في ظاهره
وباطنه في قلبه وقالبه فان من الناس من تكون شهادته ميتة
ومنهم من تكون نائمة اذا انبهت ومنهم من تكون الى القيامة
اقرب هي في القلب بمنزلة الروح في البدن فروح ميتة وروح
مريضة الى الموت اقرب وروح الى الحياة اقرب وروح صحيحة قائمة
بمصالح البدن وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها
عبد عند الموت الا وجدت روحه لها روحاً فحياة الروح بحياة
هذه الكلمة ~~فهو في الجنة~~ فيها ان حياة البدن بوجود الروح فيه
وكما ان من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها فمن عاش
على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة المأوى وعيشه اطيب
عيش قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى فالجنة مأواه يوم اللقاء وجنة المعرفة والمحبة والانس
بالله والشوق الى لقائه والفرح به والرضا به وعنه مأوى روحه في
هذه الدار فمن كانت هذه الجنة مأواه ههنا كانت جنة الخلد مأواه
يوم المعاد ومن حرم هذه الجنة فهو لتلك الجنة اشد حرماناً والابرار
في نعيم وان اشتد بهم العيش وضاقت عليهم الدنيا والفجار في جحيم
وان اتسعت عليهم الدنيا قال تعالى من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن

فلنحيينه



فلنحيينه حياة طيبة وطيب الحياة جنة الدنيا وقال تعالى فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقاً حرجاً فاي نعيم اطيب من شرح الصدر واي عذاب امر من
ضيق الصدر وقال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا
وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم فالمؤمن
المخلص لله من اطيب الناس عيشاً وانعمهم بالاً واشرحهم صدراً وا
سرهم قلباً وهذه جنة عاجلة قبل الجنة قال النبي صلى الله عليه
وسلم واذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض
الجنة قال حلق الذكر ومن هذا قوله وقد سألوه عن وصاله
في الصوم فقال لست كهيئتكم اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني
فاخبر صلى الله عليه وسلم ان ما يحصل له من الغذاء عند ربه يقوم
مقام الطعام والشراب الحسي وان ما يحصل له من ذلك امر مختص
به لا يشركه فيه غيره فاذا امسك عن الطعام والشراب فله عنه
عوض يقوم مقامه وينوب منابه ويغني عنه كما قيل ه لها احاديث
من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد ه لها
بوجهك نور تستضيء به ه ومن حديثك في اعقابها حادي ه اذا

شكت من كلاك الصبر اوعدها روح اللقا فتحي عند ميعاد

فصل

وكلما كان وجود الشيء انفع للعبد وهو اليه احوج كان تالمه بفقده اشد
وكلما كان عدمه انفع كان تالمه بوجوده اشد ولا شيء على الاطلاق انفع
للعبد من اقباله على الله واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه وايثاره لمرضاته
بل لا حياة له ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة الا بذلك فعدمه الم شيء له واشده
عذابا عليه وانما يغيب الروح عن شهود هذا الالم والعذاب اشتغالها
بغيره واستغراقها في ذلك الغير فتغيب به عن شهود ما هي فيه من الم
الفوت تواق احب شيء اليها وانفعه لها وهذا بمنزلة السكران
المستوفق في سكرة الذي احترقت داره وامواله واهله واولاده
وهو لاستغراقه في السكر لا يشعر بالم ذلك الفوت وحسرته الا اذا
صحا وكشف عنه غطاء السكر وانتبه من رقدة الخمر فهو اعلم بحاله حينئذ
وهكذا الحال سواء عند كشف الغطاء ومعاينة طلايع الاخرة والاشراف
على مفارقة الدنيا والانتقال منها الى الله بل الالم والحسرة والعذاب
هناك اشد باضعاف مضاعفة فان المصاب في الدنيا يرجو جبر
مصيبته بالعوض ويعلم انه قد اصيب بشيء زايل لا بقاء له فكيف بمن مصيبته
بما لا عوض عنه ولا بد منه ولا نسبة بينه وبين الدنيا جميعها فلو قضي
الله تعالى بالموت من هذه الحسرة والالم لكان العبد جديرا به وان

الموت

الموت ليعود اعظم امنيته واكبر حسراته هذا لو كان الالم على مجرد الفوات
فكيف وهناك من العذاب على الروح والبدن بامور اخرى وجودية
ما يقدر قدره فتبارك من حمل هذا الخلق الضعيف هذين الالمين العظيمين
الذي لا تحملها الجبال الرواسي فاعرض الان على نفسك اعظم محبوب لك في الدنيا
بحيث لا يطيب لك الحياة الا معه فاصبحت فاقدا اخذ منك وحيل بينك
وبين احوج ما كنت اليه كيف يكون حالك هذا كل عوض فكيف لا عوض عنه من كل
شيء اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعته عوض وفي اثر الهي ابن ادم
خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب ابن ادم اطلبني
تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء
وانا احب اليك من كل شيء

فصل

ولما كانت المحبة
جنسا تحته انواع متفاوتة في القدر والوصف كان اغلب ما يذكر فيها
في حق الله تعالى ما يختص به ويليق به من انواعها ولا يصلح الا له وحده مثل
العبادة والانابة ونحوها فان العبادة لا تصلح الا له وحده وكذلك
الانابة وقد تذكر المحبة باسمها المطلق كقوله ومن الناس من يتخذ من دون
الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله واعظم انواع
المحبة المذمومة المحبة مع الله التي يسوي المحب فيها بين محبته لله ومحبته
للند الذي اتخذه من دونه واعظم انواعها المحمودة محبة الله وحده

ومحبة ما احب وهذه المحبة هي اصل السعادة ورأسها التي لا ينجو احد
من العذاب الا بها والمحبة المذمومة الشركية هي اصل الشقاوة ورأسها
التي لا يبقى في العذاب الا اهلها فاهل المحبة الذين احبوا الله وعبدوه وحده
لا شريك له لا يدخل النار ومن دخلها منهم بذنوبه فانه لا يبقى فيها
منهم احد ومدار القرآن على الامر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن المحبة
الاخرى ولوازمها وضرب الامثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص
النوعين وتفصيل اعمال النوعين في الدور الثلثة دار الدنيا ودار
البرزخ ودار القرار فالقرآن في شان النوعين واصل دعوة جميع
الرسل من اولهم والى آخرهم انما هو عبادة الله وحده لا شريك
المتضمنة لكمال حبه وكمال الخضوع والذل له والاجلال والتعظيم ولوازم
ذلك من الطاعة والتقوى وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وفي
صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال والله يا رسول الله
لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال لا يا عمر حتى اكون احب
اليك من نفسك فقال فو الذي بعثك بالحق لانت احب الي من نفسي
قال الآن يا عمر فاذا كان هذا شان محبة عبده ورسوله ووجوب تقديمها

على

على محبة نفس الانسان وولده ووالده والناس اجمعين فما الظن بمحبة
مرسله سبحانه وتعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وافراده سبحانه بها
فان الواجب له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده ووالده بل من
سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب من
ذلك كله الشيء قد يحب من دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب
لذاته من كل وجه الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له ولو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا والتأله هو المحبة والطاعة والخضوع

فصل

وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فاصلها المحبة فهي علتها الفاعلية والغائية
وذلك لان الحركات ثلثة انواع حركة اختيارية ارادية وحركة طبيعية
~~[illegible]~~ وحركة قسرية والحركة الطبيعية اصلها السكون وانما يتحرك الجسم
اذا خرج عن مستقره ومركزه الطبيعي فهو يتحرك للعود اليه وخروجه عن مركزه
ومستقره انما هو بتحريك القاسر المحرك له فله حركة قسرية بمحركه وقاسره
وحركة طبيعية بذاته يطلب بها العود الى مركزه وكلا حركة تابعة للقاسر
المحرك فهو اصل الحركتين والحركة الاختيارية الارادية هي اصل الحركتين
الاخريين وهي تابعة للارادة والمحبة فصارت الحركات الثلاث
تابعة للمحبة والارادة والدليل على انحصار الحركات في هذه الثلاث
ان المتحرك ان كان له شعور بالحركة فهي الارادية وان لم يكن له شعور بها

فاما ان يكون على وفق طبعه الاول والاول هي الطبيعة والثانية
القسرية اذا ثبت هذا فما في السموات والارض وما بينهما من حركات الافلاك
والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والمطر والنبات وحركات
الاجنة في بطون الامهات فانما هي بواسطة الملائكة المدبرات امراً
والمقسمات كما دل على ذلك نصوص القرآن والسنة في غير موضع
والايمان بذلك من تمام الايمان بالملائكة فان الله وكل بالرحم
ملائكة وبالقطر ملائكة وبالنبات ملائكة وبالروح والافلاك
والشمس والقمر والنجوم ووكل بكل عبد اربعة من الملائكة كاتبين
على يمينه وشماله وحافظين من بين يديه ومن خلفه ووكل ملائكة
بقبض روحه وتجهيزها الى مستقرها من الجنة والنار وملائكة بمسا
ئلته وامتحانه في قبره وعذابه هناك ونعيمه وملائكة تسوقه الى
المحشر اذا قام من قبره وملائكة بتعذيبه في النار وتنعيمه في الجنة
ووكل بالجبال ملائكة وبالسحاب ملائكة تسوقه حيث امرت به
وبالمطر ملائكة تنزله بامر الله بقدر معلوم كما شاء الله ووكل
ملائكة بغروس الجنة وعمل آلتها وفرشها وبنائها والقيام عليها
وملائكة بالنار كذلك فاعظم جند الله الملائكة ولفظ الملك
يشعر بانه رسول منفذ لامر غيره وليس لهم من الامر شيء بل الامر كله
لله

لله وهم يدبرون الامر ويقسمونه بامر الله واذنه قال تعالى اخباراً عنهم
وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وما كان ربك نسياً وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني
شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى
واقسم سبحانه بطوائف الملائكة المنفذين لامره في الخليقة كما قال تعالى
والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً وقال
تعالى والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً والناشرات نشراً
فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكراً وقال تعالى والنازعات
غرقاً والناشطات نشطاً والسابحات سبحاً فالسابقات
سبقاً فالمدبرات امراً وقد ذكرنا معنى ذلك وسر الاقسام به
في كتاب ايمان القرآن واذا عرف ذلك فجميع تلك المحبات و
الحركات والارادات والافعال هي عبادة منهم لرب الارض
والسموات وجميع الحركات الطبيعية والقسرية تابعة لها فلولا
الحب ما دارت الافلاك ولا تحركت الكواكب النيرات ولا هبت
الرياح المسخرات ولا مرت السحب الحاملات ولا تحركت الاجنة
في بطون الامهات ولا انصدع عن الحب انواع النبات ولا اضطرب
امواج البحار الزاخرات ولا تحركت المدبرات والمقسمات ولا سبحت

بحمد فاطرها الارضون والسموات وما فيها من انواع المخلوقات فسبحان
من تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا
يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا

فصل واذا عرف ذلك فكل حي له ارادة ومحبة وعمل
بحسبه وكل متحرك فاصل حركته المحبة والارادة ولا صلاح للموجودات
الا بان يكون حركاتها ومحبتها لفاطرها وباريها وحده لا شريك له
كما لا وجود لها الا بابداعه وحده ولهذا قال الله تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا ولم يقل سبحانه لما وجدتا ولكانتا معدومتين
ولا قال لعدمتا اذ هو سبحانه قادر على ان يبقيهما على وجه الفساد
ولكن لا يمكن ان يكونا على وجه الصلاح والاستقامة الا ان يكون
الله وحده هو معبودهما ومعبود ما حواه وسكن فيهما فلو كان
للعالم الهان لفسد نظامه غاية الفساد فان كل اله كان يطلب
مغالبة الآخر والعلو عليه وتفرده دونه بالالهية اذ الشرك
نقص مناف لكمال الالهية والاله لا يرضى لنفسه ان يكون الها
ناقصا فان قهر احدهما الآخر كان هو الاله وحده والمقهور
ليس باله وان لم يقهر احدهما الآخر لزم عجز كل واحد منهما
ونقصه ولم يكن تام الالهية فيجب ان يكون فوقهما اله قاهر
لهما

لهما حاكم عليهما والا ذهب كل منهما بما خلق وطلب كل منهما العلو على الآخر
ففي ذلك فساد السموات والارض ومن فيهن كما هو المعهود من فساد
البلد اذا كان فيه ملكان متكافيان وفساد الزوجة اذا كان لها بعلان
والشركة اذا كان فيه محلان واصل فساد العالم انما هو من اختلاف
الملوك والخلفاء ولهذا لم يطمع اعداء الاسلام في زمن من الازمنة
الا في زمن تعدد ملوك المسلمين واختلافهم وانفراد كل واحد
منهم ببلاد وطلب بعضهم العلو على بعض فصلاح السموات والارض
واستقامتهما وانتظام امر المخلوقات على اتم نظام من اظهر الادلة
على انه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير وان كل معبود من لدن عرشه الى قرار ارضه باطل
الا وجهه الاعلى قال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله
اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله
عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون وقال ام اتخذوا
آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
وقال تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا فقيل المعنى لابتغوا السبيل اليه بالمغالبة والقهر كما يفعل

الملوك بعضهم مع بعض قال شيخنا والصحيح ان المعنى لابتغوا اليه سبيلا
بالتقرب اليه وطاعته فكيف يعبدونهم من دونه وهم لو كانوا الهة
كما يقولون لكانوا عبيدا له قال ويدل على هذا وجوه منها قوله تعالى
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه اي هولاء الذين تعبدونهم من دوني عبادي
كما انتم عبادي يرجون رحمتي ويخافون عذابي فلماذا تعبدونهم
من دوني الثاني انه سبحانه لم يقل لابتغوا عليه سبيلا وهذا اللفظ
انما يستعمل في التقرب كقوله اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
واما في المغالبة فانها تستعمل بعلى كقوله فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن
سبيلا الثالث انهم لم يقولوا ان الهتهم تغالبه وتطلب العلو
عليه وهو سبحانه قد قال قل لو كان معه الهة كما يقولون وهم انما
كانوا يقولون ان الهتهم تبتغي التقرب اليه وتقربهم زلفى اليه فقال
لو كان الامر كما تقولون لكانت الالهة عبيدا له فلماذا تعبدون
عبيده من دونه **فصل** والمحبة لها اثار وتوابع ولوازم
واحكام سواء كانت محموده او مذمومه ونافعه او ضاره من الذوق
والوجد والحلاوة والشوق والانس والاتصال بالمحبوب والقرب منه
والانقطاع عنه والبعد منه والصد والهجران والفرح والسرور والبكاء

والحزن

والحزن وغير ذلك من احكامها ولوازمها والمحبة المحموده هي المحبة النافعة
التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه واخرته وهذه المحبة هي عنوان
سعادته والضاره هي التي تجلب لصاحبها ما يضره في دنياه واخرته
وهي عنوان شقاوته ومعلوم ان الحي العاقل لا يختار محبة ما يضره و
يشقيه انما يصدر عن جهل وظلم فان النفس قد تهوى ما يضرها ولا
ينفعها وذلك ظلم من الانسان لنفسه اما ان يكون جاهلة بحال محبوبها
بان تهوى الشيء وتحبه غير عالمة بما في محبته من المضرة وهذا حال من
اتبع هواه بغير علم واما عالمة بما في محبته من المضرة لكن تؤثر هواها
على علمها وقد تتركب محبتها امرين اعتقاد فاسد وهوى مذموم
وهذا حال من اتبع الظن وما تهوى به الانفس فلا تقع المحبة الفاسدة
الا من اعتقاد فاسد او هوى غالب او تتركب من ذلك واعان
بعضه بعضا فتتفق شبهة تشتبه بها الحق والباطل يزين لها المحبوب
وشهوة تدعوه الى حصوله فيتساعد جيش الشبهة والشهوة على جيش
العقل والايمان والغلبة لاقواهما واذا عرف هذا فتوابع كل نوع
من المحبة له حكم متبوعه فالمحبة النافعة التي هي عنوان سعادة العبد
توابعها كلها نافعة حكمها حكم متبوعها فان بكى نفعه وان حزن نفعه
وان فرح نفعه وان انبسط نفعه فهو يتقلب في منازل المحبة و

واحكامها في مزيد وربح وقوة والمحبة الضاره المذمومة توابعها واثارها
لصاحبها مبعدة له من ربه كيف ما تقلب في اثارها ونزل في منازلها
فهو في خسر وبعد وهذا شأن كل فعل تولد عن طاعة ومعصية فكل
ما تولد عن الطاعة فهو زيادة لصاحبه وقربه وكل ما تولد عن المعصية
فهو خسران لصاحبه وبعد قال الله تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا
نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا
ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع
اجر المحسنين ولا ينفقون صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا
الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فاخبر سبحانه في الاولى
ان المتولد عن طاعاتهم وافعالهم يكتب له به عمل صالح واخبر سبحانه
في الثانية ان اعمالهم الصالحة التي باشروها تكتب لهم انفسها والفرق
بينهما ان الاول ليس من فعلهم وانما تولد عنه فكتب لهم عمل صالح
والثاني نفس اعمالهم فكتب لهم فليتامل فتى المحبة هذا الفصل حق
التامل ليعلم ما له وما عليه شعر سيعلم يوم العرض اي بضاعة
اضاع وعند الوزن ما كان حصلا فصل وكمال المحبة
والارادة اصل كل فعل كما تقدم فهي اصل كل دين سواء كان حقا
او باطلا فان الدين هو من الاعمال الباطنة والظاهرة والمحبة و

الارادة

والارادة اصل ذلك كله والدين هو الطاعة والعبادة والخلق فهو
الطاعة اللازمة الدائمة التي صارت خلقا وعادة ولهذا فسر الخلق بالدين
في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال الامام احمد ابن عيينة قال ابن عباس
لعلى دين عظيم وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت كان خلقه القرآن والدين فيه معنى الاذلال والقهر وفيه معنى
الذل والخضوع والطاعة فلذلك يكون من الاعلى الى الاسفل كما يقال
دنته فدان اي قهرته فذل قال الشاعر هو دان الرباب اذ كرهوا
الدين فاضحوا بعزة وصيال ويكون من الادنى الى الاعلى كما يقال
دنت الله ودنت لله وفلان لا يدين الله دينا ولا يدين لله بدين
فدان الله اي اطاع الله واحبه وخافه ودان له خشع له وذل وانقاد
والدين الباطن لا بد فيه من الحب والخضوع كالعبادة سواء بخلاف الدين
الظاهر فانه لا يستلزم الحب وان كان فيه انقياد وذل في الظاهر
وسمى الله يوم القيامة يوم الدين فانه اليوم الذي يدين فيه الناس
باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وذلك يتضمن جزائهم
وحسناتهم فلذلك فسر بيوم الجزاء ويوم الحساب وقال تعالى
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين اي هلا
تردون الروح الى مكانها ان كنتم غير مربوبين ولا مقهورين ولا مجزيين

وهذه تحتاج الى تفسير فانها سيقت للاحتجاج عليهم في انكارهم
البعث والحساب ولا بد ان يكون الدليل مستلزما للمدلول بحيث
ينتقل الذهن الى المدلول لما بينهما من التلازم فكل ملزوم دليل
على لازمه ولا يجب العكس ووجه الاستدلال انهم اذا انكروا البعث
والجزاء فقد كفروا بربهم وانكروا قدرته وربوبيته وحكمته فاما
ان يقروا بان لهم ربا قاهرا لهم متصرفا فيهم كما يشاء يميتهم
اذا شاء ويحييهم اذا شاء ويامرهم وينهاهم ويثيب محسنهم
ويعاقب مسيئهم واما ان لا يقروا برب هذا شانه فان اقروا
آمنوا بالبعث والنشور والدين الامري والجزائي وان انكروه
وكفروا به فقد زعموا انهم غير مربوبين ولا محكوم عليهم ولا لهم رب
يتصرف فيهم كما اراد فهلا يقدرون على دفع الموت عنهم اذا جاءهم
وعلى رد الروح الى مستقرها اذا بلغت الحلقوم وهذا خطاب
للحاضرين عند المحتضر وهم يعاينون موته اي فهلا تردون
روحه الى مكانها ان كان لكم قدرة وتصرف ولستم مربوبين
ولا مقهورين لقاهر قادر يمضي عليكم احكامه وتنفذ فيكم اوامره
وهذا غاية التعجيز لهم اذ تبين عجزهم عن رد نفس واحدة
من مكان الى مكان ولو اجتمع على ذلك الثقلان فيا لها من دالة
داله

داله على ربوبيته سبحانه ووحدانيته وتصرفه في عباده ونفوذ احكامه فيهم
وجريانها عليهم والدين دينان دين شرعي امري ودين حسابي جزائي
وكلاهما لله وحده فالدين كله لله امرا وجزاء والمحبة اصل كل دين من الدينين
فان ما شرعه الله سبحانه وتعالى وامر به فانه يحبه ويرضاه وما نهى عنه فانه
يكرهه ويبغضه لمنافاته لما يحبه ويرضاه فهو يحب ضده فعاد دينه
الامري كله الى محبته ورضاه ودين العبودية انما يقبل اذا كان عن محبة
ورضى قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فهذا الدين قائم بالمحبة وبها شرع
ولاجلها شرع وعليها اسس وكذلك دينه الجزائي فانه يتضمن مجازاة
المحسن باحسانه والمسيء فكل من الامرين محبوب للرب فانهما عدله وفضله
وكلاهما من صفات كماله وهو سبحانه يحب اسماءه وصفاته ويحب من يحبها
وكل واحد من الدينين فهو صراطه المستقيم الذي هو عليه سبحانه فهو على صراط
مستقيم في امره ونهيه وثوابه وعقابه كما قال تعالى اخبارا عن نبيه هود
انه قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ثم اخبر
عن قدرته وقهره لكل ما سواه وذل كل شيء لعظمته فقال ما من دابة الا هو
آخذ بناصيتها فكيف اخاف من ناصيته بيد غيره وهو في قبضته وتحت قهره وسلطانه

دونه وهل هذا الا من اجهل واقبح الظلم ثم اخبر انه سبحانه على صراط مستقيم
في كل ما يقضيه ويقدره فلا يخاف العبد جوره ولا ظلمه فلا يخاف ما دونه
فان ناصيته بيده ولا يخاف جوره ولا ظلمه فانه على صراط مستقيم فهو سبحانه
ماض في عبده حكمه عدل فيه قضاؤه له الملك وله الحمد لا يخرج تصرفه في عباده
عن العدل والفضل ان اعطى واكرم وهدى ووفق فبفضله ورحمته وان
منع واهان واضل وخذل واشقى فبعدله وحكمته وهو على صراط مستقيم في
هذا وهذا وفي الحديث الصحيح ما اصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال
اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض
في حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به
نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت
به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري
وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا اذهب الله همه وغمه وابدله
مكانه فرحا وهذا يتناول حكم الرب الكوني والامري وقضاؤه الذي
يكون باختيار العبد وغير اختياره وكلا الحكمين ماض في عبده وكلا
القضائين عدل فيه فهذا الحديث مشتق من هذه الآية بينهما اقرب
سبب

فصل

ونختم الجواب بفصل يتعلق بعشق الصور
وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة وان كانت اضعاف اضعاف
ما يذكره

ما يذكره ذاكر فانه يفسد القلب بالذات واذا فسد القلب فسدت الارادات
والاقوال والاعمال وفسد ثغر التوحيد كما تقدم وكما سنقرره ايضا ان شاء
الله والله سبحانه انما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس وهما اللوطية
والنساء فاخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به واخبر
عن الحال التي صار اليها يوسف بصبره وعفته وتقواه مع ان الذي ابتلي به امر
لا يصبر عليه الا من صبره الله فان موافقة الفعل بحسب قوة الداعي
وزوال المانع وكان الداعي ههنا في غاية القوة وذلك لوجوه
احدها ما ركبه الله سبحانه في طبع الرجل من ميله الى المرأة كما يميل العطشان
الى الماء والجائع الى الشراب والطعام حتى ان كثيرا من الناس يصبر عن
الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء وهذا لا يذم اذا صادف
حلالا بل يحمد كما في كتاب الزهد للامام احمد من حديث يوسف بن عطية
الصفار عن ثابت عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي
من دنياكم النساء والطيب اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر
عنهن الثاني ان يوسف كان شابا وشهوة الشاب وحدته
اقوى الثالث انه كان عزبا ليس له زوجة ولا سرية تكسر سورة الشهوة
الرابع انه كان في بلاد غربة يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى
له في وطنه بين اهله ومعارفه الخامس ان المرأة كانت ذات منصب

وكمال بحيث ان كل واحد من هاذين الامرين يدعو الى موافقتها السادس
انها غير ممتنعة ولا ابية فان كثيرا من الناس يزيل رغبته في المرأة اباؤها
وامتناعها لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها وكثير من الناس
يزيده الاباء والامتناع ارادة وحبا كما قال الشاعر وزادني كلفا
في الحب ان منعت احب شيء الى الانسان ما منعا فطباع الناس مختلفة
فمنهم من يتضاعف حبه عند بذل المرأة ورغبتها ويضمحل عند ابائها
وامتناعها واخبرني بعض القضاة ان ارادته وشهوته تضمحل عند
امتناع امرأته او سريته وابائها بحيث لا يعاودها ومنهم من يتضاعف
حبه وارادته بالمنع فيشتد شوقه كلما منع ويحصل له من اللذة بالظفر
بالضد بعد امتناعه ونفاره واللذة بادراك المسألة بعد استعصائها
وشدة الحرص على ادراكها السابع انها طلبت وارادت وبذلت
الجهد فكفته مؤنة الطلب وذل الرغبة اليها بل كانت هي الراغبة الذليلة وهو
العزيز المرغوب اليه الثامن انه في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث
يخشى ان تنم عليه ~~هي ولا احد من جهتها فانها~~ لم يطاوعها من اذاها
له فاجتمع داعي الرغبة والرهبة التاسع انها لا يخشى ان تنم عليه هي
ولا احد من جهتها فانها هي الطالبة الراغبة وقد غلقت الابواب
وغيبت الرقباء العاشر انه كان في الظاهر مملوكا في الدار بحيث يدخل

ويخرج

ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه وكان الانس سابقا على الطلب وهو من
اقوى الدواعي كما قيل لامرأة شريفة من اشراف العرب ما حملك على الزنا
قالت قرب الوساد وطول السواد بيتا الحادي عشر انها استعانت عليه
بائمة المكر والاحتيال فارته اياهن وشكت حالها اليهن لتستعين بهن
عليه واستعان هو بالله عليهن فقال والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن
واكن من الجاهلين الثاني عشر انها توعدته بالسجن والصغار وهذا
نوع اكراه اذ هو تهديد من يغلب على الظن وقوع ما هدد به فيجتمع داعي
الشهوة وداعي السلامة من ضيق السجن والصغار الثالث عشر ان
الزوج لم تظهر منه الغيرة والنخوة ما يفرق بينهما ويبعد كلا منهما عن صاحبه
بل كان غاية ما قابلهما به ان قال ليوسف اعرض عن هذا وللمرأة استغفري
لذنبك انك كنت من الخاطئين وشدة الغيرة في الرجل من اقوى
الموانع وهنا لم تظهر منه غيرة ومع هذه الدواعي كلها فآثر مرضاة الله
وخوفه وحمله حبه لله على ان اختار السجن على الزنا فقال رب السجن احب
الي مما يدعونني اليه وعلم انه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه وان ربه
تعالى ان لم يعصمه ويصرف عنه صبا اليهن بطبعه فكان من الجاهلين
وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم
ما يزيد على الف فائدة لعلنا ان وفق الله ان نفردها في مصنف مستقل فصل

والطائفة الثانية الذين حكى الله عنهم العشق هم اللوطية كما قال تعالى
وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هولاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا
الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هولاء بناتى ان كنتم
فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فهذه عشقه محكاه الله سبحانه
عنها حكى عن ارطا نفتين عشق كل منهما ما حرم عليه من الصور ولم يبال
بما فى عشقه من الضرر وهذا داء اعيا الاطباء دواه وعن علمهم
شفاه وهو لعمر الله الداء العضال والسم القتال الذى ما علق بقلب الا عز
وعلى الورى استنقاذه من اساره ولا اشتعلت ناره فى مهجة الا
وصعب على الخلوق تخليصها من ناره وهو اقسام فانه تارة يكون
كفرا لمن اتخذ معشوقه ندا يحبه كما يحب الله فكيف اذا كانت محبته
اعظم من محبة الله فى قلبه فهذا عشق لا يغفر لصاحبه فانه من اعظم
الشرك والله لا يغفر ان يشرك به وانما يغفر بالتوبة الماحية
وعلامة هذا العشق الشركى الكفرى ان يقدم العاشق رضى
معشوقه على رضى ربه واذا تعارض عنده حق معشوقه وحظه
وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه واثر رضاه على
رضاه وبذل المعشوقة النفس ما يقدر عليه وبذل لربه ان بذل اردى
ما عنده واستفرغ وسعه فى مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب اليه
وجعل

وجعل لربه ان اطاعه الفضلة التى تفضل عن معشوقه من ساعاته
فتامل حال اكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك ثم ضع حالهم فى كفة
وتوحيدهم وايمانهم فى كفه وزن وزنا يرضى الله به ورسوله ويطابق
العدل وربما صرح العاشق منهم بان وصل معشوقه احب اليه من توحيد ربه كما
قال العاشق الخبيث يترشفن من فمى رشفات هن احلى من التوحيد
وكما صرح الخبيث الاخر بان وصل معشوقه اشهى اليه من رحمة ربه
فعياذا بك اللهم من هذا الخذلان فقال وصلك اشهى الى فوادى
من رحمة الخالق الجليل ولا ريب ان هذا العشق من اعظم الشرك وكثير
من العشاق يصرح بانه لم يبق فى قلبه موضع لغير معشوقه البتة بل قد
ملك معشوقه عليه قلبه كله فصار عبدا محضا من كل وجه لمعشوقه فقد رضى هذا
من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية مخلوق مثله فان العبودية هى كمال الحب
والخضوع وهذا قد استفرغ قوة حبه وخضوعه وذله المعشوقه فقد اعطاه
حقيقة العبودية ولا نسبة بين مفسدة هذا الامر العظيم وبين مفسدة
الفاحشة فان تلك ذنب كبير لفاعله حكم امثاله ومفسدة هذا العشق
مفسدة الشرك وكان بعض الشيوخ من العارفين يقول لان ابتلى الفاحشة
مع تلك الصورة احب الى ان ابتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبى ويشغله
عن الله فصل ودواء هذا الداء القتال ان يعرف ما ابتلى

به من الداء المضاد للتوحيد اولا ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة
بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة فيه وبكثرة اللجأ والتضرع الى الله سبحانه في صرف ذلك
عنه وان يرجع بقلبه اليه وليس له دواء انفع من الاخلاص لله وهو الدواء الذي
ذكره الله في كتابه حيث يقول كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا
المخلصين فاخبر سبحانه انه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل باخلاصه
فان القلب اذا خلص واخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور فانه انما يتمكن
من قلب فارغ كما قيل فصادف قلبا فارغا فتمكنا وليعلم العاقل ان العقل
والشرع يوجبان تحصيل المصالح وتكميلها واعدام المفاسد وتقليلها
فاذا عرض للعاقل امر يرى فيه مصلحة ومفسدة وجب عليه امران امر علمي
وامر عملي فالعلمي معرفة طلبه الراجح من طرف المصلحة والمفسدة فاذا تبين
له الرجحان وجب عليه ايثار الاصلح له ومن المعلوم انه ليس في عشق الصور
مصلحة دينية ولا دنيوية بل مفسدته الدينية والدنيوية اضعاف اضعاف
ما يقدر فيه من المصلحة وذلك من وجوه احدها الاشتغال بحب المخلوق وذكره
عن حب رب العالمين تعالى وذكره فلا يجتمع في القلب هذا وهذا الا ويقهر
احدهما صاحبه ويكون السلطان والغلبة له الثاني عذاب قلبه بمعشوقه فان
من احب شيئا غير الله عذب به ولا بد فصل فما في الارض
اشقى من محب وان وجد الهوى حلو المذاق ٭ تراه باكيا في كل حين ٭ مخافة
فرقة

او لاشتياق ٭ فيبكي ان نأوا شوقا اليهم ٭ ويبكي ان دنوا حذر الفراق
فتسخن عينه عند الفراق ٭ وتسخن عينه عند التلاقي ٭ الثالث ان
العاشق قلبه اسير في قبضة معشوقه يسومه سوء الهوان ولكن لسكرة العشق لا
يشعر بمصابه فقلبه كعصفورة في كف طفل يسومها حياض الردى والطفل
يلهو ويلعب فعيش العاشق عيش الاسير الموثق وعيش الخلي عيش المسيب
المطلق طليق برأي العين وهو اسير عليل على قطب الهلاك يدور وميت
يرى في صورة الحي غاديا وليس له حتى النشور نشور اخو غمرات ضاع فيهن
قلبه فليس له حتى الممات حضور الرابع ان يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه
فليس شيء اضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور اما مصالح الدين
فانها منوطة بلم شعث القلب واقباله على الله وعشق الصور اعظم شيء
تشعيثا وتشتيتا له واما مصالح الدنيا فهي تبع في الحقيقة لمصالح
الدين فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه فمصالح دنياه اضيع
الخامس ان آفات الدنيا والآخرة اسرع الى عشاق الصور من النار
في يابس الحطب وسبب ذلك ان القلب كلما قرب من العشق وقوي
اتصاله به بعد من الله فابعد القلوب من الله قلوب عشاق الصور
واذا بعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية فان الشيطان
يتولاه ومن تولاه عدوه لم يأله وبالا لم يدع اذا امكنه ايصاله اليه الا

و وصله فما الظن بقلب تمكن منه عدوه واحرص الخلق على غيه وفساده
ويبعد منه وليه ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور الا بقربه وولايته
السادس انه اذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه افسد الذهن
واحدث الوساوس وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم
فلا ينتفعون بها واخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها بل بعضها
مشاهد بالعيان واشرف ما في الانسان عقله وبه يتميز عن سائر الحيوانات
فاذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم بل ربما كان حال الحيوان اصلح
من حاله وهل اذهب عقل مجنون ليلى واضر به الا العشق وربما زاد على
جنون غيره كما قيل قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق اعظم
مما بالمجانين ◦ العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون في
الحين ◦ السابع انه ربما افسد الحواس او بعضها اما فسادا معنويا
او صوريا اما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب فان القلب اذا فسد
فسدت العين والاذن واللسان فيرى القبيح حسنا منه ومن معشوقه
كما في المسند مرفوعا حبك الشيء يعمي ويصم فهو يعمي عين القلب عن رؤية
مساوي المحبوب وعيوبه ولا ترى العين ذلك ويصم اذنه عن الاصغاء الى
العذل فيه فلا تسمع الاذن ذلك والرغبات تستر العيوب والراغب
في الشيء لا يرى عيوبه حتى اذا زالت رغبته فيه ابصر عيوبه فشدة الرغبة
غشاوة

غشاوة على العين تمنع من رؤية الشيء على ما هو به كما قيل هويتك اذ عيني
عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي الومها والداخل في الشيء لا يرى عيوبه والخارج
منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه ولا يرى عيوبه الا من دخل فيه ثم خرج منه و
لهذا كان الصحابة في الدين الاسلام بعد الكفر خيرا من الدين ولدوا في الاسلام
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا ولد في الاسلام
من لم يعرف الجاهلية واما فساده للحواس ظاهرا فانه يمرض البدن وينهكه وربما
ادى الى تلفه كما هو معروف في اخبار من قتلهم العشق وهو ان رجلا رفع الى ابن
عباس وقد كان يوفه شابا قد انتحل حتى صار لحما على عظم فقال ما شان هذا قالوا
به العشق ~~كما تقدم~~ فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة يومه الثامن
ان العشق كما تقدم هو الافراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق على قلب العاشق
حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه فعند
ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوى الحيوانية والنفسانية فتتعطل بتعطيلها
من الافات على البدن والروح ما يعز دواؤه ويتعذر فتتغير افعاله وصفاته ومقاصده
ويختل جميع ذلك فيعجز البشر عن صلاحه كما قيل الحب اول ما يكون لجاجة
تأتي به وتسوقه الاقدار ◦ حتى اذا خاض الفتى لجج الهوى ◦ جاءت امور لا تطاق
كبار ◦ والعشق مباديه سهل حلوة واوسطه هم وشغل قلب وسقم ◦ وآخره عطب
وقتل ◦ ان لم تداركه عناية من الله ◦ كما قيل وعش خاليا فالحب اوله عنا واوسطه

سقم واخره قتل وقال آخر تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق
راى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق والذنب له فهو الجاف وقد قعد تحت
المثل السائر يداك وفوك نفخ فصل والعاشق له ثلث مقامات
ابتداء ومقام توسط ومقام انتها فاما مقام ابتدائه فالواجب عليه فيه مدافعته
بكل ما يقدر عليه اذا كان الوصول الى معشوقه متعذراً قدراً او شرعاً فان عجز عنه
ذلك وابي قلبه الا السفر الى محبوبه وهذا مقام التوسط والانتها فعليه كتمان
ذلك وان لا يفشيه الى الخلق ولا يتشبب بمحبوبه يهتكه بين الناس فيجمع بين
الشرك والظلم فان الظلم في هذا الباب من اعظم انواع الظلم وربما كان اعظم
ضرراً على المعشوق ~~الى وقوع الناس~~ واهله من ظلمه في ماله فانه يعرض المعشوق
بهتكه في عشقه الى وقوع الناس فيه وانقسامهم الى مصدق ومكذب و
اكثر الناس يصدق في هذا الباب بادنى شبهة واذا قيل فلان فعل بفلان
او بفلانة كذبه واحد وصدقه تسعمائة وتسعة وتسعون وخبر العاشق المتهتك
عند الناس في هذا الباب يفيد القطع اليقيني بل اذا اخبرهم المفعول به عن نفسه
كذباً وافتراء في غيره جزموا بصدقه جزماً لا يحتمل النقيض بل لو جمعهما مكان
واحد اتفاقاً لجزموا ان هذا ذلك عن وعد واتفاق بينهما وجزمهم في
هذا الباب على الظنون والتخيل والشبه والاوهام والاخبار والكاذبة كجزمهم
بالحسيات المشاهدة وبذلك وقع الافلاك في الطيبة المطيبة حبيبة رسول الله
صلى

[illegible]

صلى الله عليه وسلم المبراة من فوق سبع سموات بشبهة مجئ صفوان المعطل
بها وحده خلف العسكر حتى هلك من هلك ولولا ان تولى الله سبحانه براءتها
والذب عنها وتكذيب قاذفها ولا كان امر آخر والمقصود في اظهار المبتلى عشق
من لا يحل له الاتصال به من ظلمه واذا ما هو عدوان عليه وعلى اهله وتعريض لتصديق
كثير من الناس ظنونهم فيه فان استعان عليه بمن يستميله اليه اما برغبة ورهبة
تعدى الظلم وانتشر وصار ذلك الواسطة ديوثاً ظالماً واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد لعن الرائش وهو الواسطة بين الراشي والمرتشي في ايصال الرشوة فما الظن
بالديوث الواسطة بين العاشق والمعشوق في الوصلة المحرمة فيتساعد العاشق
والديوث على ظلم المعشوق وظلم غيره ممن يتوقف حصول غرضها على ظلمه في
نفس او مال او عرض فانه كثيراً ما يتوقف المطلوب فيه على قتل نفس يكون
حياتها مانعة من غرضه فكم من قتيل طل دمه بهذا السبب من زوج وسيد
وقريب وكم خببت امرأة على بعلها وجارية وعبد على سيدهما وقد لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك وتبرأ منه وهو من اكبر الكبائر واذا كان النبي صلى
الله عليه وسلم قد نهى ان يخطب الرجل على خطبة اخيه او يستام على سوم اخيه
فكيف بمن يسعى في التفريق بينه وبين امرأته وامته حتى يتصل بهما وعشاق
الصور ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنباً فان طلب العاشق
وصل معشوقه ومشاركة الزوج والسيد ففي ذلك من اثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن

اثم الفاحشة ان لم يربوا عليها ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة
فان التوبة وان اسقطت حق الله فحق العبد باق له المطالبة يوم القيمة فان ظلم
الوالد بافساد ولده وفلذة كبده ومن هو اعز عليه من نفسه وظلم الزوج بافساد
حبيبته والجناية على فراشه اعظم من ظلمه باخذ ماله ولا يعدل ذلك عنده
الا سفك دمه فيا له من ظلم اعظم اثما من فعل الفاحشة فان كان ذلك
حقا لغاز في سبيل الله وقف له الجاني الفاعل يوم القيامة وقيل له
خذ من حسناته ما شئت كما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي فما تظنون يبقى له من حسناته فان
انضاف الى ذلك ان يكون المظلوم جارا او ذا رحم تعدد الظلم وصار
ظلما مؤكدا بقطيعة رحم واذى الجار ولا يدخل الجنة قاطع رحم ولا من لا
يأمن جاره بوائقه فان استعان العاشق على معشوقه بشياطين الانس
اما بسحر او استخدام ونحو ذلك ضم الى الشرك والظلم كفر السحر فان
لم يفعله هو ورضي به كان راضيا بالكفر غير كاره لحصول مقصوده وهذا
ليس ببعيد من الكفر والمقصود ان التعاون في هذا الباب تعاون
على الاثم والعدوان واما ما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر
المتعدي ضرره فامر لا يخفى فانه اذا حصل مقصوده من المعشوق فللمعشوق
اغراض اخر يريد من العاشق اعانته عليها فلا يجد من اعانته بدا فيبقى كل
منهما

منهما يعين الاخر على ظلم من يتصل به من اهله واقاربه وسيده وزوجه والعاشق
يعين المعشوق على ظلم من يكون غرض المعشوق متوقفا على ظلمه فكل منهما يعين الاخر
على اغراضه التي فيها ظلم الناس فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما في القبيح
لتعاونهما على الظلم كما جرت العادة بين العشاق والمعشوقين من اعانة العاشق
لمعشوقه على ما فيه ظلم وبغي وعدوان حتى ربما يسعى له في منصب لا يليق به ولا يصلح
لمثله وفي تحصيل مال من غير حله وفي استطالته على غيره فاذا اختصم معشوقه وغيره
او تشاكيا لم يكن الا في جانب المعشوق ظالما كان او مظلوما هذا الى ما ينضم
الى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على اخذ اموالهم والتوصل بها الى المعشوق
بسرقة او غصب او خيانة او يمين كاذبة او قطع طريق ونحو ذلك وربما
ادى ذلك الى قتل النفس التي حرمها الله ليأخذ ماله يتوصل به الى معشوقه وكل
هذه الافات واضعافها واضعاف اضعافها تنشأ من عشق الصور وتحمل
على الكفر الصريح وقد تنصر جماعة ممن نشأ في الاسلام بسبب العشق كما جرى لبعض
المؤذنين حين ابصر امرأة جميلة على سطح ففتن بها فنزل ودخل عليها وسألها
نفسها فقالت هي نصرانية فان دخلت في ديني تزوجت بك ففعل فرقي
ذلك اليوم على درجة عندهم فسقط منها فمات ذكر هذا عبد الحق في كتاب
العاقبة له واذا اراد النصارى ينصروا الاسير اروه امرأة جميلة وامروها
ان تطمعه في نفسها حتى اذا تمكن حبها من قلبه بذلت له نفسها ان دخل في دينها فهنالك

يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيواة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله
الظالمين ويفعل الله ما يشاء وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق
والمعشوق لصاحبه بمعاونته له على الفاحشة وظلمه لنفسه وصاحبه وظلمها
متعد الى الغير كما تقدم واعظم من ظلمها بالشرك فقد تضمن العشق انواع
الظلم كلها والمعشوق اذا لم يتق الله فانه يعرض العاشق للتلف وذلك منه
بان يطمعه في نفسه ويتزين له ويستميله بكل طريق حتى يستخرج ماله ونفعه
ولا يمكنه من نفسه لئلا يزول عرضه بقضاء وطره منه فهو يسومه سوء
العذاب والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه ولا سيما ان جاد به
بالوصال لغيره فكم للعشق من قتيل الجانبين وكم قد ازال من نعمة
وافقر من غنى واسقط من مرتبة وشتت من شمل وكم افسد من اهل
للرجل وولد فان المراة اذا رأت بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي
معشوقا لنفسها فيصير الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق
وبين العبادة ممن الناس يؤثر هذا ومن الناس من يؤثر هذا فعلى
العاقل ان لا يحكم على نفسه عشق الصور لئلا يؤديه ذلك الى هذه
المفاسد او اكثرها او بعضها فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه المغرور بها
فاذا هلكت فهو الذي اهلكها فلولا تكرار النظر الى وجه معشوقه وطمعه
في وصله لم يتمكن عشقه من قلبه فان اول [illegible] اسباب العشق

الاستحسان

الاستحسان سواء تولد عن نظر او سماع فان لم يقارنه طمع في الوصال
وقارنه الاياس من ذلك لم يحدث له العشق فان اقترن به طمع فصرفه
عن فكره ولم يشتغل قلبه لم يحدث له ذلك فان اطال مع الفكر في محاسن
المعشوق وقارنه خوف ما هو اكبر عنده من لذة وصاله اما خوف
ديني كدخول النار وغضب الجبار واحتقاب الاوزار وغلب هذا
الخوف على ذلك الطمع والفكر لم يحدث له العشق وان فاته هذا
الخوف فقارنه خوف دنيوي كخوف تلاف نفسه وماله وذهاب
جاهه وسقوط مرتبته عند الناس وسقوطه من عين من يعز به
عليه وغلب هذا الخوف لداعي العشق دفعه وكذلك اذا خاف
من فوات محبوب هو احب اليه وانفع له من ذلك المعشوق وقدم
محبته على محبة المعشوق لذلك انجذب اليه القلب بكليته ومالت اليه
النفس كل الميل فان قيل قد ذكرتم افات العشق ومضاره ومفاسده
فهلا ذكرتم منافعه وفوائده التي من جملتها رقة الطبع وترويح النفس
وخفتها وزوال ثقلها ورياضتها وحملها على مكارم الاخلاق من الشجاعة
والكرم والمودة ورقة الحاشية ولطف الجانب وقد قيل ليحيى ابن
معاذ الرازي ان ابنك عشق فلانة فقال الحمد لله الذي صيره الى طبع
الادمي وقال بعضهم داء افئدة الكرام وقال غيره العشق لا يصلح الا

الذي مرداه ظاهره وخليقه طاهرة ولذي لسان فاصل وجنان كامل ولذي
ادب بادع وحسب ناصع وقال آخر العشق يشجع جبان الجبان ويصفي
ذهن الغبي ويسخي كف البخيل ويذل عزة الملوك ويسكن نوافر الاخلاق
وهو انيس من لا انيس له وجليس من لا جليس له وقال آخر العشق يزيل
الاثقال ويلطف الروح ويصفي كدر القلب ويوجب الارتياح لافعال الكرام
كما قال الشاعر سيهلك في الدنيا شفيق عليكم ۞ اذا غاله من جانب الحب غائله
كريم يميت السر حتى كانه ۞ اذا استفهموه عن حديثك جاهله يود بان
يمشي سقيما لعلها ۞ اذا سمعت عنه بشكوى تراسله ۞ ويهتز للمعروف
في طلب العلى ۞ لتحمد يوما عند ليلى شمائله ۞ فالعشق يحمل على مكارم
الاخلاق وقال بعض الحكماء العشق يرد من النفس ويهذب الاخلاق
اظهاره طبع واظهاره تكلف وقال آخر من لم تبتهج نفسه بالصوت الشجي
والوجه البهي فهو فاسد المزاج محتاج الى العلاج وانشدوا في ذلك
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ۞ فكن حجرا من جانب الصخر جلمدا
وقال غيره اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ۞ فما لك من طيب الحياة
نصيب ۞ وقال بعض العشاق لولا العفة والصيانة عفوا لتشرفوا
واعشقوا تظرفوا وقيل لبعض العشاق ما كنت تصنع لو ظفرت بمن
تهوى فقال كنت امنع طرفي بوجهه واروح قلبي بذكره وحديثه واستر منه

مال

ما لا يجب كشفه ولا اصير بقبيح الفعل الى ما ينقض عهده ثم انشد ۞ خلوت به
فاعف عنه تكرما ۞ خوف الديانة لست من عشاقه ۞ كالماء في يد صائم
يلتذه ۞ ظمأ فيصبر عن لذيذ مذاقه ۞ وقال اسحق ابن ابرهيم ارواح العشاق عطرة
لطيفة وابدانهم رقيقة خفيفة نزهتهم المؤانسة وكلامهم يحيي موات القلوب
ويزيد في العقول ولولا العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا وقال آخر العشق
للارواح بمنزلة الغذاء للابدان ان تركته قتلك وان اكثرت منه قتلك
وفي ذلك قيل ۞ خليلي ان الحب فيه لذاذة ۞ وفيه سقام دائم وكروب ۞
على ذلك ما عيش يطيب بغيره ۞ ولا عيش الا بالحبيب يطيب ۞ ولا خير في الدنيا
بغير صبابة ۞ ولا في نعيم ليس فيه حبيب ۞ وذكر الخرائطي عن ابن عشان قال
مر ابو بكر الصديق رضي الله عنه بجارية وهي تقول وهويته من قبل قطع تمائمي
متمايسا مثل القضيب الناعم فسألها احرة انت ام مملوكة قالت بل
مملوكة فقال من هواك فتلكأت فاقسم عليها فقالت وانا التي لعب
الهوى بفؤادها فقتلت بحب محمد بن القاسم فاشتراها من مولاها وبعث
بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن ابي طالب وقال هؤلاء فتن الرجال وكم والله
قد مات بهن كريم وعطب بهن سليم وجاءت عثمان بن عفان جارية تستعدي
على رجل من الانصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت كلفت يا امير المؤمنين
بابن اخيه فما انفك اراعيه فقال له عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او اعطيك

ثمنها من مالي فقال اشهدك يا امير المؤمنين انها له ونحن لا ننكر فساد
العشق الذي يتعلق فعل الفاحشة بالمعشوق وانما الكلام في العشق
العفيف من الرجل الظريف الذي يأبى له دينه وعفته ومروته ان يفسد
ما بينه وبين الله وما بينه وبين معشوقه من الحرام وهذا كعشق السلف
الكرام الائمة الاعلام فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود احد الفقهاء
السبعة عشق حتى اشتهر امره ولم ينكر عليه وعد ظالما من لامه ومن
شعره كتمت الهوى حتى اضر بك الكتم ولامك اقوام ولومهم ظلم فنم عليك
الكاشحون وقبلهم عليك الهوى قديم لو ينفع الكتم فاصبحت كالنهدي
اذ مات حسرة على اثر هند او كمن شفه سقم تجنبت اتيان الحبيب
تأثما الا ان هجران الحبيب هو الاثم فذق هجرها قد كنت تزعم انه رشاد
الا يا ربما كذب الزعم وهذا عمر بن عبد العزيز عشقه لجارية فاطمة بنت عبد
الملك امرأته مشهور وكانت جارية بارعة الجمال وكان معجبا بها وكان
يطلبها من امرأته ويحرص على ان تهبها له فتابى ولم تزل الجارية في نفس عمر
فلما استخلف امرت فاطمة بالجارية فاصلحت وكانت مثلا في حسنها وجمالها
ثم دخلت على عمر وقالت يا امير المؤمنين انك كنت معجبا بجاريتي
فلانة وسالتنيها فابيت عليك والان فقد طابت نفسي لك بها
فلما قالت له ذلك استبان الفرح في وجهه وقال عجلي بها فلما اد
خلتها

ادخلتها عليه ازداد بها عجبا وقال لها القي ثيابك ففعلت ثم قال
على رسلك اخبريني لمن كنت ومن اين صرت لفاطمة فقالت اغرم الحجاج
عاملا له بالكوفة مالا وكنت في رقيق ذلك العامل فاخذني وبعث بي الى
عبد الملك فوهبني لفاطمة قال وما فعل ذلك العامل قالت هلك قال
وهل ترك ولدا قالت قال فما حالهم قالت سيئة فقال شدي عليك
ثيابك واذهبي الى مكانك ثم كتب الى عامله على العراق ان ابعث الى فلان بن فلان
على البريد فلما قدم قال له ارفع الي جميع ما اغرمه الحجاج لابيك فلم يرجع اليه شيئا الا
دفعه اليه ثم امر بالجارية فدفعت اليه ثم قال له اياك واياها فلعل اباك قد كان الم
بها فقال الغلام هي لك يا امير المؤمنين قال لا حاجة لي بها قال فابتعها مني
قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى فلما عزم الفتى على الانصراف بها قالت
اين وجدك بي يا امير المؤمنين قال على حاله لقد زاد ولم تزل الجارية في نفس عمر حتى
مات رحمة الله عليه وهذا ابو بكر محمد الظاهري العالم المشهور في فنون العلوم من الفقه والحديث و
التفسير والادب وله قوله في الفقه وهو من اكابر العلماء وعشقه مشهور قال نفطويه
دخلت عليه في مرضه الذي مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم اورثني ما ترى
فقلت وما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما
النظر المباح والاخر اللذة المحظورة فاما المباح فهو الذي اورثني ما ترى واما اللذة
المحظورة فمنعني منها ما حدثني ابي حدثنا سويد بن سعيد بن علي بن مسهر عن ابي يحيى

القتات عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه من عشق وكتم وعف وصبر غفر له وادخله
الجنة ثم انشد انظر الى السحر يجري في لواحظه وانظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه كانهن نمال دب في عاج ثم انشد ما لهم انكروا
سوادا بخديه ولا ينكرون ورد الغصون ان يكن عيب خده بدد الشعر فعيب
العيون شعر الجفون فقلت له نفيت القياس في الفقه واثبته في الشعر فقال غلبه
الوجد وملكه النفس فدعوا اليه ثم مات من ليلته وبسبب معشوقه صنف كتاب الزهرة
ومن كلامه فيه من يائس ممن يهواه ولم يلبث من وقته سلاه وذلك ان اول
روعات الياس ياتي القلب وهو غير مستعد لها فاما الثانية فتاتي القلب
وقد وطاه لها الروعة الاولى والتقى هو وابو العباس بن شريح في مجلس ابي الحسن
علي بن عيسى الوزير فتناظرا في مسئلة من الايلاء فقال له ابن شريح انت
بان تقول من دامت لحظاته كثرت حسراته احذق منك بالكلام على الفقه
فقال الان ذلك فاني اقول انزه في روض المحاسن مقلتي وامنع نفسي ان تنال
محرما واحمل من ثقل الهوى ما لو انه يصب على الصخر الاصم تهدما رايت الهوى دعوى
من الناس كلهم فلست ارى ودا صحيحا مسلما فقال له ابو العباس ابن
شريح ثم تفخر علي ولو شئت قلت ومطاعم كالشهد في نغماته قد بت امنعه
لذيذ سناته صبا بحسنه وحديثه وانزه اللحظات في خياته حتى
اذا ما الصبح لاح عموده ولي بخاتم ربه وبراءته فقال ابو بكر يحفظ عليه الوزير ما اقر به
حتى

حتى يقيم شاهدين على انه ولى بخاتم ربه وبراءته فقال ابن شريح يلزمني في هذا
ما يلزمك في قولك انزه في روض المحاسن مقلتي وامنع نفسي ان تنال محرما فضحك
الوزير وقال لقد جمعتما لطفا وظرفا وكذلك ابو بكر الخطيب في تاريخه وجاءه يوما
فتيا مضمونها يا ابن داود يا فقيه العراق افتنا في قوابل الاحداق هل عليها
بما اتت من مباح ام حلال لها دم العشاق فكتب الجواب بخط تحت البيتين
عندي جواب مسائل العشاق فاسمعه من قرح الحشا مشتاق لما سال معشوقا
يعذب عاشقا كان المعذب انعم العشاق قال صاحب كتاب منازل الاحباب
شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد صاحب الانشاء وقلت في جواب البيتين على
وزنهما مجيبا للسائل قل لمن جاء سائلا عن لحاظ هن يلعبن في دم العشاق
ما على السيف في الورى من جناح ان ثنى الحد عن دم مهراق وسيوف اللحظ
اولى بان تصفح عما جنت على العشاق انما كل من قتلن شهيدا ولهذا البقي
فناء وهو باق ونظير ذلك فتوى وردت على الشيخ ابي الخطاب محفوظ بن احمد
الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته فصل قل للامام ابي الخطاب
مسئلة جاءت اليك وما خلق سواك لها ماذا على رجل رام الصلاة فمذ
للاديب الذي وافى بمسئلة وفيه ذات حسن فانثني ولها ان تاب ثم
لاحت لخاطره ذات الجمال لها فاجابه تحت سؤاله قل للاديب الذي وافى
بمسئلة سرت فؤادي لما ان اصغيت لها ان التي فتنته عن عبادته

وبيده ذات حسن فانثنى ولهانا ان تاب ثم قضى عنه عبادته فرحمة الله تغشى
من عصى ولها وقال عبد الله بن معمر القيسي حججت سنة ثم دخلت مسجد المدينة لزيارة
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا جالس ذات ليلة بين القبر والمنبر اذ سمعت
انينًا فاصغيت اليه فاذا هو يقول اشجاك نوح حمايم السدر فاهجن
منك بلابل الصدر ام عز نومك ذكر غانية اهدت اليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دنف يشكو السهاد وقلة الصبر اسلمت من يهوى
لحر جوى متوقد كتوقد الجمر فالبدر يشهد انني كلف مغرى بحب شبيهة البدر
ما كنت احسبني اهيم بها حتى بليت وكنت لا ادري ثم انقطع الصوت فلم
ادر من اين جاء واذا به قد اعاد البكاء والانين ثم انشأ اشجاك
من ريا خيال زاير والليل مسود الذوائب عاكر واعتاد مهجتك
الهوى برسيسه واهاج مقلتك الخيال الزائد ناديت ريا والظلام
كانه يم تلاطم فيه موج زاخر والبدر يسري في السماء كانه ملك ترجل
والنجوم عساكر وترى به الجوزاء ترقص في الدجا رقص الحبيب علاه سكر
ظاهر يا ليل طلت على محب ما له الا الصباح مساعد ومؤازر فاجابني
مت حتف انفك واعلمن ان الهوى لهو الهوى الحاضر قال وكنت
قد ذهبت عند ابتدائه بالابيات فلم ينتبه الا وانا عنده فرأيت
شابًا مقتبلًا شبابه قد خرق الدمع في خده خرقين فسلمت عليه فقال
اجلس

اجلس من انت قلت عبد الله بن معمر القيسي قال الك حاجة قلت نعم كنت
جالسًا في الروضة فما راعني الا صوتك فبنفسي افديك فما الذي تجد
فقال انا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري غدوت يومًا الى
مسجد الاحزاب فصليت فيه ثم اعتزلت غير بعيد فاذا بنسوة قد
اقبلن يتهادين مثل القطا واذا في وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة
الملاحة فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك
ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرًا ولا اقتفيت لها اثرًا وانا حيران
انتقل من مكان الى مكان ثم صرخ واكب مغشيًا عليه ثم افاق كانما
صبغت وجنتاه بورس ثم انشد اراكم بقلبي من بلاد بعيدة
فيا هل تروني بالفؤاد على بعد فؤادي وطرفي يأسفان عليكم وعندكم
روحي وذكركم عندي ولست الذ العيش حتى اراكم ولو كنت في الفردوس
في جنة الخلد فقلت يا ابن اخي تب الى ربك واستغفره من ذنبك
فبين يديك هول المطلع فقال ما انا بسائل حتى يؤوب القارضان
ولم ازل معه الى ان طلع الفجر فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله
ان يكشف كربتك قال ارجو ذلك ان شاء الله ببركة طلعتك
فذهبنا حتى اتينا مسجد الاحزاب فسمعته يقول يا للرجال ليوم الاربعاء
اما ينفك يحدث لي بعد النهى طربا ما ان يزال غزال منه يقلقني يا لي

الى مسجد الاحزاب منتقبا ٭ يا خير الناس ان الاجر يمنه وما اتى طالبا ٭ للاجر
محتسبا ٭ لو كان يبقى ثوابا ما اتى صلفا ٭ مضمخا بغيث المسك مختضبا ٭
ثم جلسنا حتى صلينا الظهر واذا بالنسوه قد اقبلن وليست الجاريه فيهن
فوقفن عليه وقلن يا عتبه ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة بالك
قال وما بالها قلن اخذها ابوها وارتحل الى ارض السماوه فسالتهن عن الجاريه
فقلن هي ريا ابنة الغطريف السلمي فرفع عتبه راسه اليهن ٭ وقال خليلي ريا
قد اجد بكورها وسارت الى ارض السماوه عيرها ٭ خليلي اني قد غشيت
من البكاء ٭ فهل عند غيري مقلة استعيرها ٭ فقلت له اني وردت بمال
جزيل اريد به اهل الستر والله لابذلنه امامك حتى تبلغ رضاك وفوق
الرضا فقم بنا الى مسجد الانصار فقمنا وسرنا حتى اشرفنا على ملاء منهم
فسلمت فاحسنوا الرد فقلت ايها الملا ما تقولون في عتبه وابيه قالوا
منه سادات العرب فقلت انه قد رمى بداهيه من الهوى وما اريد منكم
الا المساعده الى السماوه فقالوا سمعا وطاعة فركبنا وركب القوم
معنا حتى اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم الغطريف بنا فخرج مبادرا
فاستقبلنا وقال حييتم بالاكرام فقلنا وانت فحياك الله انا لك
اضياف فقال نزلتم اكرم منزل ثم نادى يا معشر العبيد انزلوا القوم
ففرشت الانطاع والنمارق وذبحت الذبايح فقلنا لسنا بذايقي طعامك
حتى

حتى تقضي حاجتنا فقال وما حاجتكم فقلنا نخطب عقيلتك الكريمه لعتبه
بن الحباب بن المنذر فقال ان التي تخطبونها امرها الى نفسها وانا ادخل
اخبرها ثم دخل مغضبا على ابنته فقالت يا ابتي ما لي ارى في وجهك الغضب
فقال قد ورد الانصار يخطبونك مني فقالت سادة كرام استغفر لهم
النبي صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبه منهم فقال لعتبه بن الحباب فقالت
والله لقد سمعت عن عتبه هذا انه يفي بما وعد ويدرك اذا قصد فقال
اقسمت لا ازوجنك ابدا ولقد نمى الي بعض حديثك معه فقالت ما كان
ذلك ولكن اذا اقسمت فان الانصار لا يردون ردا قبيحا فاحسن لهم
الرد فقال باي شي قالت اغلظ لهم المهر فانهم يرجعون ولا يجيبون
فقال ما احسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال ان فتاه الحي قد اجابت
ولكن اريد مهرا مثلها فمن القايم به فقال عبد الله بن معمر انا فقل ما شيت
فقال الف اوقية من الذهب ومائة ثوب من الابراد وخمسة اكرشه
عنبر فقال عبد الله لك ذلك فهل اجبت فقال اجل قال عبد الله
فانفذت نفرا من الانصار الى المدينه فاتوا بجميع ما طلب ثم صنعت
الوليمة واقمنا على ذلك اياما ثم قال خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين
ثم حملها في هودج وجهزها بثلاثين راحلة من المتاع والتحف فودعناه
وسرنا حتى بقي بيننا وبين المدينه مرحلة واحده خرجت علينا خيل

تريد الغارة احسبها من سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل منهم رجالاً
وجندل آخرين ثم رجع وبه طعنة تفور دماً فسقط الى الارض فاتيتنا
بجده فطرت عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعتنا
الجارية فالقت نفسها عن البعير وجعلت تصيح بحرقة وانشدت

تصبرت لا اني صبرت وانما ۞ اعلل نفسي انها بك لاحقة ۞ فلو انصفت
روحي لكانت الى الردى ۞ امامك من دون الورى لاحقة ۞ فما احد
بعدي وبعدك منصف خليلاً ۞ ولا نفس لنفس موافقة

ثم شهقت وقضت نحبها فاحتفرنا لهما قبراً واحداً ودفناهما فيه ثم رجعت فاقمت سبع
ثم سنين ثم ذهبت الى الحجاز ووردت المدينة فقلت والله لاتين
قبر عتبة ازوره فاتيت القبر فاذا عليه شجرة عليها عصايب حمر وصفر
فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة قالوا شجرة العروسين

ولو لم يكن في العشق من الرخصة المخالفة للتشديد الا الحديث الوارد
بالحسن من الاسانيد وهو حديث سويد بن سعيد بن مسهر عن ابي يحيى القتات
عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه يرفعه من عشق وعف وكتم فمات
فهو شهيد ورواه سويد ايضاً عن ابن مسهر عن هشام عن عروة
عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً ورواه الخطيب عن الازهري عن
المعافى بن زكريا عن قطبة بن الفضل عن احمد بن مسروق عنه ورواه الزبير بن
بكار

بكار عن عبد العزيز الماجشون عن عبد العزيز بن ابي حازم عن ابن ابي نجيح عن
مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا سيد الاولين والاخرين ورسول رب
العالمين نظر الى زينب بنت جحش فقال سبحان مقلب القلوب وكانت
تحت زيد بن حارثة مولاه فلما هم بطلاقها قال اتق الله وامسك عليك
زوجك فلما طلقها زوجها الله سبحانه من رسوله من فوق سبع سموات فكان
هو وليها وولي تزويجها من رسوله وعقد عقد نكاحها فوق عرشه وانزل على
رسول الله واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك
زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه وهذا داود نبي الله لما كان تحته تسع وتسعون امرأة
ثم احب تلك المرأة تزوج بها وكملها المائة وقال الزهري اول حب كان
في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وكان مسروق يسميها
حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين وقال انس مولى
عبد الله بن عمر ارسلني عبد الله بن عمر الى ام سلمة اسألها كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقبل اهله وهو صائم فقالت لا فقال ان عائشة
رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها وهو صائم فقالت
ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا راى عائشة لم يتمالك
عنها وذكر سعد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن ابيه قال كان ابراهيم الخليل عليه

الصلاة والسلام يرووه جبريل في كل علي البراق من شففه به وقلة صبره
وذكر الخرايطي ان عبد الله بن عمر اشترى جارية رومية فكان يحبها حبا شديدا
فوقعت ذات يوم عن بغلة له فجعل يمسح التراب عن وجهها ويقبلها وكانت
تكثر ان تقول له يا بطرون انت قالون يعني مولاه انت جيد ثم انها هربت
منه فوجد عليها وجدا شديدا وقال قد كنت احسبني قالون فانصرفت
فاليوم اعلم اني غير قالون قال ابو محمد بن حزم وقد احب من الخلفاء الراشدين
والائمة المهتدين كثير وقال رجل لعمر بن الخطاب يا امير المومنين رايت امراة
فعشقتها فقال ذاك ما لا يملك فالجواب وبالله التوفيق ان الكلام في هذا
الباب لابد فيه من التمييز بين الواقع والجائز والنافع والضار ولا يحكم
عليه بالذم والانكار ولا بالمدح والقبول من حيث الجملة وانما يتبين
حكمه وينكشف امره بذكر متعلقه والا فالعشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم
ونحن نذكر النافع من الحب والضار والجائز والحرام اعلم ان انفع المحبة
على الاطلاق واوجبها واعلاها واجلها محبة من جبلت القلوب على محبته
وفطرت الخليقة على تالهه وبها قامت الارض والسموات وعليها فطرت
المخلوقات وهي سر شهادة ان لا اله الا الله فان لا اله الذي تالهه
القلوب بالمحبة والاجلال والتعظيم والذل والخضوع وتعبده والعبادة
لا تصلح الا له وحده والعبادة هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل
والشرك

والشرك في هذه العبودية من الظلم الظلم الذي لا يغفره الله والله تعالى يحب
لذاته من جميع الوجوه وما سواه فانها يحب تبعا لمحبته وقد دل على وجوب محبته
سبحانه جميع كتب المنزلة ودعوة جميع رسله وفطرته التي فطر عباده عليها وركب فيهم
من العقول وما اسبغ عليهم من النعم فان القلوب مجبولة مفطورة على محبة من انعم
عليها واحسن اليها فكيف بمن كل الاحسان منه وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده
لا شريك له كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه
تجأرون وتعرف به الى عباده من اسمائه الحسنى وصفاته العلى وما دلت عليه
اثار مصنوعاته من كماله ونهايته وجلاله وعظمته والمحبة لها داعيان الجمال والاجلال
والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك فانه جميل يحب الجمال بل الجمال كله له
والاجلال كله منه فلا يستحق ان لذاته من كل وجه سواه قال تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف يات الله بقوم يحبهم ويحبونه اعزة على المومنين اذلة على
الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يوتيه
من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون
الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين
امنوا فان حزب الله هم الغالبون والولاية اصلها الحب فلا موالاة الا بحب كما
ان العداوة اصلها البغض والله ولي الذين امنوا وهم اولياؤه فهم يوالونه
بمحبتهم وهو يواليهم بمحبته لهم فالله يوالي عبده المومن بحسب محبته له ولهذا انكر

سبحانه على من اتخذ من دونه اولياء بخلاف من والى اولياءه فانه لم يتخذهم من دونه
بل موالاته لهم من تمام موالاته وقد انكر على من يسوى بينه وبين غيره في المحبة
واخبران من فعل ذلك فقد اتخذ من دونه اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا
اشد حبا لله واخبر عن من يسوى بينه وبين الانداد في الحب انهم يقولون
في النار لمعبودهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
وبهذا التوحيد في الحب ارسل الله سبحانه جميع رسله وانزل جميع كتبه واطبقت عليه
دعوة الرسل من اولهم الى آخرهم ولاجله خلق السموات والارض والجنة والنار
فجعل الجنة لاهله والنار للمشركين به واقسم النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يؤمن
عبد حتى يكون هو احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين فكيف بمحبة
الرب جل جلاله وقال لعمر بن الخطاب لا حتى اكون احب اليك من نفسك
اي لا تؤمن حتى تصل محبتك الى هذه الغاية واذا كان النبي اولى بها
من انفسنا في المحبة ولوازمها افليس الرب جل جلاله وتقدست اسماؤه وتبارك
اسمه وتعالى جده اولى بمحبته وعبادته وعباده من انفسهم وكل ما منه الى عبده
المؤمن يدعوه الى محبته ما يحب العبد او يكره فعطاؤه ومنعه ومعافاته
وابتلاؤه وقبضه وبسطه وعدله وفضله واماتته واحياؤه ولطفه
وبره ورحمته واحسانه وستره وعفوه وحلمه وصبره على عبده واجابته لدعائه
وكشف كربه واغاثة لهفته وتفريج كربته من غير حاجة منه اليه بل مع غناه

التام

التام عنه من جميع الوجوه كل ذلك يدعو للقلوب الى تألهه ومحبته بل تمكينه عبده
من معصيته واعانته عليها وستره حتى نقض وطره منها وكلايته وحراسته له وهو
نقض وطره من معصيته بعينه وهو يستعين عليها بنعمه من اقوى الدواعي الى محبته
فلو ان مخلوقا فعل بمخلوق ادنى شئ من ذلك لم يملك قلبه عن محبته فكيف لا يحب
العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن اليه على الدوام بعدد الانفاس مع اساءته
فخيره نازل وشره اليه صاعد يتحبب اليه بنعمه وهو غني عنه والعبد يتبغض اليه
بالمعاصي وهو فقير اليه فلا احسانه وبره وانعامه عليه يصده عن معصيته ولا معصية العبد
ولؤمه يقطع احسان ربه عنه فالام اللؤم وتخلف القلوب عن محبة من هذا شأنه
وتعلقها بمحبة سواه وايضا من تحبه من الخلق ويحبك انما يريدك لنفسه
وانا اريدك لك فكيف لا يستحي العبد كما في الاثر الالهي عبدي كل يريدك
لنفسه وانا اريدك لك فكيف لا يستحي العبد ان يكون ربه له بهذه
المنزلة وهو معرض عنه مشغول بحب غيره وقد استغرق قلبه محبة سواه
وايضا فكل من تعامله من الخلق ان لم يربح عليك لم يعامله والله اعلم لعظم الربح
فالدرهم بعشرة امثاله الى سبع مائة ضعف الى اضعاف كثيرة
والسيئة بواحدة وهي اسرع شئ محوا وايضا فهو سبحانه خلقك لنفسه وخلق
كل شئ لك في الدنيا والآخرة فمن اولى منه باستفراغ الوسع في محبته
وبذل الجهد في مرضاته وايضا فمطالبك بل مطالب الخلق كلهم جميعا

لديه وهو اجود الاجودين واكرم الاكرمين اعطى عبده قبل ان يساله
~~السموات~~ فوق ما يومله يشكر القليل من العمل وينميه ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه
يساله من في السموات والارض كل يوم هو في شان لا يشغله سمع عن سمع
ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين في الدعاء ويحب ان يسال
ويغضب اذا لم يسال يستحي من عبده حيث لا يستحي العبد منه ويستره حيث لا يستر نفسه
ويرحمه حيث لا يرحم نفسه دعاه بنعمه واحسانه واياديه الى كرامته ورضوانه
فابى فارسل رسله في طلبه وبعث معهم عهده ثم نزل سبحانه بنفسه وقال
من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ادعوك للوصل تابى وابعث
رسولي في الطلب انزل اليك بنفسي القاك في النوام وكيف لا تحب
القلوب من لا ياتي بالحسنات الا هو ولا يذهب بالسيئات الا هو
ولا يجيب الدعوات ويقيل العثرات ويغفر الخطيئات ويستر العورات
ويكشف الكربات ويغيث اللهفات وينيل الطلبات سواه فهو احق
من ذكر واحق من شكر واحق من عبد واحق من حمد وانصر من ابتغى و
اراف من ملك واجود من سيل واوسع من اعطى وارحم من استرحم واكرم
من قصد واعز من التجي اليه واكفى من توكل عليه ارحم بعبده من الوالدة بولدها
واشد فرحا بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه
في الارض المهلكة اذا ايس من الحياة ثم وجدها وهو الملك لا شريك له

والفرد

والفرد ولا ند له كل شيء هالك الا وجهه لن يطاع الا باذنه ولن يعصى الا بعلمه
يطاع فيشكر وبتوفيقه ونعمته اطيع ويعصى فيغفر ويعفو وحقه اضيع فهو اقرب
شهيد واجل حفيظ واوفى وفي بالعهد واعدل قايم بالقسط حال دون
النفوس واخذ بالنواصي وكتب الاثار ونسخ الاجال فالقلوب له مفضية
والسر عنده علانية والغيب لديه مكشوف وكل احد اليه ملهوف عنت الوجوه
لنور وجهه وعجزت العقول عن ادراك كنهه ودلت الفطر والادلة كلها
على امتناع مثله وشبهه اشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت له
الارض والسموات وصلحت عليه جميع المخلوقات لا ينام ولا ينبغي له ان ينام
يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل
حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
ما اعتاض باذل حبه لسواه من عوض ولو ملك الوجود بسره

فصل وها هنا امر عظيم يجب على اللبيب الاعتناء به
وهو ان كمال اللذة والسرور والفرح ونعيم القلب وابتهاج الروح تابع
لامرين احدهما كمال المحبوب في نفسه وجماله وانه اولى بايثار المحبة من
كل ما سواه والامر الثاني كمال محبته واستفراغ الوسع في حبه وايثار قربه و
الوصول اليه على كل شيء وكل عاقل يعلم ان اللذة بحصول المحبوب بحسب
قوة محبته فكلما كانت المحبة اقوى كانت لذة المحبة اكمل فلذة من اشتد

ظمآن بادراك الماء الزلال ومن اشتد جوعه باكل الطعام الشهي ونظائر ذلك
على حسب شوقه وشدة ارادته ومحبته واذا عرف هذا فاللذة والسرور والفرح امر مطلوب
في نفسه بل هو مقصود كل حي واذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها فهي تذم اذا
اعقبت الما اعظم منها او منعت لذة خيرا واجل منها فكيف اذا اعقبت
اعظم الحسرات وفوتت اعظم اللذات والمسرات وتحمد اذا اعانت على
لذة عظيمة دائمة مستقرة لا تنغيص فيها ولا نكد بوجه من الوجوه وهي لذة
الاخرة ونعيمها وطيب العيش فيها قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا و
الاخرة خير وابقى وقال السحرة لفرعون لما امنوا اقض ما انت قاض
انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما
اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى والله سبحانه خلق الخلق لينيلهم هذه
اللذة الدائمة في دار الخلد واما هذه الدار فمنقطعة ولذاتها لا تصفو
ابدا ولا تدوم بخلاف الاخرة فان لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل
كدر والم وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين مع الخلود ابدا ولا تعلم
نفس ما اخفى الله لعباده فيها من قرة اعين بل فيها ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا المعنى الذي قصده الناصح
لقومه بقوله يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه
الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار فاخبرهم ان الدنيا
متاع

متاع يتمتع بها الى غيرها وان الاخرة هي المستقر واذا عرف ان لذات
الدنيا ونعيمها متاع ووسيلة الى لذات الاخرة ولذلك خلقت الدنيا
ولذاتها فكل لذة اعانت على لذة الاخرة واوصلت اليها لم تذم تناولها
بل يحمد بحسب ايصالها الى الاخرة اذا عرف هذا فاعظم نعيم الاخرة
ولذاتها النظر الى وجه الرب جل جلاله وسماع كلامه منه والقرب منه
كما ثبت في الصحيح في حديث الرؤية فوالله ما اعطاهم شيئا احب
اليهم من النظر اليه وفي حديث اخر انه اذا تجلى لهم ورأوه نسوا ما هم
فيه من النعيم وفي النسائي ومسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر عن
النبي عليه السلام في دعائه واسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك
وفي كتاب السنة لعبد الله بن الامام احمد مرفوعا فان الناس يوم القيامة
لم يسمعوا القرآن اذا سمعوه من الرحمن وكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك
واذا عرف هذا فاعظم الاسباب التي تحصل هذه اللذة هو اعظم اللذات
لذات الدنيا على الاطلاق وهو لذة معرفة الله سبحانه وتعالى ولذة
محبته فان ذلك هو جنة الدنيا ونعيمها العالي ونسبة لذاتها الفانية اليه
كتفلة في بحر فان الروح والقلب والبدن انما خلق لذلك فاطيب
ما في الدنيا معرفته ومحبته والذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته فمحبته ومعرفته
قرة العيون ولذة الارواح وبهجة القلوب ونعيم الدنيا وسرورها

بل لذة الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب آلاما وعذابا ويبقى صاحبها
في المعيشة الضنك فليست الحياة الطيبة إلا بالله وكان بعض المحبين
تمر به أوقات فيقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب وكان
غيره يقول لو علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وإذا كان
صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قول المحبة يقول في حاله وما الناس
إلا العاشقون ذوو الهوى ولا خير فيمن لا يحب ويعشق ويقول الآخر أف للدنيا
إذا ما لم يكن صاحب الدنيا محبا أو حبيب ويقول الآخر اسكن إلى سكن
تلذ بحبه ذهب الزمان وأنت منفرد ويقول الآخر تشكى المحبون
الصبابة ليتني تحملت ما يلقون من بينهم وحدي فكانت لقلبي لذة
الحب كلها فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي فكيف بالمحبة التي هي حياة
القلوب وغذاء الأرواح وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح
ولا حياة إلا بها وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين
إذا فقدت نورها والأذن إذا فقدت سمعها والأنف إذا فقدت
شمه واللسان إذا فقد نطقه بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره
وبارئه وإلهه الحق أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح وهذا أمر
لا يصدق به إلا من فيه حياة وما لجرح بميت إيلام والمقصود أن
أعظم لذات الدنيا هو السبب الموصل إلى أعظم لذة في الآخرة ولذة الدنيا
ثلاثة

ثلاثة أنواع فأعظمها وأكملها ما أوصل إلى لذة الآخرة ويثاب الإنسان على
هذه اللذة أتم ثواب ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه
الله من أكله وشربه ولباسه ونكاحه وشفاء غيظه بقهر عدو الله وعدوه فكيف
بلذة إيمانه ومعرفته ومحبته له وشوقه إلى لقائه وطمعه في رؤية وجهه الكريم في
جنات النعيم النوع الثاني لذة تمنع لذة الآخرة وتعقب آلاما أعظم منها
كلذة الذين اتخذوا من دون الله أوثانا مودة بينهم في الحياة الدنيا
يحبونهم كحب الله ويستمتعون بعضهم ببعض كما يقولون في الآخرة
إذا لقوا ربهم ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي
أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم
عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ولذة
أصحاب الفواحش والظلم والبغي في الأرض والعلو بغير الحق وهذه اللذات
في الحقيقة إنما هي استدراج من الله لهم ليذيقهم بها أعظم الآلام ويحرمهم بها
أكمل اللذات بمنزلة من قدم لغيره طعاما لذيذا مسموما يستدرجه به
إلى هلاكه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم
إن كيدي متين وقال بعض السلف في تفسيرها كلما أحدثوا ذنبا
لهم نعمة حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقال تعالى

لاصحاب هذه اللذات ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال في حقهم فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم
وهم كافرون وهذه اللذات تنقلب آخراً والاماً من اعظم الالام
كما قيل مآرب كانت في الحياة لاهلها عذاباً فصارت في المعاد عذابا
النوع الثالث لذة لا تعقب لذة في دار القرار ولا الما ولا
الما يمنع اصل لذة دار القرار وان منعت كمالها وهذه اللذة المباحة
التي يستعان بها على لذة الاخرة فهذه زمانها يسير ليتمتع النفس بها
قدر ولا بدان يشتغل عما هو خير وانفع منها وهذا القسم هو الذي
عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل
الا رميه بقوسه او تاديبه فرسه وملاعبته امرأته فانهن الحق
فما اعان على اللذة المطلوبة لذاتها فهو حق وما لم يعن عليها فهو
باطل فصل فهذا الحب لا ينكر ولا يذم بل هو احمد
انواع الحب وكذلك حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما
يعني المحبة الخاصة وهي التي تشغل قلب المحب وفكره وذكره
بمحبوبه والا فكل مسلم في قلبه محبة لله ورسوله لا يدخل في الاسلام
الا بها والناس متفاوتون في درجات هذه المحبة تفاوتا
للحبة

للحبة الا انه فبين محبة الخليلين ومحبة غيرهم ما بينهما فهذه المحبة التي تلطف وتخفف
اثقال التكاليف وتسخي البخيل وتشجع الجبان وتصفي الذهن وتروض النفس و
تطيب الحياة على الحقيقة لا محبة الصور المحرمة واذا بليت السرائر يوم اللقا كانت
سريرة صاحبها خير سرائر العباد كما قيل سيبقى لكم في مضمر القلب والحشا
سريرة حب يوم تبلى السرائر وهذه المحبة التي تنور الوجه وتشرح الصدر
وتحيي القلب ولذلك محبة كلام الله فانه من علامة محبة الله واذا اردت
ان تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك و
التذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب الملاهي والغنا المطرب بسماعهم
فانه من المعلوم ان من احب محبوباً كان كلامه وحديثه احب شيء اليه كما قيل
ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي اما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي وقال عثمان
ابن عفان رضي الله عنه لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله وكيف يشبع
المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً لعبد الله
بن مسعود اقرأ علي فقال اقرأ عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه
من غيري فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى اذا بلغ الى قوله فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع رأسه
فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان وكان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم
ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون فلمحبي القرآن

السماع الشيطاني فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده وطربه وتشوقه في سماع
الابيات دون سماع الايات وفي سماع الالحان دون سماع القران فهو كما
قيل تقرا عليك الختمة وانت جامد كالحجر وبيت من الشعر ينشد تميل
كالسكران فهذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله وكلامه وتعلقه بمحبة
سماع الشيطان والمغرور يعتقد انه على شيء ففي محبة الله وكلامه ورسوله اضعاف
اضعاف ما ذكر السائل من فوائد العشق ومنافعه بل لا حب انفع منه
وكل حب سواه فذلك باطل ان لم يعن عليه ويسوق المحب اليه **فصل**
واما محبة النسوان فلا لوم على المحب فيها بل هي من كماله وقد امتن الله سبحانه بها
على عباده فقال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها
وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فجعل المراة
سكنا للرجل يسكن قلبه اليها وجعل بينهما خالص الحب وهو المودة المقترنة
بالرحمة وقد قال تعالى عقيب ذكره ما احل لنا من النساء وما حرم منهن يريد
الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ويريد الذين
يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان
ضعيفا ذكر سفيان الثوري في تفسيره عن ابن طاوس عن ابيه قال كان اذا
نظر الى النساء لم يصبر وفي الصحيح من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه راى امراة فاتى زينب فقضى حاجته منها وقال ان المراة تقبل

في صورة

في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات
اهله فان ذلك يرد ما في نفسه ففي هذا الحديث عدة فوائد الارشاد الى التسلي
عن المطلوب بجنسه كما يقوم الطعام مقام الطعام والثوب مقام الثوب ومنها
الامر بمداواة الاعجاب بالمراة المورث لشهوتها بانفع الادوية وهو قضاء
وطره من اهله وذلك ينقض شهوته لها وهذا كما ارشد المتحابين الى النكاح
كما في سنن ابن ماجه مرفوعا لم ير للمتحابين مثل النكاح فنكاح المعشوقة هو دواء العشق
الذي جعله الله دواءه شرعا وقدرا وبه تداوى داود صلى الله عليه وسلم ولم يرتكب
نبي الله محرما وانما تزوج المراة وضمها الى نسائه لمحبته لها وكانت توبته بحسب منزلته
عند الله وعلو مرتبته ولا يليق بنا المزيد على هذا واما قصة زينب بنت
جحش فزيد كان قد عزم على طلاقها ولم توافقه وكان يستشير النبي صلى الله عليه وسلم
في فراقها وهو يامره بامساكها فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مفارقها
ولا بد فاخفى في نفسه ان يتزوجها اذا فارقها زيد وخشي مقالة الناس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج زوجة ابنه فانه كان قد تبنى زيدا قبل
النبوة والرب تعالى يريد ان يشرع شرعا عاما فيه مصالح عباده فلما طلقها
زيد وانقضت عدتها منه ارسله اليها يخطبها لنفسه فجاء زيد واستدبر
الباب بظهره وعظمت في صدره لما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداها
من وراء الباب يا زينب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك فقالت

ما انا بصانعة شيئاً حتى اوامر ربي ودخلت الى محرابها فصلت فتولى الله
عز وجل نكاحها من رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وعقد النكاح له فوق عرشه
وجاء الوحي بذلك فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم لوقته فدخل عليها وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك وتقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات
فهذه قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زينب ولا ريب ان النبي صلى الله عليه
وسلم وكان قد حبب اليه النساء كما في الصحيح من حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم
حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة
وهذا لفظ الحديث لا ما يرويه بعضهم حبب الي من دنياكم ثلاث زاد الامام
احمد في كتاب الزهد في هذا الحديث اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن وقد
حسده اعداء الله اليهود على ذلك فقالوا ما همه الا النكاح فرد الله سبحانه عن رسوله
ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم
الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً وهذا خليل الله ابراهيم امام الحنفاء كان عنده
سارة اجمل نساء العالمين واحب هاجر وتسرى بها وهذا داود كان عنده تسع
وتسعون امراة فاحب تلك المراة وتزوج بها فكمل المائة وهذا سليمان ابنه كان يطوف
في الليلة على تسعين امراة وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احب الخلق اليه فقال
عائشة وقال عن خديجة اني قد رزقت حبها ومحبة النساء من كمال الانسان قال

ابن عباس

ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء وقد ذكر الامام احمد ان عبد الله بن عمر
وقع في سهمه يوماً جارية كان عنقها ابريق فضة قال عبد الله فما صبرت ان قبلتها والناس
ينظرون وبهذا احتج الامام احمد على جواز الاستمتاع من المسبية قبل الاستبراء بغير
الوطي بخلاف الامة المشتراة والفرق بينهما انه لا يتوهم انفساخ الملك فيكون
مستمتعاً بامة غيره وقد شفع النبي صلى الله عليه وسلم لعاشق ان تواصله معشوقته بان
تتزوج به فابت وذلك في قصة مغيث وبريرة فانه رآه يمشي خلفها بعد فراقها
ودموعه تجري على خديه فقال لها لو راجعتيه فقالت اتامرني يا رسول الله قال
انما اشفع فقالت لا حاجة لي به فقال لعمه يا عباس الا تعجب من حب مغيث
بريرة ومن بغضها له ولم ينكر عليه حبه وان كانت قد بانت منه فان هذا
لا يملكه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسوي بين نسائه في القسم ويقول اللهم هذا
قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا املك يعني الحب وقد قال الله تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم يعني في الحب والجماع ولم تزل الخلفاء الراشدون
والرحماء من الناس يشفعون في العشاق الى معشوقهم الجائز وصلهن كما تقدم
من فعل ابي بكر وعثمان وكذلك علي اتي بغلام من العرب وجد في دار قوم بالليل
فقال ما قصتك قال لست بسارق ولكني اصدقك تعلقت في دار الرياحي
خوذة بذ لها من حسن منظرها البدر لها في بنات الروم حسن ومنصب اذا
افتخرت بالحسن خافتها الفخر فلما طرقت الدار من مهجة عذب ابيت وفيها

من توقدها الجمر تبادر اهل الدار ثم صحوا هو اللص محتوما له القتل وللاسر
فلما سمع علي رضي الله عنه شعره رق له وقال للمهلب بن رباح اسمح له بها
فقال يا امير المؤمنين من هو فقال النهاش بن عيينة فقال خذها فهي لك
واشترى معوية جارية فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها تنشد ابياتا منها
وفارقته كالغصن يهتز في الثرى ۞ طريرا وسيما بعدما طر شاربه ۞ فاخبرته
انها كانت لسيدها فردها اليه وفي قلبه منها ۞ وذكر الزمخشري في ربيعه ان زبيده
رأت في طريق مكة على حائط ۞ اما في عباد الله او في امائه كريم يخلي الهم عن ذاهب
العقل يسقله اما المال فرحه ۞ وانما الحشا في النار منه على رجل فنذرت
ان يحتال لعابث هلكتهما ان عرفته حتى تجمع بينه وبين من يحبه فبينما هي في
المزدلفة اذ سمعت من ينشد البيتين فطلبته فزعم انه قام لها في ابنة عم له
نذر اهلها ان لا يزوجوها منه فوجهت الى الحي وما زالت تبذل لهم
المال حتى زوجوها منه واذا المرأة اعشق له منه لها فكانت تعده من اعظم
حسناتها وتقول ما انا بشيء اسر مني من جمعي بين ذلك الفتى ۞ والفتاة
قال الخرائطي وكان لمسلمة بن عبد الملك غلام وجارية يتحابان فكتب الغلام
اليها يوما اني رأيتك في المنام كأنما ۞ عاطيتني من ريق فيك البارد ۞
وكأن كفك في يدي وكأننا بتنا جميعا في فراش واحد ۞ فطفقت يومي
كله مترقدا لاراك في نومي ولست براقد ۞ فاجابته الجارية ۞ خيرا رأيت
وكلما

وكلما ابصرته ستناله مني برغم الحاسد ۞ اني لارجو ان يكون معانقي
فتبيت مني فوق ثدي ناهد ۞ واراك بين خلاخلي ودمالجي ۞ واراك فوق
ترائبي ومهاد ثديي فبلغ مسلمة فانكحها الغلام واحسن حالهما على فرط غيرته وقال
جامع بن برخية سألت سعيد بن المسيب مفتي المدينة هل في حب دهماء
من وزر فقال سعيد بن المسيب انما يلام على ما يستطاع من الامر فقال سعيد
والله ما سألني احد عن هذا ولو سألني ما كنت اجيب الا به فعشق النساء
ثلاثة اقسام عشق هو قربة وطاعة وهو عشق الرجل امرأته وجاريته وهذا
العشق نافع فانه ادعى الى المقاصد التي شرع الله لها النكاح واكف
للبصر والقلب عن التطلع الى غير اهله ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند
الناس وعشق هو مقت من الله وبعد من رحمته وهو اضر شيء على العبد في دينه
ودنياه وهو عشق المردان فما ابتلي به الا من سقط من عين الله وطرد عن بابه
وابعد قلبه وهو من اعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال بعض السلف اذا سقط
العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة التي جلبت على قوم
لوط ما جلبت فما اتوا الا من هذا العشق قال الله تعالى انهم لفي سكرتهم
يعمهون ودواء هذا الداء الدوي الاستعانة بمقلب القلوب وصدق اللجاء
اليه والاشتغال بذكره والتعوض بمحبته وقربه **والتفكر** في الالم الذي يعقبه هذا
العشق واللذة التي تفوته به فيترتب عليه فوات اعظم محبوب وحصول اعظم مكروه

فان اقدمت نفسه على هذا واثرته فليكبر عليها تكبير على الجنازه وليعلم ان البلاء
قد احاط به والقسم الثالث من العشق عشق مباح لا يملك كعشق من وصفت
له امراة جميلة او راها فجاه من غير قصد فاورثه ذلك عشقا لها ولم يحدث له ذلك
العشق معصية فهذا لا يملك ولا يعاقب عليه والانفع له مدافعته والاشتغال
بما هو انفع له والواجب على هذا ان يكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله
على ذلك ويعوضه على صبره لله وعفته وتركه طاعة هواه وايثار مرضات
الله وما عنده **فصل** والعشاق ثلثة اقسام منهم من يعشق
الجمال المطلق ومنهم من يعشق الجمال المقيد سواء طمع بوصاله او لم يطمع ومنهم
لا يعشق الا من يطمع في الوصول اليه وبين هذه الانواع تفاوت في القوة
والضعف فعاشق الجمال المطلق قلبه يهيم في واد وله في كل صورة
جميلة مراد ٥ يوما بحزوى ويوما بالعذيب ٥ ويوما بالعقيق ويوما بالخليصا
وتارة ينتحي نجدا ٥ وآونة ٥ شعب العقيق وطورا قصر تيما فهذا عشقه وا
سع ولكنه غير ثابت كثير التنقل ٥ وقال آخر ٥ يهيم بهذا ثم يعشق غيره
ويسلاهم من وقته حين يصبح ٥ وعاشق الجمال المقيد اثبت على معشوقه و
دوام محبته له ومحبته اقوى من محبة الاول لاجتماعها في واحد وتقسيم الاول
ولكن يضعفها عدم الطمع في الوصال وعاشق الجمال الذي يطمع في وصله
اعقل العشاق واعرفهم وحبه اقوى لان الطمع يمده ويقويه **فصل**

واما

واما حديث من عشق فعف فهذا يرويه سويد بن سعيد فقد انكره حفاظ
الاسلام عليه قال ابن عدي في كامله هذا الحديث احد ما انكر على سويد وكذا
ذكر البيهقي وابن طاهر في الذخيرة والتذكرة وابو الفرج ابن الجوزي وعده في
الموضوعات وانكره ابو عبد الله الحاكم عليه وقال انا اتعجب منه
قلت والصواب في الحديث انه من كلام ابن عباس موقوفا عليه
فغلط سويد في رفعه قال محمد بن خلف بن المرزبان بن ابو بكر الازرق عن
سويد به فعاتبته على ذلك فاسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكان
بعد ذلك يسال عنه فلا يرفعه ولا يشبه هذا كلام النبوة واما رواية
الخطيب له عن الازهري عن المعافى بن زكريا عن قطبة بن الفضل بن احمد بن
مسروق عن سويد بن مسهر عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة مرفوعا
فمن ابين الخطا ولا يحتمل هشام عن ابيه عن عائشة مثل هذا عند من
شم ادنى رائحة من الحديث ونحن نشهد بالله ان عائشة ما حدثت
بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ولا حدث به عنها عروة ولا حدث به
عنه هشام قط واما حديث الماجشون عن عبد العزيز بن ابي حازم عن
ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا فكذب على ابن الماجشون
فانه لم يحدث بهذا ولا حدث به عنه الزبير بن بكار وانما هذا من تركيب
بعض الوضاعين ويا سبحان الله كيف يحتمل هذا الاسناد مثل هذا المتن

ففضح الله الوضاع عنه وقد ذكره ابو الفرج من حديث محمد بن جعفر هذا هو الخرائطي
وفاته سنة سبع وعشرون وثلثمائة فمحال ان يدرك شيخه يعقوب ابن ابي
نجيح لاسيما وقد رواه في كتاب الاعتلال عن يعقوب هذا عن الزبير
عن عبد الملك عن عبد العزيز عن ابن ابي نجيح والخرائطي هذا مشهور بالضعف
في الرواية ذكره ابو الفرج ابن الجوزي في الرواية في كتاب الضعفا وكلام حفاظ
الاسلام في انكار هذا الحديث هو الميزان واليهم يرجع في هذا الشان
وما صححه بل ولا حسنه احد يعول في علم الحديث عليه ويرجع في التصحيح اليه ولا من
عادته التساهل والتسامح فانه لم يظفر بنقض له ويكون ان طاهر الذي
يتساهل في احاديث التصوف ويروي منها الغث والسمين والمنخنقة
والموقوذة قد انكره وشهد ببطلانه نعم ابن عباس غير مستنكر ذلك
عنه وقد ذكر ابو محمد بن حزم عنه انه سئل عن الميت عشقا فقال قتيل الهوى
لا عقد ولا قود ودفع اليه بعرفات شاب قد صار كالفرخ فقال ما شانه
قالوا العشق فجعل عامة يومه يستعيذ من العشق فهذا نفس من قال
من عشق وعف وكتم ومات فهو شهيد ومما يوضح ذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم عد الشهداء في الصحيح فذكر المقتول في الجهاد والمبطون
والحرق والنفسا يقتلها ولدها والغرق وصاحب ذات الجنب
ولم يذكر منهم العاشق يقتله العشق وحسب قتيل العشق ان يصح

له



١٥٦

له هذا الاثر عن ابن عباس على انه لا يدخل تحته حتى يصبر لله ويعف لله
ويكتم لله وهذا لا يكون الا مع قدرته على معشوقه وايثار محبة الله وخوفه
ورضاه وهذا من احق من دخل تحت قوله واما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وتحت قوله ولمن خاف
مقام ربه جنتان فنسال الله العظيم رب العرش العظيم ان
يجعلنا ممن اثر حبه على هواه وابتغى بذلك قربه ورضاه بمنه
وكرمه انه جواد كريم تم الكتاب بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه و

يوفقه نسال الله العظيم ان يلهمنا رشدنا
وان يعصمنا من سرور انفسنا وان يحكم
لنا بخيره جواد كريم ووافق الفراغ
منه في اواسط جمادى الاولى يوم الاثنين
سنة ثمان وماية والف
والحمد لله رب العالمين
صلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه الاخيار
عوله ولوالديه
تم

